الجامعة الأردنية - كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات العليا
للعلوم الإنسانية والاجتماعية

٦٢٢

صورة البطل في كتب الحماسة

إعداد: صادق الشيخ صالح خريوش محمد

إشراف: الأستاذ الدكتور محمود السمرة
رئيس الجامعة الأردنية

٤٢٠٠

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه
في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.

١٩٩٠م / ١٩٩١م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٧ وأجيزت

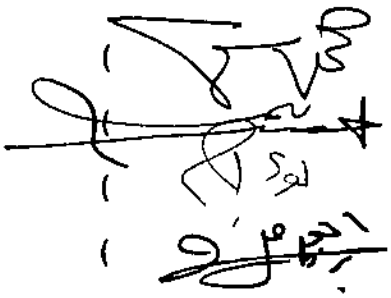

الاستاذ الدكتور محمود السمرة (المشرف) رئيسا ( )

الاستاذ الدكتور احسان عباس عضوا ( )

الاستاذ الدكتور نصرت عبدالرحمن عضوا ( )

الاستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي عضوا ( )

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخـــــص

كتب الحماسة من كتب الاختيارات الرئيسة الخصبة بمادتها الأدبية التي تعبّر عـــن قيم المجتمع العربي في حقبة ممتدة من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي • والقيم التي تصورهـا نصوص الحماسة - وإن كانت تضرب في أغراض شعرية متنوعة - تصور المثل العليا في المعشوقة ، والفارس ، والممدوح ، والمرثي التي يتصورها الشاعر صاحب النص ، أو صاحب الحماسة • وتكمـن أهمية كتب الحماسة في النصوص التي تعكس ذوق أصحاب كتب الحماسة في اللغة والأدب والبلاغة ، مما حدا بالعلماء والأدباء إلى الإقبال على دراستها ، واستنباط كنوزها الثمينة ، وجـــــلاء موضوعاتها • وقد خصّوا حماسة أبي تمام بالدراسة والبحث ، لما عرفوه من ذوق رفيع ، ودقة فـــي الاختيار • فقد كان يعتمد مقياس الجودة في ذلك ، فأثبت ما حَسُنَ وراق من بديع القول لشعـــراء مغمورين مقلّين لم تحفل بهم كتب المجموعات الأخرى كالمفضليات ، والأصمعيات على سبيـــــل التمثيل • وهذا الشعر في جلّه لشعراء جاهليين واسلاميين أعرقو في العربية ، فخلا شعرهم مـــن شعث القول ، وفضول الكلام • فكان مادة خصبة لعلماء اللغة والنحو ، تمثلّوها شواهد في كتبهم•

وموضوع " صورة البطل في كتب الحماسة " لم يدرس دراسة مستقلة وافية شاملـــــة ، باستثناء بعض الابحاث القصيرة المتناثرة في الصحف والمجلات لا تشفي الغلة ، ولا تقيم صـــورة البطل - التي ينشدها موضوع الدراسة - في رسالة ماجستير أو دكتوراه منها " البطولة فـــي الأدب العربي " وهي مجموعة محاضرات متفرقة جُمِعَتْ في كتاب ، وبحثان قصيران نشرتهما مجلة مجمع اللغة العربية الأردني يتناولان الفروسية عند العرب •

وقد وقعت الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة • فجاء الفصل الأول منها نظرة عامة فـــي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتب الحماسة ، فقدّم تعريفا للحماسة في اللغة والأدب ، ثم بين أهمية كتب الحماسة من جوانب متعددة كاللغة والنحو والبلاغة . ففي مجال اللغة والنحو كانت شواهد الحماسة الشعرية من الركائز الأساسية التي استند إليها النحاة واللغويّون في كتبهم . أما البلاغيّون ، فقد تخيّروا شواهدهم البلاغية بفنونها المختلفة من كتب الحماسة وحسب الدارس أن ينظر في بعض شواهد البلاغة في مظانها ، ليتبيّن مصادرها التي سيقت منها ، فضلا عن الذوق الأدبي الرفيع الذي يتمتع به واضعو كتب الحماسة مما يزيد هذه المقطوعات المنتقاة جودة وحسنا . وبيّن الفصل كذلك عدة كتب الحماسة ، ومؤلفيها ، وشيئا عن حياتهم ، وثقافتهم ، ومناهجهم التي اتّبعوها في تصنيف كتبهم ، وعدة أبواب كل حماسة على حدة ، ووجوه الاتفاق بين أبوابها ، ووجوه الافتراق وقد خصّ الفصل المقابلة بين أبواب حماسة أبي تمام وأبواب كتب الحماسة الأخرى . وأفرد الفصل في صفحات عدة حديثا عن شروح حماسة أبي تمام . وأتبع الفصل بخلاصة عامة موجزة .

وتحدّث الفصل الثاني عن قضايا البطولة وصورها في كتب الحماسة وارتأت الدراسة أن يكون هذا الفصل في قسمين : يتناول الأول منهما قضايا البطولة وصورها في العصر الجاهلي وأولها البطولة المقاتلة . فقد بيّن القسم الظروف المحيطة بها ، والعوامل التي ساعدت على تأججها . وبين أهم الأبطال الذين كان لهم شأن في هذه البطولة . مثل ربيعة بن مقروم الضبي . وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن معد يكرب ، وطفاء بن قيس الكناني وغيرهم ، وكان لأيام العرب في الجاهليّة دور في توجيه هذه البطولة ، وإبرازها . فخصّص القسم جانبا من البطولة في أيام العرب . غير أنه اجتزأ بعضا من الشواهد الشعرية الدالة على الأيام . وأشار إلى بعض الأيام التي قيل فيها الشعر الوارد في صفحات البحث وذلك من خلال الحواشي . وثمة البطولة في شعر الرثاء . وقد تحدثت عن الأبطال الذين كان لهم شأن في ساحات القتال مثل مالك بن زهير وكليب بن ربيعة . وصخر بن عمرو بن الشريد ، وعبدالله بن الصمّة شقيق دريد بن الصمّة . وابني عمرة الخثعميّة . وظل هؤلاء الأبطال خالدين بأعمالهم العظيمة . وبطولاتهم . وثمة بطولة الصبر على الشدائد . وبطولة الكرم والجود . وأهم أبطالها حاتم الطائي ، وحجية بن المضرّب ، وعبلسة الذراري . والمثلّم بن رياح المرّي . وبطولة الصفح والحلم والمروءة . وقد ضرب حاتم الطائي ، وربيعة بن مقروء الضبّي . والمتلمس ، وغيرهم مثلا في الحلم والصفح والتسامح ، وثمة بطولة العفاف .

ويتناول القسم الثاني قضايا البطولة وصورها في العصر الإسلامي . وما بعده . وتحدث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في كثير منها تحمل العنوانات التي حملتها قضايا البطولة في العصر الجاهلي . وقد فرّق الفصل بين مفهوم البطولة في الجاهليّة ، ومفهومه في الإسلام ، وبيّن نظرة الجاهليّين إلى البطولة، ونظرة المسلمين . وأعقب الفصل هذين القسمين بخلاصة عامّة .

وعرض الفصل الثالث دراسة فنية لصورة البطل ، فخصّص صفحات للحديث عن الصورة الشعرية التي تمثلت في نمطية البناء اللغوي ، والأنماط البلاغيّة ، والطابع القصصي في المقطوعات الشعريّة ، والأوزان والقوافي ، وخصّص الفصل صفحات أخرى للحديث عن بعض المواقف الحضارية من صورة البطل ، وهي المرأة والخيل والسلاح ، وبيّن أثر كل واحد من هذه المواقف في حياته ، ثم أعقب الفصل بخلاصة ، وخاتمة للبحث .

أما المنهج الذي سارت فيه هذه الدراسة فهو محاولة تشكيل صورة البطل العربي المثالية التي تروق وتعجب ، وذلك بدراسة النصوص الشعرية في كتب الحماسة التي توفّر عليها البحث دراسة وافية ، واستجلاء صور البطولة المتعددة ، ومحاولة توضيح الجوانب المختلفة التي ساعدت على خلق البطل ، والوصول به إلى أعلى مراتب المجد . وقد جهد البحث في دراسة الأشكال اللغوية والتراكيب اللفظية التي حرص الشعراء على الإتيان بها ، لإضفاء مزيد من الحسن على صورة البطل .

أما مصادر هذه الدراسة فمعروفة بيّنة ، وهي كتب الحماسة التالية :-

أولا : حماسة أبي تمام الكبرى أو ما يعرف " بديوان الحماسة "

ثانيا : " الوحشيات " أو " الحماسة الصغرى .

ثالثا : حماسة البحتري .

رابعا : حماسة الخالديّين .

خامسا : حماسة الظرفاء

سادسا : حماسة ابن الشجري

سابعا : الحماسة البصرية

ثامنا : حماسة العبيدي المعروفة " بالتذكرة السعدية " .

تاسعا : حماسة الجراوي المعروفة بحذوة الأدب ونخبة أشعار العرب "

عاشرا : حماسة النجفي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضلا عن كتب التراجم والأدب التي أفادت منها الدراسة في تراجم حيوات وافـــــي كتب الحماسة ، وضبط الأعلام والشعراء الوارد ذكرهم في هذه الدراسة منها "معجم الأدباء" لياقـوت الحموي ، "وإنباه الرواة" للقفطي ، "ووفيات الأعيان" لابن خلكان ، "وسير أعلام النبلاء" للذهبـــــي، "والمؤتلف والمختلف" للآمدي ، "ومعجم الشعراء الجاهليّين والمخضرمين" للدكتور عفيف عبدالرحمن ينضاف إلى هذا كله فهارس المخطوطات العربية المصورة التي أغنت الدراسة كثيرا في مجـــال الكشف عن شرّاح حماسة أبي تمام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتوى

الصفحة

- الفصل الأول

نظرة في كتب الحماسة: ---------- ١ - ٣٥

١. الحماسة في اللغة والأدب.

٢. أهمية كتب الحماسة.

٣. عدتها ومؤلفوها وشروحها.

- الفصل الثاني

قضايا البطولة وصورها ---------- ٣٦ - ١٣١

أ. العصر الجاهلي.

ب. العصر الإسلامي.

ج. خلاصة.

- الفصل الثالث

دراسة فنية ---------- ١٣٢ - ١٩٣

أ. الصورة الشعرية

١. نمطية البناء الفني.

٢. الأنماط البلاغية.

٣. الطابع القصصي.

٤. الأوزان والقوافي.

ب. مواقف حضارية من صورة البطل

١. المرأة

٢. الخيل

٣. السلاح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدّمـــــة :

كان علماء الأدب واللغة القدامى ينظرون الى كتب الحماسة نظرة اجلال وتقديـــــر، ويرون فيها صور الأدب العربي وفنونه المختلفة في شتى العصور ، فعكفوا على دراستها ، واستنباط كنوزها الثمينة ، وجلاء موضوعاتها . ومما حفز هؤلاء العلماء على دراسة كتب الحماســـــــة أن المقطوعات الشعرية الواردة فيها غنيّة بفنون الأدب ، ومقوّمات الشعر التي تجعل المرء أكثـــــر جرأة على اقتحامها ، ومحاولة الكتابة فيهـــــا .

وكان لأستاذي الدكتور محمود السمرة نظرة فاحصة في كتب الحماسة ، وما فيها من كنوز خبيئة ، فوضع بين يدي عدة موضوعات بعضها ذو علاقة بكتب الحماسة ، منها موضـــــــوع " صورة البطل في كتب الحماسة " . وقد راقني هذا الموضوع ، فشرعت في البحث ، والتنقيب عـــن أمر البطل ، فوجدت أنه لمّا يدرس بعد دراسة مستقلة وافية شاملة ، وان كان قلة من أبطـــال الحماسة قد درسوا دراسة جزئية - في أبحاث متناثرة في المجلات والصحف ، وقد نشرت مجلـــــة مجمع اللغة العربية الاردني . بحثين قصيرين - فيما وقعت عليه - في هذا المجال . وهذه دراســـة لا تشفي الغلّة ، ولا تقيم صورة البطل التي ينشدها موضوع الدراسة في رسالة ماجستير ، أو دكتوراه .

ورغم ذلك فقد أوجست خيفة من هذا الموضوع ، لأن الشعر الوارد في كتب الحماســـة انما جاء - في جلّه - مقطوعات تراوحت بين بيتين ، وخمسة أبيات ، وأن بعضها قد جاوز هذا العـدد من الأبيات . غير أن الشواهد الشعرية الكثيرة التي حشدها البحث قد ساهمت في جلاء صورة البطل الى حد كبير ، فضلا عن أن كل مقطوعة من المقطوعات تتناول في موضوعها قضيّة واحدة بعينهـــــا كأن تكون أبياتا في الفروسية ، أو الكرم ، أو الصبر ، أو الصفح والحلم ، مما يجعل البحث قادرا على اقامة صورة البطل من خلال هذه المقطوعات ، مما زادني تعلّقا بالموضوع ، واصرارا على الكتابة فيه، وبدأت أطوّف في كتب الحماسة أجمع المادّة الشعرية المطلوبة . وقد واجهتني في عملية الجمـــع صعوبات جهدت في تذليلها ، منها جوانب تتعلق بحياة بعض الأبطال ، والمناسبات التي قيلـــت فيها مقطوعاتهم . وقد فزعت الى كتب التراجم والادب للافادة منها في هذي السبيـــل .

وقد وقعت الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمـــة . فجـاء الفصل الأول منها نظـرة عامة في كتب الحماسة . فقدّم تعريفا للحماسة في اللغة والأدب ثم بيّن أهمية كتـــــب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحماسة من جوانب متعددة كاللغة والنحو والبلاغة . ففي مجال اللغة والنحو كانت شواهد الحماسة الشعرية من الركائز الأساسية التي استند اليها النحاة واللغويّون في كتبهم . أمّا البلاغيّون ، فقد تخيّروا شواهدهم البلاغية بفنونها المختلفة من كتب الحماسة وحسب الدارس أن ينظر في بعض شواهد البلاغة في مظانها ، ليتبيّن مصادرها التي سبقت منها ، فضلا عن الذوق الأدبي الرفيع الذى يتمتع به واضعو كتب الحماسة مما يزيد هذه المقطوعات المنتقاة جودة وحسنا . وبيّن الفصل كذلك عدة كتب الحماسة ، ومؤلفيها ، وشيئا عن حيواتهم ، وثقافتهم ، ومناهجهم التي اتّبعوها في تصنيف كتبهم ، وعدة أبواب كل حماسة على حدة ، ووجوه الاتفاق بين أبوابها ، ووجوه الافتراق. وقد خصّ الفصل المقابلة بين أبواب حماسة أبي تمام وأبواب كتب الحماسة الأخرى . وأفرد الفصل في صفحات عدة حديثا عن شروح حماسة أبي تمام . وأتبع الفصل بخلاصة عامة موجزة .

وتحدّث الفصل الثاني عن قضايا البطولة وصورها في كتب الحماسة وارتأت الدراسة أن يكون هذا الفصل في قسمين : يتناول الأول منهما قضايا البطولة وصورها في العصر الجاهلي وأولها البطولة المقاتلة . فقد بيّن القسم الظروف المحيطة بها ، والعوامل التي ساعدت على تأججها ، وبين أهم الأبطال الذين كان لهم شأن في هذه البطولة . مثل ربيعة بن مقروم الضبي ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن معد يكرب ، وبلعاء بن قيس الكناني وغيرهم ، وكان لأيام العرب في الجاهليّة دور في توجيه هذه البطولة ، وإبرازها . فخصّص القسم جانبا من البطولة في أيام العرب غير أنه اجتزأ بعضا من الشواهد الشعرية الدالة على الأيام ، وأشار الى بعض الأيام التي قيل فيها الشعر الوارد في صفحات البحث وذلك من خلال الحواشي ، وثمة البطولة في شعر الرثاء ، وقد تحدثت عن الأبطال الذين كان لهم شأن في ساحات القتال مثل مالك بن زهير، وكليب بن ربيعة وصخر بن عمرو بن الشريد ، وعبدالله بن الصمّة شقيق دريد بن الصمّة ، وابني عمرة الخثعمية وظل هؤلاء الأبطال خالدين بأعمالهم العظيمة ، وبطولاتهم ، وثمة بطولة الصبر على الشدائد وبطولة الكرم والجود ، وأهم أبطالها حاتم الطائي ، وحجيّة بن المضرّب ، وعميلة الفزارى والمثلّم بن رياح المرى ، وبطولة الصفح والحلم والمروءة . وقد ضرب حاتم الطائي ، وربيعة بن مقروم الضبي ، والمتلمس ، وغيرهم مثلا في الحلم والصفح والتسامح ، وثمة بطولة العشق .

ويتناول القسم الثاني قضايا البطولة وصورها في الشعر الاسلامي ، وما بعده . وهي في كثير منها تحمل العنوانات التي حملتها قضايا البطولة في العصر الجاهلي . وقد فرّق الفصل بين مفهوم البطولة في الجاهليّة ، ومفهومه في الاسلام ، وبيّن نظرة الجاهليّين الى البطولة ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظرة المسلمين . وأعقب الفصل هذين القسمين بخلاصة عامّة .

وعرض الفصل الثالث دراسة فنية لصورة البطل ، فخصّص صفحات للحديث عن الصورة الشعرية التي تمثلت في نمط البناء اللغوي ، والأنماط البلاغية ، والطابع القصصي في المقطوعات الشعرية ، والأوزان والقوافي ، وخصّص الفصل صفحات أخرى للحديث عن بعض المواقف الحضارية من صورة البطل ، وهي المرأة والخيل والسلاح ، وبيّن أثر كل واحد من هذه المواقف في حياته ، ثم أعقب الفصل بخلاصة ، وخاتمة للبحث .

أما المنهج الذي سارت فيه هذه الدراسة فهو محاولة تشكيل صورة البطل العربي المثالية التي ترقى وتعجب ، وذلك بدراسة النصوص الشعرية في كتب الحماسة التي توفّر عليها البحث دراسة وافية ، واستجلاء صور البطولة المتعددة ، ومحاولة توضيح الجوانب المختلفة التي ساعدت على خلق البطل ، والوصول به الى أعلى مراتب المجد . وقد جهد البحث في دراسة الأشكال اللغوية والتراكيب اللفظية التي حرص الشعراء على الاتيان بها ، لاضفاء مزيد من الحسن على صورة البطل .

أما مصادر هذه الدراسة فمعروفة بيّنة ، وهي كتب الحماسة التالية :

أولا حماسة أبي تمام الكبرى أو ما يعرف " بديوان الحماسة "

ثانيا " الوحشيات " أو " الحماسة الصغرى " .

ثالثا حماسة البحتري .

رابعا حماسة الظرفاء

خامسا حماسة ابن الشجري .

سادسا الحماسة البصرية

سابعا حماسة العبيدي المعروفة " بالتذكرة السعدية "

ثامنا حماسة الجراوي المعروفة بصفوة الأدب ونخبة أشعار العرب "

تاسعا حماسة النجفي

فضلا عن كتب التراجم والأدب التي أفادت منها الدراسة في تراجم حيوات واضعي كتب الحماسة ، وضبط الأعلام والشعراء الوارد ذكرهم في هذه الدراسة منها " معجم الأدباء "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" لياقوت الحموي " ، " وانباه الرواة " للقفطي " ، ووفيات الاعيان " لابن خلكان " ، وسير أعلام النبلاء " للذهبي " ، والمؤتلف والمختلف " للآمدي " ، ومعجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين " للدكتور عفيف عبدالرحمن " ينضاف الى هذا كله فهارس المخطوطات العربية المصورة التي أغنت الدراسة كثيرا في مجال الكشف عن شرّاح حماسة أبي تمام.

وبعد : فصاحب هذه الدراسة المتواضعة مدين للأستاذ الدكتور محمود السمرة بأياد عليه سابغات . فقد شملها برعايته ، وتوجيهه ، وتفضل بتعهدها منذ كانت فكرة الى أن استقامت منهجا ودراسة . فله مني جزيل الشكر ، ووافر الامتنان ، وأقدر جهده حق التقدير ، وأكبر فيه حسن ملاطفته ، وسعة صدره ، وعظيم صبره وجلده .

وأقدم خالص شكري وتقديري الى الأستاذ الدكتور احسان عباس لتفضله بمناقشة هذا البحث ، والى الأستاذ الدكتور نصرت عبدالرحمن بما نفعني من علمه وكتبه القيّمة ، ولتفضله بمناقشة هذا البحث ، والى الاستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي بما نفعني من علمه وكتبه القيّمة أيضا ، وأشكر كذلك كل من ساهم في اخراج هذا البحث الى النور ، وأخص بالذكر الدكتور جاسر أبا صفية بما نفعني من كتبه القيّمة ، والدكتور صلاح جرّار الذى راجع ملخص اللغة الانجليزية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأوّل

نظرة في كتب الحماسة

١. الحماسة في اللغة والأدب.
٢. أهمّية كتب الحماسة.
٣. عدّتها ومؤلّفوها وشروحها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحاول هذا الفصل أن يلقي نظرة وافية شاملة على كتب الحماسة ، يعرض من خلالها تعريف الحماسة في اللغة والأدب ليتبين امتداد معنى الحماسة ، وليفيد من التعريف في سبب التسمية ، ومدى مطابقة المادة التي سيعرضها البحث والمعنى . ثم يبحث في أهمية كتب الحماسة من نواح مختلفة حتى يجد للدراسة مدخلا معقولا للحديث عن صورة البطل . وسيفرد الفصل أيضا جانبا للحديث عن كتب الحماسة ، وصانعيها ، وثقافتهم ، ودواعي وضعهم كتبهم هذه ، ومناهجهم في وضعها ، وطريقة ترتيب كل حماسة على حدة .

أولا : الحماسة في اللغة والأدب وسبب تسميتها :

الحماسة في اللغة هي الشجاعة والمحاربة والشدة ، فقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدى ما نصّه :" رجل أحمس : أى شجاع ، وعام أحمس ، وسنة حمساء ، أى شديدة ، ونجدة حمساء : يريد بها الشجاعة . والحمس : قريش ، وأحماس العرب : أمهاتهم من قريش ، وكانوا شجعاء العرب "[١] . وقال ابن دريد :" والحمس ، والحمس : التشدد في الأمر ، وبه سميت الحمس قريش "[٢] .

وقال الأزهرى :" يقال : وقع فلان في هند الأحامس ، اذا وقع في الداهية "[٣] وفصل الزمخشرى في أساس البلاغة قول الأزهرى ، وزاد عليه ، فقال :" ووقعوا في هند الاحامس ، اذا وقعوا في شدّة وبلية ، ولقي فلان هند الأحامس ، اذا مات .

وبنو هند قوم من العرب فيهم حماسة ، ومعنى اضافتهم الى الأحامس ، اضافتهم الى شجعانهم أو الى جنس الشجعان ، وأنهم منهم ، أنشد الأصمعي :

طمعت بنا حتى اذا ما لقيتنا لقيت بنا يا عمرو هند الأحامسا

١- الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٥هـ) :العين ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، والدكتور مهدى المخزومي ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م، مادة حمس .

٢- ابن دريد : محمد بن الحسن الازدى البصرى (ت ٣٢١هـ) جمهرة اللغة ، مكتبة المثنى بغداد ، ١٩٤٥، مادة حمس .

٣- الازهرى : أبو منصور ، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة ، حققه وقدم له عبدالسلام هارون ، وراجعه محمد علي النجار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجعل الأحامس صفة لهم ، ويحتمل أن يكون قد ابتلي رجل بامرأة يقال لها : هند الأحامس لحماسة قومها ، ولقي منها شرا ، فسار ذلك مثلا في لقاء الشدائد ، أوكان رجل يقال له : هند الأحامس لشجاعته ، وشجاعة قومه ، يبلو الناس بالشر ، فقيل فيه ذلك وسيّر مثلا (١) . وكرّر الصغاني ما أورده الزمخشري (٢) . أما ابن منظور ، فيقول : " الحماسة : المنع والمحاربة والتحمس، التشدد ورجل حمس وحميس وأحمس : شجاع ، وتحامس القوم تحامسا ، اذا تشادّوا واقتتلوا . والاحمس والمتحمس والحمس : الشديد ، والحماسة : الشجاعة ، والأحمس : الشديد الصلب في الدين والقتال " (٣) .

الحماسة في الأدب : هي مجموعة من الكتب المهمة في باب مصادر الشعر العربي تتمثل في مختارات من القصائد والمقطوعات الشعرية لشعراء مكثرين ، ومقلّين ، مغمورين ومعروفين ، يمثلون عصورا مختلفة ممتدة من الجاهلية الى حقبة زمنية من العصر العباسي . فأبو تمام اختار مقطوعاته لشعراء الجاهلية ، وصدر الاسلام ، والعصر الاموى ، وزاد عليه ابن الشجرى فأثبت شعرا لشعراء العصر العباسي " (٤) .

وسميت الحماسة كذلك من باب تسمية الجزء باسم الكل . فالباب الأول في جل كتب الحماسة يبدأ بالحماسة . والحماسة -كما مر- هي الشجاعة والمنع والمحاربة والقتال ، والشدة، وهذه صفات تربت عليها العرب في الجاهلية والاسلام ، وحرصت على توريثها للخلف ، وقد تغنت العرب بهذه الصفات في أشعارها ، فاشتهر هذا الباب عند واضعي كتب الحماسة ، وغلّبوه على باقي الأبواب .

... والانباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الدار القومية العربية للطباعة، ١٩٦٤ مادة حمس .

١- الزمخشري :أبو القاسم ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) :أساس البلاغة، مركز تحقيق التراث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٥ ، مادة (حمس) .

٢- الصغاني :الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ) :التكملة والذيل والصلة ، حققه عبد الحليم الطحاوى ، وراجعه عبدالحميد حسن، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ مادة حمس .

٣- ابن منظور : أبو الفضل ، جمال الدين بن مكرم الافريقي المصرى (٧١١هـ) :لسان العرب، دار صادر ، ودار بيروت ، ١٩٥٦، مادة حمس .

٤- ابن الشجرى : هبة الله علي بن حمزة العلوى الحسني (٥٤٣هـ) : الحماسة الشجرية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر الدكتور محمد بركات أبو علي قال : " والتسمية بأول الأبواب شائع متداول عرفته العرب بالفطرة ، وهدى اليه العلماء من بعد بالدراسة والبحث ، وأدخلوه في باب المجاز " [١] . وقد استرشد الدكتور أبو علي بتسمية بعض من الكتاب العزيز ببعض ما جاء فيها من أمور امـا لفضل شهرة أو كثرة أو لمزيد كسورة البقرة ، والنساء والأنعام [٢] ويقول الدكتور أبو علي أيضا " وربما كان سبب التسمية بالحماسة أن الحماسة أول أبواب الكتاب ، فتسمية الشيء بأوله معروفة مقررة . فقد سميت فاتحة الكتاب العزيز بسورة الحمد ، وسورة الشكر " [٣] . ويعكس اختيار الشعر ذوق صاحب الحماسة في الشعر العربي ، وسعة اطّلاعه ، وثقافته . ويبدو ذلك واضحا جليّا في اختيارات أبي تمام التي يكشف عنها منهجه في الاختيار ، واختيارات أصحاب الحماسة اللاحقين مما ستفصله الدراسة في الحديث عن واضعي الحماسة ، وثقافتهم ومناهجهم في الاختيار .

ثانيا : أهمية كتب الحماسة :

كتب الحماسة من كتب الاختيارات الرئيسة الخصبة بمادتها الأدبية . وقد تخير واضعوها مقطوعات شعرية وفيرة تمثّلت في كثير من القضايا الانسانية التي تعبر عن قيم المجتمع العربي في حقبة ممتدة من العصر الجاهلي الى العصر العباسي ، وأدلّ شيء على ذلك ما ذكره ابن الشجري صراحة في مقدمة حماسته فقد أثبت - كما ذكرت - شعرا لشعراء الجاهلية والاسلام والعصرين الأموي والعباسي .

والقيم التي تصورها نصوص الحماسة - وان كانت تضرب في أغراض شعرية متنوعة - تصور المثل العليا في المعشوقة والفارس والممدوح والمرثي التي يتصورها الشاعر صاحب النص أو صاحب الحماسة .

وتكمن أهمية الحماسة في هذا الشعر المتوهج الذى يشف عن ذوق خاص لأصحاب

... تحقيق عبدالمعين الملوحي ، وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠،ج ١/ى ٥٠ .

١- محمد بركات أبو علي : أبو تمام بين حماسته وشعره ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها دمشق ، ط١ ، ١٩٨٢، ٥٢٢.

٢- المرجع السابق ، ص ٥٢٢.

٣- المرجع السابق ، ص ٥٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحماسات في اللغة والنحو والأدب والبلاغة والنقد ... ، متمثلا في اختياراتهم الشعرية الموثقة .

وقد يحفز هذا الاختيار كثيرا من الباحثين والدارسين الى تتبع القضايا الخبيئة ، والموضوعات القيمة التي تزخر بها هذه المجموعات الفريدة ، فقد تكشفت لي في أثناء قراءات المادة الشعرية المتأنية قضايا في مجال اللغة والنحو جديرة بالبحث والدراسة ، منها لغات القبائل في كتب الحماسة على سبيل التمثل . فلطيء لغة تميزها ، وللخزرج لغة تميزها ، وكذا بعض قبائل العرب الاخرى ، وأمثلة ذلك كثيرة منها قول قوال الطائي [١] :

قولا لهذا المرء ذو جاء ساعيا ... هلمّ فان المشرفي الفرائض

أظنك دون المال ذو جئت تبتغي ... ستلقاك بيض للنفوس قوابض

" فذو " بمعنى الذى في لغة طيء . ومنها قول منظور بن سحيم الفقعسي [٢] :

فامّا كرام موسرون لقيتهم ... فحسبي من ذو عندهم ما كفانيا

ذكر ابن هشام في أوضح المسالك ما نصه " الشاهد فيه قوله " من ذى عندهم " فان ذى في هذه العبارة اسم موصول بمعنى الذى . واعلم أنه قد رويت هذه الكلمة بروايتين ، فمن النحاة من رواها " فحسبي من ذو عندهم " بالرفع مع أن الكلمة في محل جر بمن ، واستدل بهذه الرواية على أن " ذو" الموصولة مبنية كسائر الموصولات ، ومنهم من رواها " فحسبي من ذى عندهم" بالياء ، واستدل بهذه الرواية على أن " ذو" الموصولة تعامل معاملة " ذو" التي هي من الأسماء الستة ومعنى هذا أنها معربة ... وهي لغة طيء [٣].

وقد جعل النابغة الجعدى كلمة " مجدنا " في البيت التالي :

١- أبو تمام :حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)ديوان الحماسة بشرح الخطيب التبريزى (ت ٥٠٢هـ) حققه وضبط غريبه ، وعلّق حواشيه ، وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد ، مطبعة حجازى بالقاهرة ب .ت .ب .ط.ج ١٩١/٢.

٢- المصدر السابق ج ١٥٥/٣.

٣- أبو محمد : عبدالله بن جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الانصارى المصرى (ت ٧٦١هـ) أوضح المسالك الى ألفية بن مالك ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٧٤ ، ج ٤٢/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلغنا السماء مجدنا وجدودنـــا وانا لنرجو بعد ذلك ظهـــرا (١)

بدل اشتمال من الضمير البارز الواقع في فاعل بلغنا ، وقد ورد هذا الشاهد في أوضح المسالك (٢) .

وقد عدّى عمرو بن الاطنابة الخزرجي المصدر " اقدام " الى مفعوله دون حرف جـــر وحقه أن يعدّى بحرف جر ، يقول :

واقدامي على المكروه نفســـي وضربي هامة البطل المشيـح (٣)

وفي مجال الأدب ، فموضوعاته خصبة وفيرة ، يستطيع الدارس ذو الحس اللطيف . ولا سيما دارس الأدب أن يتحسس مواطن الجمال في كتب الحماسة ، فيتخير منها ما يروقه من عنوانات تصلح أن تكـــون بحوثا ورسائل ، فقد كشفت لي القراءات الفاحصة في الحماسات عن عنوانات قدّرت أن تكون مـــادة للبحث ، منها " النار في شعر الحماسة " و " الأسلحة في شعر الحماسة " و " المرأة في شعـــر الحماسة " وغيرها من العنوانات .

ويزيـــن الأدب ويجمله ، ويجلو صوره اللطيفة البلاغة العربية في صورها البديعة فترهـف الحس وتغذى الذوق ، وتصبح مادة شهية للبحث والدراسة ، وكتب الحماسة تعبق بما حسن وراق من الشعر العربي الأصيل المفعم بسحر البيان وعميق المعاني ، وزخارف البديع ، مما يفتح أمـــام دارس البلاغة العربية سبل البحث والدراسة في شعر الحماسة ، إمّا كشفا عن مواطن البلاغـــة فيه ، وإمّا نقـــدا .

وتعد الحماسة - في جانب آخر - مصدر توثيق لأنساب الشعراء ، فقد حفظت لنا كتب الحماسة أسماء شعراء أغفلت جزءا منها بعض المظان الاخرى ، ولا سيما المقلين منهم ، وتفـــرد أبو تمام عن غيره من أصحاب الحماسات باثبات شعر لشعراء مقلّين .

ويبدو ذلك واضحا من استعراض أسماء الشعراء في حماسته . وهذا يعني أن ثمة حشـــدا كبيرا من الشعراء قد غيّبوا ، وأن شعرا كثيرا لهم قد ضاع ، ولم يصلنا ، وربما كان لهؤلاء الشعـــراء

١- صدر الدين ، علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٩ هـ) : الحماسة البصريـــة تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان ، جمهورية مصر العربية ، وزارة الاوقاف ، لجنـــة احياء التراث الاسلامي ج ١/ ٢٠.

٢- ابن هشام : أوضح المسالك ج٣/ ٤٠٦. ٣- الحماسة البصرية . ج ١ / ٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دواوين شعرية ضاعت أو أتلفت ، أو ما زالت مخطوطة تنتظر النـــور .

وتبدو أهمية كتب الحماسة ، ولا سيما حماسة أبي تمام في كثرة شروحها . فقد زاد عـدد شارحي حماسة أبي تمام على ثلاثين شارحا . فقد تناول ابن جني - على سبيل التمثل - الحماســة وأعرب أبياتها ، وكتابه هو " اعراب أبيات الحماســة " .

ثالثا : كتب الحماسة ومؤلفوها :

ثمة خلط بين كتب الحماسة وشروحها . فبعض المظان تداخل بين الحماسات وشرحهـا فتجعل بعض الشروح حماسات مستقلة كما هو الحال عند المعرى وأبي هلال العسكرى والأعلـم الشنتمرى ، وبعضهم أنكر حماسة قائمة معروفة كما فعل البغدادى في خزانة الأدب حين أنكـر على البحترى حماستـه .

وقد حاولت جهدى أن أميز بين الحماسات وشروحها ، واجتهدت ما وسعني الاجتهـاد حتى توصلت الى اخراجها على هذا النحو مستعينا بالمظان الأصول المعينة التي ترجمت لأصحـاب الحماسات ، وترجمت لشرّاح الحماسات أيضا ، فرتبت الحماسات حسب وفيات أصحابها ، وكـذا فعلت في ترتيب شرّاح حماسة أبي تمام . وأولى هذه الحماسات حماسة أبي تمام : حبيـب ابن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) .

ثقافتـه :

ربما كان الحديث عن ثقافة أبي تمام ضربا من التزيد وتعريفا بما هو معروف . فشاعـر ذائع الصيت بلغت شهرته الآفاق مثل أبي تمام لا يحتاج الى تعريف أو توضيح ، الّا ما كان لغايـة درسية تقتضيه سبل البحث . وندر أن يخلو مصدر من المصادر - ولا سيما كتب التراجم - من ذكـر لهذا الشاعر المجيد ، فقد أسهبت جل كتب التراجم في الحديث عنه وعن ثقافته وحماسته وشعـره وكذا كتب الأدب والنقد والبلاغة ، فثمة " الموازنة بين أبي تمام والبحترى " للآمدى ، وأخبـار أبي تمام " للصولي ، فضلا عن عشرات الدراسات التي قامت عن أبي تمام وأهمها " أبو تمام بيـن حماسته وشعره " للدكتور محمد بركات أبي علي ، وأبو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله " لعمـر فروخ ، و " أبو تمام : حياته وشعره " لنجيب البهبيتي " وغيرها .

فأبو تمام كان حاد التفكير ، واسع الثقافة ، ممتد الأفق ، ذكر ذلك الصولي في " أخبار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبي تمام " قال : " لمّا أنشد قصيدته السينية التي يمدح بها الخليفة المعتصم ، ووصل الى البيت المشهور الذى يقول فيه :

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء اياس

قال له أبو يوسف ، يعقوب بن الصباح الكندى الفيلسوف وكان حاضرا : الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق قليلا ثم زاد البيتين الأخيرين ، ولمّا أخذت منه القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين ، فعجبوا من سرعة فطنته ، ولمّا خرج ، قال الكندى : هذا الفتى يموت قريبا " (١) .

وزاد ابن خلكان على هذا القول قولا آخر بروايتين الاولى أن ابن الزيات وزير الخليفة قال - حين سمع أبيات أبي تمام - : " هذا لا يعيش أكثر من أربعين يوما ، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكر ، وصاحب هذا لا يعيش الاّ هذا القدر " (٢) . والثانية : أن أبا تمام مدح الوزير ابن الزيات ، فقال له الوزير بعد أن فرغ من الشعر : " يا أبا تمام ، انك لتحلّي شعرك من جواهر لفظك ، وبديع معانيك ما يزيد حسنا على بهي الجواهر في أجياد الكواعب ، وكان بحضرته فيلسوف فقال له : ان هذا الفتى يموت شابا ، فقيل له : ومن أين حكمت عليه بذلك ؟ قال : رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما علمت به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده " (٣) .

أما المسعودى فذكر في مروج الذهب " أن له أشعارا حسانا ومعاني لطافا ، واستنتاجات بديعة (٤) وأورد المسعودى في مروج ذهبه رواية لأحد العلماء بالشعر سئل عن أبي تمام فقال : كأنه جمع شعر العالم فانتخب جوهره " (٥) .

١- أبو بكر بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ) :أخبار أبي تمام، تحقيق محمود خليل عساكر، ومحمد عبده عزام ، ونظير الاسلام الهندى ،قدم له أحمد أمين ، دار الآفاق الجيدة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣١.

٢- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ب ت .

٣- ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١٦/٢.

٤- المسعودى ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محيي الذين عبدالحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٧٣ ، ج ٤/ ٧٠.

٥- المصدر السابق ج ٤/ ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال فيه الذهبي قولا حسنا فذكر " أنه جالس الأدباء وأخذ عنهم ، وكان يتوقد ذكـــاء وسمت قريحته بالنظم البديع [١] . وذكر الذهبي في موضع آخر أنه كان يحفظ أربعة عشر ألـــف أرجوزة للعـــرب . [٢]

وقد أنصفه اليافعي فقال : " وأبو تمام يتقدم شعراء عصره في ديباجة لفظه ، وصناعـــة شعره ، وحسن أسلوبه ، وله كتاب الحماسة الدال على غزارة فضله ، واتقان معرفته ، وحســـــن اختياره وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء . جمع فيه بين طائفة كثيرة من شعراء الجاهليـــين والمخضرمين والاسلاميين ، وله كتاب اختيارات من شعر الشعراء ، وكان له من المحفوظـــات ما لا يلحقه فيه غيره [٣] .

وزاد ابن العماد الحنبلي فقال : " وهو رب معان ، وصقيل ألباب وأذهان ، وقد شهـــد له بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الأغراب الذي يبرز فيـــه على الأضراب ... وكان قوله في البلاغة ما قالت حـــزام " [٤] .

وسئل أبو الطيب المتنبي عنه فقال : " أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري " [٥] وبعد : فان هذا الثناء الجم ، وشهادات العلماء والأدباء والفلاسفة فيه بيان كاشف كاف يصبـــح الحديث بعده ضربا من الفضـــول .

حماستـه :

لم تحظ حماسة من الحماسات - باتفاق - بأهمية أدبية ولغوية كما حظيت حماسة أبـــي تمام - وان كنّا لا نقلل من شأن الحماسات الأخرى - فأصحاب كتب الحماسة الذين كتبوا بعد أبي تمام عيال عليـــه .

١- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨١، ج ١١/٦٤.

٢- المصدر السابق ج ١١/٦٨.

٣- اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ) مرآة الجنـــان، وعبرة اليقظان، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩١٨، ج ٢/١٠٢.

٤- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ج ٢/٧٢.

٥- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٢/٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول محمد محيي الدين عبدالحميد محقق ديوان الحماسة بشرح التبريزي : " وديوان الحماسة أنبه ذكرا ، وأجل خطرا من أن يدل عليه ، أو يشار اليه ... وله عند العلماء كافة منزلة لا تدانيها منزلة ... وآية ذلك عندنا ثلاثة أمور أولها : أنه كان يكفي أحدهم أن يقول : قال الحماسي ليدل على أن هذا الشعر رواه أبو تمام في حماسته " (١)

وقد عرض البحث في صفحاته الاولى أهمية كتب الحماسة بما فيها حماسة أبي تمام لذا سنضرب صفحا عن الحديث عن أهميتها تفصيلا .

وسبب تأليف هذه الحماسة - كما تبين الروايات - أن أبا تمام قصد عبدالله بن طاهر في خراسان ، فقال فيه مدائح حسنة ، ثم همّ بالعودة يريد العراق ، فلما بلغ همدان ، وتناهى الى أبي الوفاء ابن سلمة خبره ، دعاه ، فأنزله خير منزل ، وأكرمه ، واتفق أن سقط ثلج كثير قطع الطريق ، فاغتنم أبو تمام ذلك ، فطوّف في مكتبة أبي الوفاء يطالع فيها ، وينهل منها ما وافق هواه حتى جمع من ذلك خمسة كتب ، ذكر ذلك التبريزي في مقدمة شرحه (٢) . ومن هذه الكتب ديوان الحماسة .

ويقول ابن أبي الاصبع في كتاب تحرير التحبير في هذا المقام : " عليك بالمقطعات فانها في القلوب أحلى وأكمل ، وفي المحاسن أرشق وأجمل ، وبالاسماع أعلق ، والأفواه أعبق " (٣) ولعل في مقولة ابن أبي الاصبع هذه ثناء واستحسانا لصنيع أبي تمام . ويؤكد هذا القول الدكتور محمد بركات أبو علي فيقول :" انها أحب الى النفوس ، وأخف على الفؤاد ، وأثبت في القلوب " (٤) ويرى الدكتور أبو علي " أنه ربما أراد أبو تمام أن يرد العرب الى عاداتهم وتقاليدهم ، ومحامدهم القديمة حتى يتصلوا بقديمهم " (٥) مستندا في ذلك الى ما ذكره الدكتور عمر فروخ عن العرب

١- حماسة أبي تمام ج ١/ ٠٤

٢- المصدر السابق .

٣- ابن أبي الاصبع ، أبو محمد زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد (ت ٦٥٤هـ)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، وبيان اعجاز القرآن ، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف . القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ١٩٨٣ ، ص ٠٢٢

٤- الدكتور بركات أبو علي : أبو تمام بين حماسته وشعره ، ص ٠٥٢٤

٥- المرجع السابق ، ص ٠٥٢٥

٤٠١٦٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" والعرب في نزولهم في الحضر دعاهم ذلك الى الترف واللهو والى ضياع كثير من محامدهم الأولى من الفطرة الخيرة ، والشجاعة والنجدة ، ثم انتشر بينهم كثير من مساوىء المدينة كالشراب ، والانغماس في اللذات ، وتناسي الوفاء " (١) . ولعل ما ذهب اليه الدكتور أبو علي من أفكار واستنتاجات ما يطمئن المرء اليه . وقد رسمت هذه المقطوعات الشعرية التي حشدها أبو تمام في الحماسة معاني البطولة المشرفة ، والشجاعة النادرة ، والاقدام والجرأة والكرم والجود، وحسن الخلق ، والصبر على الشدائد ، مما ستفصله الدراسة في فصل لاحق .

منهج أبي تمام في الحماسة :

ان نظرة فاحصة في المقطوعات الشعرية التي توفر عليها أبو تمام ، وأثبتها في ديوان الحماسة تكشف عن منهج دقيق محكم في اختياره ، فقد حرص أبو تمام في اختياره على تأكيد أصالة العرب الشعرية ، وعلى قدرته في الابداع والاتيان بما هو جديد مبتكر لم يأت به سابقوه فالمفضل الضبي والأصمعي أثبتا قصائد ومقطوعات لشعراء معروفين جلهم . أما أبو تمام فقد أثبت ما حسن وراق من شعر الجاهليّين والاسلاميين مغمورين ومعروفين ، مكثرين ومقلين . وخص أبو تمام قومه فنراه يكثر من شعر الطائيين في حماسته . وقد يلتمس متتبع شعر الحماسة العذر لابي تمام حين يتعصب للطائيين فيكثر من شعرهم وذلك لانه اعتمد الجودة منهجا لاختياره وجعلها أكبر همه . فشعر طيء في الحماسة جيد يؤكد ذوق أبي تمام في اختياره ، وأثبت شعرا كثيرا لشعراء ضبة ، وعبس لمقياس الجودة أيضا . دون عامل الشهرة وكثرة شعر الشاعر .

وقد حرص أبو تمام أن تكون المقطوعة أو القصيدة التي يختارها في معنى واحد يقول الدكتور محمد بركات أبو علي " فاننا نراه يعمد في اختياره الى أن تكون القصيدة التي يضع يده عليها أو الابيات التي يختارها متماسكة الاجزاء ، مرتبطة المعاني متلاحمة النسيج، كأنما هي من صنيع عصره ، ومن تراث بيئته ، ومن أقوال من هم في طبقته من فحول المحدثين " (٢)

ويقول في موضع آخر " وكان أبو تمام يهدف من هذا الاختيار مع حرصه على العروبة

١- الدكتور عمر فروخ : تاريخ الادب العربي ، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط١،١٩٦٥،ج ٢/٣٩.

٢- الدكتور بركات أبو علي : أبو تمام بين حماسته وشعره ص ٥٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاصيلة والفصاحة العدنانية المتوارثة عن أجداده القدامى ، وآبائه الأولين أن يجيء الينا بصور تنضح بالجمال وتسيل بالعذوبة ، وتعلن عن الذوق الرقيق ، والفكر الواضح والسلامة المألوفة في الألفاظ والتراكيب (١) .

ويدرك متتبع مقطوعات حماسته الربط المعنوى والنفسي اللذين يبدوان واضحين في جل مقطوعاته . فأبو تمام كان يثبت مقطوعة تبين شجاعة فارس ما بحلية لفظية حسنة تعكس لغة الشاعر ، وذوقه ، وحرصه على ابراز مقومات البطولة ، ويثبت مقطوعة اخرى تبيّن تسامح الأبطال وثالثة تبرز صفحهم وتسامحهم ، ورابعة تظهر كرمهم مما تجعل صورة البطل أكثر جلاء . وكان أبو تمام يركز على عنصر واحد من عناصر الصورة كالقيادة والشجاعة والقتال أو الكرم أو الحلم والصفح وغير ذلك من الصفات دون أن يجمع هذه العناصر في قصيدة واحدة وهو لو أراد أن يجلو عناصر البطولة في مقطوعة أو قصيدة لأثبت قصائد برمتها يجتمع فيها غير عنصر من هذه العناصر . وقد دفع هذا التوجه - عند أبي تمام - البحث أن يدرس كل عنصر منها في عنوان منفصل .

ورغم هذا التحيّز لديوان الحماسة الا أن أبا تمام حشد موضوعات لا صلة لها بالحماسة فأغفلها البحث منها باب الهجاء وباب الصفات ، وباب السير ، وباب الملح ، وباب مذمة النساء . وقد رتب أبو تمام ديوان حماسته وجعلها في عشرة أبواب هي :

أولا : باب الحماسة

ثانيا : باب المراثي

ثالثا : باب الأدب

رابعا : باب التشبيب

خامسا : باب الهجاء

سادسا : باب الأضياف

سابعا : باب الصفات

ثامنا : باب السير

تاسعا : باب الملح

عاشرا : باب مذمة النساء

١- الدكتور بركات أبو علي : أبو تمام بين حماسته وشعره ص ٥٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شروح حماسة أبي تمام :

لم تحظ حماسة من الحماسات التي نعرف بمكانة خاصة ، ومنزلة رفيعة عند أهل العلم والأدب واللغة مثل حماسة أبي تمام . فقد تعاقب على شرح هذه الحماسة ما يزيد على ثلاثين شارحا عكفوا على شرح أبياتها واعراب ما استصعب منها . وقد قام شرّاح الحماسة المحدثون بتتبع جهود شرّاح الحماسة السابقين مبينين أغلاطهم ، وما قصروا منه . فمحمد بن الحسن بن أحمد الغندجاني العربي الأسود شرح الحماسة في كتاب سمّاه " اصلاح ما غلط فيه أبو عبدالله : الحسين ابن علي النمرى البحرى ، وأبو نصر :منصور بن المسلم بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي الخرجين التميمي يرد على ما قصّر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة . وثمة شروح يكتفي البحث بالاشارة اليها وهي :

شرح أبي رياش ، وشرح أبي الفضل الميكالي ، وشرح الديمرتي، وشرح الشمشاطي العدوى ، وشرح أبي عبدالله النمرى ، وشرح ابن جني ، وشرح ابن فارس ، وشرح أبي هلال العسكرى وشرح أبي المظفر محمد بن آدم الهروى ، وشرح أبي عبدالله الخطيب الاسكافي ، وشرح المرزوقي ، وشرح أبي محمد الحسن بن أحمد الغندجاني الاسود وشرح أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الأندلسي، وشرح أبي العلاء المعرّى ، وشرح أبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده ، وشرح أبي القاسم : زيد بن علي بن عبدالله الفسوى ، وشرح أبي نصر القاسم بن محمد الوأسطي النحوى ، وشرح أبي الحسن : عبدالله بن أحمد الشاماتي وشرح عبدالله بن ابراهيم الخبرى ، وشرح الاعلم الشنتمرى وشرح عاصم بن أيوب البطليوسي ، وشرح التبريزى ، وشرح أبي نصر : منصور بن مسلم بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي الخرجين التميمي ، وشرح أبي المحاسن مسعود بن أحمد بن علي بن العباس البيهقي وشرح أبي الفضل بن الحسين الطبرسي المشهرى الشيعي ، وشرح أبي الرضا : فضل الله ابن علي بن عبيدالله الحسني الراوندى ، وشرح ابراهيم بن محمد بن ملكون الحضرمي ، وشرح أبي علي الحسن بن أحمد الاسترابادى ، وشرح أبي البقاء : عبدالله بن الحسين العكبرى ، وشرح أبي عبدالله الدمشقي محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن جرير الزرعي ، الامام شمس الدين المعروف بابن القيم الجوزية ، وشرح محمد بن القاسم بن عبدالواحد بن زاكو الفاسي ، وشرح يوسف بن عيسى النحوى ، وشرح أبي الحسن : علي بن محمد بن الحارث السعيدى البيارى ، وشرح أبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبي عبدالله محمد بن القاسم بن عبيدالله بن عمران الجنابي البرقمي الشيعي الشهير بماجيلويه، ونظرا لكثرة المصادر التي ترتد اليها هذه الشروح ، فقد اكتفى البحث باثبات هذه المصادر في ثبت المصادر والمراجع ويمكن للدارس أن ينظر فيها .

ثانيا :الحماسة الصغرى " الوحشيات "

وتقع هذه الحماسة في عشرة أبواب مرتبة ترتيب الحماسة الكبرى الاّ في باب المشيب فقد وضعه في الوحشيات بدل السير والنعاس المثبت في الحماسة الكبرى .(١)

وسميت الحماسة الصغرى " بالوحشيات " كما يقول محقق الوحشيات الاستاذ عبدالعزيز الميمني لان هذه المقطوعات التي يحتويها هي أوابد وشوارد لا تعرف عامة ، وأغلبها للمقلين من الشعراء أو المغمورين منهم . ولعل هذه التسمية قد جاءت من كلمة الوحش أو الوحوش التي ما انفكت تشرد من مكان الى آخر ، ويستبعد الفضل التسمية من زاوية اخرى ، اذ ليس في اللسان ما يشير الى ربط بين مادة وحش والوحشيات .

وذكر الميمني أن هذا الكتاب قد اختاره أبو تمام بعد الحماسة الكبرى ، ووجد بعده مكتوبا في مسودة بخطة مترجما بكتاب الوحشيات (٢) . وعدة شعراء الوحشيات قرابة سبعة وخمسمائة شاعر ، وعدة أبياته يقارب ستة وأربعين وألفي بيت من الشعر (٣) .

وشعراء الوحشيات من الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين والامويين والعباسيين .

ثالثا : حماسة البحتري :

(ت ٢٨٤هـ) (٤) وهو أبو عبادة الوليد بن عبيد . قال فيه ياقوت قولا حسنا ، فذكر في معجم الأدباء أنه كان فاضلا وأديبا فصيحا بليغا ، وشاعرا مجيدا ... وقال فيه أبو تمام حين أنشد

١- أبو تمام : الوحشيات : تحقيق عبدالعزيز الميمني ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٨، ص٣٠

٢- المصدر السابق ص٥٠ :

٣- المصدر السابق بكليته .

٤- البحتري : أبو عبادة الوليد بن عبيد ، الحماسة ، ضبطه وعلّق حواشيه ، كمال مصطفى، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط : ١٩٢٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنت أشعر من أنشدني [١].

وحقّ لابي تمام أن يقول في البحتري كلاما جميلا ، فالبحتري تلميذ لأبي تمام . وذكر ابن خلكان في الوفيات ما نصه : " وكان يقال لشعر البحتري سلاسل الذهب وهو في الطبقة العليا " [٢].

وفي موضع آخر يقول ابن خلكان : " وشعر البحتري هو السحر الحلال ، على الحقيقة والسهل الممتنع ، فلله دره ما أسلس قياده ، وأعذب الفاظه ، وأحسن سبكه ، وألطف مقاصده ، وليس فيه من الحشو شيء بل جميعه منتخب " [٣].

وقال الذهبي :" ان البحتري اجتمع بأبي تمام وأراه شعره ، فأعجب به وقال : " أنت أمير الشعر بعدي . قال : فسررت بقوله " [٤].

وهذه الأقوال في البحتري تعزز مكانته الأدبية وتكشف لنا عن سعة ثقافته ، واطلاعه على أدب سابقيه والافادة منها ، ويكشف لنا أيضا عن ذوق البحتري الذي يتجلى في حماسته التي لا تقل شأنا عن حماسة أستاذه أبي تمام.

وتبدو أهمية البحتري ، ومكانته الأدبية واضحتين من أقوال النقاد والأدباء الذين عكفوا على شعره يحللونه ، ويبينون مواطن الجمال فيه ، ومواطن الضعف كذلك ، ويفاضلون بينه وبين شعر أبي تمام ، ومن ذلك ما قام به الآمدي ، فقد ألف كتابه المعروف " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " وهو غني عن التعريف به .

ويسعفنا ديوان البحتري ، وحماسته في معرفة ثقافته ، ومقدار علمه ، وثرائه اللغوي . وزيادة في الكشف عن شخصية البحتري الأدبية نورد قول ابن العماد الحنبلي فيه ، يقول " والبحتري أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوّغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه من الافهام ... وأتي في معانيه بأخلاط الغالية ، ورقى في ديباجة

١- ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١٩/٢٤٨.

٢- ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٦/٢٣.

٣- المصدر السابق ، ج ٦/٢٩.

٤- الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٣/٤٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لفظه الى الدرجة العالية " [١] .

ولما سئل المتنبي عنه وعن أبي تمام قال : " أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى " [٢] وسئل المعرّى عنه وعن أبي تمام فقال : " المتنبي وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى " [٣] .

حماســـه :

حماسة البحترى قيمة بما اشتملت عليه من اختيارات شعرية موفقة ، ودقيقة في طريقـــة تبويبها . ويبدو أن البحترى قد كتب كتابا آخر غير الحماسة سماه ، " معاني الشعر " ذكر ذلـــك ابن النديم [٦] ولعل هذا الكتاب قد ضاع أو تلـــف .

وقد أنكر البغدادى على البحترى حماسته ، وأثبت ذلك في ايراده بيتا من الشعر اختلـــف في نسبته الى قائله ، يقول : " قال العيني : البيت للنابغة الذبياني ، وقيل للنابغة الجعـــدى والأصح أن قائله قيس بن الخطيم ذكره البحترى في حماسته ، ولم نسمع أن للبحترى حماسة " [٥] .

وقد اختار البحترى في حماسته شعرا لشعراء زادوا على ستمائة شاعر ، أكثرهم من الجاهليين والمخضرمين . وبوب حماسته في أربعة وسبعين ومئة باب . وذكر الدكتور أحمد بدوى : " أنهـــا ترجع في الحقيقة الى ثلاثة أبواب هي باب الحماسة ، وباب الأدب ، وباب الرثاء " [٦] . ويقـــول في موضع آخر : " وتستطيع أن ترد الأبواب السبعة والعشرين الأولى الى معنى واحد هو الحماسة ، والأبواب الباقية ما عدا الأخير تدخل كلها في الأدب ، والاجتماع ، ومراثي النساء " [٧] . ويبـــدو

---

١. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٢/٧٢ .

٢- المصدر السابق ج ٢/٧٢ .

٣- المصدر السابق ج ٢/٧٢ .

٤- ابن النديم : الفهرست ص ١٩٠ .

٥- عبدالقادر البغدادى : خزانة الادب ج ٨/٤٩٩/٥٠ .

٦- د . أحمد بدوى : حياة البحترى وفنه ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربـــي ، القاهرة ، ص ١٤٦ .

٧- المصدر السابق ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن البحتري قد تأثر بأستاذه أبي تمام في حماسته . ولعل مراجعة فاحصة في حماستي الرجلين تكشف حقيقة ما يرى الفصل ، وان اختلف البحتري - كما قيل - عن أبي تمام في التبويب . يقول الدكتور أحمد بدوى : " وتمتاز حماسة البحتري بغزارة المعاني ، وكثرة الشعر الذى يتعلق بالأدب والاخلاق فهو أكثر في حماسته ، كما أن الحماسة ، وأمور الحرب في ديوان حماسة أبي تمام قد أخذت أكبر عنايته بالنسبة الى الأبواب التسعة الأخرى " (١).

وهذه المفاضلة التي عقدها الدكتور بدوى تشير بوضوح الى أن حماسة أبي تمام أكثر أبوابا من حماسة البحتري ، وان كان باب الأدب والأخلاق عند البحتري أغزر . لكن البحتري يتميز عن أبي تمام في أنه يفصل ، ويقسم في الموضوع الواحد أكثر من أبي تمام . فأبو تمام - على سبيل التمثل - يذكر شعرا في الصفح والتسامح والحلم تحت باب الأدب دون أن يجهد نفسه بتفصيل هذا الشعر وتقسيمه ، أما البحتري فيضع كل ما يتعلق بالموضوع الواحد في باب واحد ثم يقسم هذاالباب فيقول مثلا باب موأخاة الكرام ، وباب ترك موأخاة اللئام ، وآخر لابتلاء الرجال ، ويقول باب الاعتذار من الفرار ، وباب الاقرار بالفرار ، وباب حسن الفرار وهكذا دواليك في بقية الأبواب . وقد بلغت عدتها أربعة وسبعين ومئة باب .

رابعا : حماسة ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)

ثقافته :

ان التعريف بثقافة رجل بلغ شهرة واسعة ، وحاز مجدا علميا وأدبيا هو من باب التكرار، واعادة ما قاله القدماء فيه ، ولكن غاية الدرس العلمي تقضي أن نتحدث عن ثقافة ابن فارس حديثا مبتسرا أسوة بأبي تمام والبحتري . فكتب ابن فارس الكثيرة التي زادت على خمسة وعشرين كتابا في الأدب واللغة والنحو والفقه والتفسير ، تكشف لنا عن ثقافته الواسعة وعلمه الغزير ، ينضاف الى ذلك شيوخه الكثر الذين أخذ عنهم . فقد كان ابن فارس شاعرا ، فأثبت ياقوت له شعرا في معجم الأدباء (٢)، وكذلك ابن خلكان فقد أثبت له في الوفيات شعرا (٣).

١- أحمد بدوى : حياة البحتري وفنه ، ص ١٤٧.

٢- ياقوت : معجم الادباء ، ج ٢/ ٨٠، ٩٨.

٣- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١/ ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حماسته :

واسمها " الحماسة المحدثة " غير أنني لم أعثر على اشارة تدل على مكان وجودها على الرغم من شهرة صاحبها .

ولكن بعض المصادر قد أثبت نسبتها الى ابن فارس . فقد أشار اليها الثعالبي في اليتيمة وكذلك ابن النديم في الفهرست فقال : " ان له كتاب الحماسة [١] وذكر ياقوت في معجم الادباء " أن له الحماسة المحدثة " [٢] . وأشارت بعض فهارس المخطوطات الحديثة الى أن ابن فارس قد شرح حماسة أبي تمام ، فقد أشار كتاب فهرست مكتبة طهران المركزية الى أن له شرح الحماسة [٣] ، وأورد صاحب فهرس المخطوطات المصورة في كتابه ما نصه : " شرح ديوان حماسة أبي تمام لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى المتوفي سنة (٣٩٥هـ)، وأن الجزء الأول كتب في القرن السابع برسم الخزانة السلطانية المولوية الملكية الظاهرية بخط جميل مضبوط ، وينتهي الى آخر شرح قول سلمى بن ربيعة " حلت تماضر غربة فأظلّت " [٣] .

خامسا : حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء

لأبي محمد عبدالله بن محمد العبد لكاني الزوزني المتوفى سنة (٤٣١هـ) [٤] . الأخبار التي تحدثت عن حياة الرجل قليلة لا تتجاوز عبارات مقتضبة ونتفا متفرقة في المظان المختلفة فقد ذكر الثعالبي في اليتيمة أنه أديب شاعر ظريف الجملة ، خفيف روح الشعر ، كثير الملح والظرف [٥] .

وقال الباخرزى " أدركته ، وأنا بزوزن سنة سبع وعشرين وأربعمئة

١- الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج ٣/٤٠١، وابن النديم : الفهرست ، ص ٨٨.

٢- ياقوت : معجم الادباء ، ج ١/٨.

٣- فهرست مكتبة طهران المركزية ج ٣/٤٤٨.

٤- فهرس المخطوطات المصورة بالقاهرة ج ١/٤٤٨.

٥- العبدلكاني ، عبدالله بن محمد (ت ٤٣١هـ) : حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، تحقيق محمد جبّار المعيبد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٣ . ٦- الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٤/٤٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيخـا " (١) .

ولم يذكر الباخرزى شيئا آخر غير هذا . أما الكتبي فقال فيه : " رجل مشهور من الشعراء حسن الكلام ، غزير العلم ، كثير الحلم ، سمح الحديث ، وكان خفيف الروح ، كثير النوادر والمضاحك سريع الجواب ، قصير القامة ، لا يزيد على ذراعين ، كثّ اللحية ، نحيف الجسم ، الاّ أن وجهه بهي . وكان يكتحل الى قريب من أذنيه ، فأصبح ذا شهرة مضحكة . وكان ملوك خراسان يصطفونه لمنادمتهم وتعليم أولادهم " (٢) .

والصفات التي ذكرها مترجمو حياته هي صفات الندماء .

حماسته :

جعل الزوزني حماسته في عشرة أبواب ، أولها الحماسة ، شأنه في ذلك شأن أبي تمام . غير أن ترتيبه يختلف اختلافا بسيطا عن ترتيب أبي تمام . والأبواب العشرة هي :

أولا : الحماسة

ثانيا : المراثي

ثالثا : الأدب والحكمة

رابعا : الكبر والشيب

خامسا : النسيب والملاهي

سادسا : الهجاء

سابعا : المديح

ثامنا : الأضياف والسخاء واصطناع المعروف

تاسعا : الصفات

عاشرا : الملح

وكل باب من هذه الابواب يضم قطعا شعرية يتراوح عددها بين (١٤٠ - ١٦٠) قطعة

١- الباخرزى، نور الدين أبو الحسن علي بن الحسن (٤٦٧هـ) :دمية القصر وعصرة أهل العصر تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨م ج ١/١٧٤.

٢- الكتبي :محمد بن شاكر بن أحمد (٧٦٤هـ) :فوات الوفيات ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ب ت ، ج ١ ٤٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينتهي الباب بأقوال وحكم نثرية (١).

ويبدأ هذه الاقوال عادة بأحاديث نبوية يتبعها بأقوال للصحابة والتابعين والحكماء وغيرهم. (٢)

وثمة أمر آخر وهو أن الزوزني كان يبدأ كل باب من أبواب الكتاب بقطعة لشاعر جاهلي ، ثم يتدرج بذكر الشعراء ، وغالبا ما تكون هذه القطع الشعرية لشاعر من شعراء الأصمعيات أو المفضليات ، أو من حماسة أبي تمام . أما باقي القطع ، فلم يلتزم المصنف بزمن معين يقف عنده ، ولا يتعدّاه ، وانما روى شعر معاصريه من الشعراء ، كما لم ينس نفسه وذويه فاختار من أشعاره ، وأشعار أبيه ، وجده ما يلائم الباب . يقول في مقدمة حماسته : " انه ألّفها للنشيء خاصة فقد وجد أن حماسة أبي تمام عسيرة ، فألف حماسته لتكون مدخلا لمن أراد أن يدرس حماسة أبي تمام." (٣)

سادسا : حماسة ابن الشجرى (ت ٥٤٢هـ) :

ومصنفها أبو السعادات ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني .

ثقافته :

تتجلّى ثقافة ابن الشجرى وعلمه في مؤلفاته القيّمة - على قلتها - وتتجلّى كذلك في أقوال العلماء والأدباء فيه ، فقد قال فيه ياقوت في معجم الأدباء : " كان اماما في اللغة والنحو وأشعار العرب عالما بأيامها وأحوالها ، متضلعا من الأدب كامل الفضل . وقد أقرأ النحو سبعين سنة ، ... وكان ذا سمت حسن وقورا لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة الاّ تتضمن أدب نفس أو أدب درس " (٤).

وقال ابن خلكان فيه : " كان حسن الكلام حلو الألفاظ فصيحا جيد البيان والتفهيم ... وكان بينه وبين ابن جكينا البغدادى الحريمي ، الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثليه

١- حماسة الظرفاء ، ج ١/٨١، ٨٤.

٢- المصدر السابق ، ج ١/١٤٧ ، ١٤٩.

٣- المصدر السابق ج ١/٨١ ، ٨٢.

٤- ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ /٢٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين أهل الفضائل " [١] . وقال فيه الذهبي قولا حسنا . [٢]

حماسته :

وحماسة ابن الشجرى هي مجموعة قصائد ومقطوعات وأبيات اختارها ابن الشجرى على غرار الحماسات السابقة ، ولا سيما حماسة أبي تمام ، ولكنه يختلف عنها في طريقة التبويب والترتيب وتمثل قصائدها ومقطوعاتها عصرى الجاهلية والاسلام والعصر العباسي .

وقد جعل ابن الشجرى حماسته في تسعة أبواب هي :

أولا : باب الشدة والشجاعة

ثانيا : باب اللوم والعتاب

ثالثا : باب المراثي

رابعا : باب المديح

خامسا : باب الهجاء

سادسا : باب الأدب

سابعا : باب النسيب ويدخل في هذا الباب عدة فصول هي : فصل في الارتياح عند هبوب الرياح ، وثان في الاشتياق عند لمعان البروق ، وثالث في النزاع عند نوح الحمام وآخر في الطيف والخيال ، ومقطعات غزل لجماعة من المحدثين .

ثامنا : باب الصفات والتشبيهات

وقد قسم ابن الشجرى هذا الباب الى فصول مختلفة ، فجعل فصلا في صفات النساء وضم فيه القضايا التالية :

أ - فصل في طيب النكهة ، وعذوبة الريق .

ب - فصل في طيب الريح .

جـ - فصل في حسن الحديث وطيبه .

د - فصل في وصف المضاجعة، وشدة الالتزام

وجعل ابن الشجرى كذلك فصلا في وصف الطبيعة ، وصورها ، وبعض الظواهر

١- ابن خلفكان : وفيات الاعيان ، ج٦/٤٥٠

٢- الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢٠ / ١٩٤ - ١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكونية وضم فيها ما يلي أيضا :

أ - وصف النار .

ب - وصف التنائف والوحش والابل والركب وأخبية السفر

جـ - وصف الليل والنجوم والمجرة والهلال والصبح .

د - وصف الرياض والمياه .

هـ - وصف السحاب والغيث والبرق

وأما الفصل الثالث من هذا الباب ، فقد جعله في وصف آلة الحرب وتشبيهاتها أما الفصل الرابع ففي وصف الشعر والشيب والشباب والخضاب . وخصص الفصل الخامس لوصف الخمرة وتشبيهاتها ، وأفرد فصلا لوصف الكتب والخط وآلته ينضاف الى هذى الفصول كلها فصول في الغزل والمديح والهجاء ، والمعاني المختلفة الأخرى .

تاسعا : باب الملح

ويكشف لنا اختياره الكثير الموفق ، وترتيبه المقبول المتقن عن ذوق ابن الشجرى وسعة ثقافته ، واطلاعه ، وأنه كان مبدعا غير مقلد لسابقيه ممن صنفوا الحماسات . وحماسته جديرة بالبحث والدراسة ، فهي غنية بموضوعاتها القيمة .

سابعا : **حماسة الشاطبي (ت ٥٤٧هـ)** : ومؤلفها أبو عامر ، محمد بن يحي بن محمد بن خليفة الشاطبي الأندلسي .

ثقافته :

الذين ترجموا للشاطبي لم يفصلوا في الحديث عن حياته كما هو الحال عند سابقه فما ذكر عنه نتف قليلة . فقد ذكر الصفدى أنه " مهر في الأدب والعربية ، وبلغ الغاية من البلاغة والكتابة ، والشعر ، ولقي أبا العلاء ابن زهر ، وأخذ عنه الطب ، وبعد صيته في ذلك مع المشاركة في عدة علوم ، وكان رئيسا معظما جميل الرواء ، له مصنف كبير في الحماسة ، وآخر في ذكر ملوك الأندلس ، والأعيان والشعراء " [1] . وكرّر السيوطي ، واسماعيل البغدادى ما ذكره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفدي [١].

حماسته :

ورد ذكر حماسة الشاطبي عرضا في المظان التي تحدثت عن الشاطبي ، دون تفصيل فيها . فبعض المصادر ذكرت أن له مصنفا كبيرا في الحماسة [٢]، وبعضها ذكر أن له الحماسة [٣].

ثامنا : حماسة الشميم لحلّي :

(ت ٦٠١هـ) وهو أبو الحسين علي ابن عنتر بن ثابت النحوي اللغوي .

ثقافته :

أخبار الحلي الكثيرة ، وطرائفه الفريدة ، ومجالسه الفكهة التي حفلت باللطائف والغرائب وصنوف الظرف والضحك تكشف لنا عن شخصية متميزة ذات ثقافة متميزة ، وعن نفس ذات طباع غريبة فقد كان كثير الاحتقار للمتقدمين ، شديد الاستهانة بهم وبعلمهم ، معرضا بهم في مجالسه ،بالغ الثقة بنفسه ، رافعا من قدرها ، وكان ممسكا ، وفيه حمق . وقد أثبت ياقوت كثيرا من أخباره ونوادره ، وحكاياته الغريبة هذه في أثناء الحديث عن حياته ، منها على سبيل التمثل قول شميم " ان تصانيفي في الأدب كثيرة ، وذلك أن الاوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم ، وبوّبوها ، وأما أنا فكل ما عندي من نتاج أفكاري ... وأن أبا تمام جمع أشعار العرب في حماسته ، وأما أنا فعملت حماسة من أشعاري وبنات أفكاري " [٤].

وذكر القفطي " أنه قدم بغداد ، وأقام مدة طويلة يقرأ النحو على أبي محمد ابن الخشّاب وغيره من الأدباء حتى حصل طرفا من النحو واللغة ، وحفظ جملا من أشعار العرب . [٥]

وذكر الذهبي " أن له عدة تواليف أدبية فيها الغث السمين... وأنه كان كثير الدعاوى، مقيم الفشار ، يشتم أبا تمام ، وأبا العلاء ، ويزري بامرىء القيس ، فهو في عداد مجانين

١- السيوطي : بغية الوعاة ج ١/٢٦١. واسماعيل البغدادي : هدية العارفين ١/٩١.

٢- الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٥/١٩٦ ،والسيوطي : بغية الوعاة ١/٢٦١.

٣- اسماعيل البغدادي : هدية العارفين ج ١/٩١.

٤- ياقوت : معجم الادباء ج ١٣/٥٣.

٥- القفطي : انباه الرواة ج ٢/٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النبلاء " [١]

حماسته :

صنع الحلي حماسته من أشعاره ، فهو - كما يقول - قد جمعها من نتاج أفكاره . وقد أثبت ياقوت بعضا من أشعاره التي ضمنها حماسته . يقول الشميم [٢] :

لا تسرحن الطرف في بقر المها ... فمصارع الآجال في الآجال

كم نظرة أردت وما أخذت بها ... مصمي لمن قتلت أداة قتال

سنحت وما سمحت بتسليم واقـ ... ـلال التحية فعلة المغتال

وقوله : [٣]

أصخ انما مدح الفتى وهجاؤه ... لدى الطبن النقريس ذا توام لذا

فحيث انثوى ملقي المديح عما الثوى ... تراح بها من أينها قلص الهجا

ومن ليس أهلا للمديح ولا الهجا ... فعيناه في عين الرضا ظلمة العمر

ويزرى بضرغام الغريف زئيره ... على ذيخ [٤] عنو حرّ أو أغضف عوى

وذكر ابن خلكان " أن الحلي قد جمع من نظمه كتابا سمّاه الحماسة ورتبه على عشرة أبواب وضاهى به كتاب الحماسة لأبي تمام " [٥] وزاد الذهبي على ما أورده ابن خلكان فقال : " ويندر له المعنى الجيد " [٦].

ويبدو أن الحلي قد شرح حماسة أبي تمام الى جانب مصنفه في الحماسة . فقد ذكر اسماعيل البغدادي في كتابه " هدية العارفين " أن له شرح حماسة أبي تمام ، وهو بعنوان " اللمامه في شرح الحماسة " [٧] ولكن تفرد البغدادي بهذا الرأى دون رجوعه الى مظان يوثق منها رأيه

١- الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢١/٤١١، ٤١٢.

٢- ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ١٣/٥٩.

٣- المصدر السابق ج ١٣/٦٢.

٤- الذيخ : الذئب ، اللسان ، مادة ذيخ .

٥- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ / ٣٣٩.

٦- الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢١/٤١١.

٧- اسماعيل البغدادى : هدية العارفين ج ١/٧٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد يضعف قولـه .

تاسعا : " صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب " [١] لأحمد بن عبدالسلام الجراوى (ت ٦٠٩هـ) .

ثقافته :

حظي الجراوى باهتمام كتّاب عصره ، فقد ذكره غير واحد مما يشير الى مكانته العلميـــة المتميزة . فقد ذكره ابن الأبار قال : " كان عالما بالأدب حافظا بليغ اللسان ، شاعرا مفلقا . وقـد وقفت على ديوان شعره وألف للسلطان كتابا في معنى الحماسة لحبيب سمّاه " صفوة الأدب ونخبة كلام العرب " أخذه الناس عنه ، وكان شيخنا أبو الحسن سهل بن مالك يثني على هذا التأليف [٢] " أما ابن خلكان فقد ذكره في أثناء الحديث عن يوسف بن عبدالمؤمن ، فقال : " وكان هذا الأديـب غاية في حفظ الاشعار القديمة والمحدثة ، وتقدم في هذا الشأن وجالس به عبدالمؤمن وولده يوســف ... وجمع كتابا يحتوى على فنون الادب ، وديوان العرب وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهـل المشرق ... وله نوادر ، وملح مستظرفة عند أهل الأدب ، ومن ذلك أنه حضر يوما الى دار الأميـر يوسف بن عبدالمؤمن ومعه سعيد الغمارى فقال الأمير يوسف : ومن عجائب الدنيا شاعر من كورايا وطبيب من غماره ، فبلغ ذلك الكوراى ، فقال : وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، وأعجب منهما - والله خليفة من كومية " [٣] . فهذه الحكاية تبين أن أحمد بن عبدالسلام كان على قدر من الأهمية والأدب في زمانه ، وأنه كان يحظى بمنزلة رفيعة عند الخلفاء والأمراء ، وخبره مع الأمير يوسف بن عبـد المؤمن ، وما كان بينهما من تقـارب وود ومنادمات يؤكد ذلـك .

وقال فيه ابن سعيد المغربي قولا حسنا فذكر " أنه من شيوخ أدباء المغرب . رزق طـــول العمر والجاه ، ومجالسة الخلفاء ، فأول من جالسه منهم عبدالمؤمن ، ثم جالس أبا يعقوب ثـــم جالس المنصور ، وصنف له كتاب " صفوة الادب المشهور " بحماسة الكوراشـي " [٤] . وقال فـي موضع آخر : " ولما احتيج الى رجل عامل عارف يجالس ابن منقذ رسول صلاح الدين بن أيـــوب

١- أحمد بن عبدالسلام الجراوى (ت ٦٠٩هـ) صفوة الادب ونخبة ديوان العرب ، حققه ودرســه محمد علي منيف وقدمه الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة لنيل درجة الماجستير ١٤٠٧هـ.

٢- ابن الابار :أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنّسي (ت ٦٥٨هـ)التكملـة لكتاب الصلة ، صححه ، وعني بنشره عزت العطار الحسيني ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٦ ج ١/١٣٨.

٣- ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٧/١٣٦. ٤ - ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)الغصون ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواصل من الشرق ٠ وقع الاختيار عليه ، فما أتيح لأحد مجالسته سواه " (١)

وذكره في موضع آخر فقال : " ولما عظم أبو زيد بن يوجان في وزارته أغرى المنصور بالكورائي وقال له : انه من أهل الشعر والهزل ، وما يليق بمجالس الخلافة الاّ أهل العلم والجد ٠ وهو أديب المغرب على الاطلاق في زمانه مع ما له من اعتداد بالنفس والاقتدار في التقصيد " (٢) ٠ وذكره الحميري - في أثناء حديثه عن جراوة - فقال :" ولعل أحمد بن عبدالسلام الجراوي شاعر بني عبد المؤمن وابنه يوسف ، وابنه يعقوب ، وكان حافظا ، وصنف للمنصور يعقوب مجموعا من أشعار الناس رتبه على أبواب حماسة أبي تمام ، وكان غيورا على الشعر حسودا للشعراء ، ناقدا عليهم غير مسلم لأحد منهم (٣) "، وقال الصفدي فيه : " شاعر محسن له ديوان وحماسة أجاد فيها " (٤) ٠ وكرر العباس بن ابراهيم في كتابه الاعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام ما ذكره سابقوه (٥) ٠

ويبدو أن قول الحميري فيه يؤكد ما ذهب اليه ابن سعيد في ابراز مكانته الأدبية بين شعراء عصره ٠

حماسته :

يبدو أن ثمة خلطا قد وقع في عنوان حماسته ، فقد أشار محمد علي منيف في تحقيقه كتاب " مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب " الى أن تسمية الكتاب بالحماسة المغربية أمر طارىء على الكتاب ، وليس من عمل المؤلف ، ورجح أن الحماسة المغربية هي حماسة البياسي التي تسمى أيضا بالحماسة البيّاسيّة ٠ ( )

... اليانعة في محاسن المئة السابعة ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار المعارف ، القاهرة - ص٩٩ - ١٠٠٠

١- ابن سعيد المغربي : الغصون اليانعة ، ص ١٠١٠

٢- المصدر السابق ص ١٠٢٠

٣- محمد عبدالنعيم الحميري (ت ٧٢٧هـ) :الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة لبنان ، دار القلم للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٥، ص ١٦٣٠

٤- الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٧/ ٦١٠

٥- عباس بن ابراهيم : الاعلام بمن حل في مراكش وأغمات من الأعلام ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٧٤ج ١/ ٢٤٣٠

٦ - الجراوي : صفوة الادب ونخبة ديوان العرب ص٩٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن وقع في هذا الخلط من المتأخرين الزركلي [١] وكحالة [٢] . فقد ذكرا أن له " صفوة الأدب " ونخبة ديوان العرب " وتعرف بالحماسة المغربية .

وقد رتّب الجراوى أبواب حماسته ترتيبا قريبا من ترتيب حماسة أبي تمام وليس كترتيب أبواب حماسة أبي تمام كما ذكر الحميرى . وهي :

أولا : باب المدح

ثانيا : باب الفخر

ثالثا : باب المراثي

رابعا : باب النسيب

خامسا : باب الاوصاف

سادسا : باب الامثال والحكم

سابعا : باب الملح

ثامنا : باب ذم النقائص

تاسعا : باب الزهد والمواعظ

عاشرا : حماسة البياسي ، أبو الحجاج يوسف بن ابراهيم الانصارى البياسي (ت ٦٥٣هـ) وتعرف حماسته بالحماسة البيّاسية أو المغربية .

ثقافته :

حظي البياسي باهتمام الأدباء وأصحاب التراجم . فالمصادر التي تحدثت عنه كثيرة فقد ذكر ابن خلكان أنه كان أديبا بارعا فاضلا مطلعا على أقسام كلام العرب من النظم والنثر وراويا لوقائعها ، وحروبها وأيامها . بلغني أنه كان يحفظ الحماسة لأبي تمام ، والأشعار الستة ، وديوان أبي تمام ، وديوان المتنبي ..." [٣] . وذكر ابن خلكان أن له كتاب الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام [٤] . أما الذهبي فقد قال فيه : " هو صاحب فنون ، ونكاء ، حفظ الحماسة والعقليات

١- الزركلي : الاعلام ج ١/ ١٥٠ .

٢- كحالة : معجم المؤلفين ج ١/ ٢٧٣ .

٣- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٧/ ٢٣٨ .

٤- المصدر السابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودواوين أبي تمام ، والمتنبي ، وأبي العلاء المعرّي ، وغير هؤلاء [١] . وقال فيه الكتبي أنه كان أحد فضلاء المغرب وحفّاظها [٢] . وقال فيه السيوطي قولا حسنا [٣] ، وكذلك ابن العماد الحنبلي [٤] .

حماسته :

وتكمن أهمية حماسة البياسي في أنها حفظت شعرا كثيرا لشعراء مغمورين ومعروفين من المشرق والمغرب على حد سواء ، ويبدو أن هذه الحماسة كبيرة ، فهي تقع في مجلدين [٥] . وذكر ابن خلكان أنه قرأ النسخة عليه ، وعليها خطه ، وأنه ألّف الحماسة سنة خمسين وستمائة غير أنه قال في آخر الكتاب : وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس سنة أربعين وستمائة [٦] . ولست أرى اختلافا بين التاريخين ، فلعله أعاد كتابته مرة ثانية سنة خمسين وستمائة .

وبيّن البياسي أسباب تأليف حماسته كما أوردها ابن خلكان ، فقال : " أما بعد ، فاني قد كنت في أوان حداثتي ، وزمان شبيبتي ، ذا ولوع بالأدب ، ومحبة في كلام العرب ، ولم أزل متتبعا لمعانيه ، ومفتشا عن قواعده ومبانيه ، الى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ، ولا يصلح بالناظر في هذا العلم الاّ أن يكون عنده مثلها ، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب : جاهليّيها ومخضرميها واسلاميّيها ومولّديها ، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم ، ما تحسن به المحاضرة ، وتحمل عليه المناظرة . ثم اني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها ، مؤذن بذهابها ، ومؤدّ الى فسادها ، فرأيت أن أضم مختارها وأجمع مستحسنها ، تحت أبواب تقيد نافرها ، وتضم نادرها ، ونظرت في ذلك ، فلم أجد أقرب تبويب ، ولا أحسن ترتيب ، مما بوبه أبو تمام في كتاب الحماسة ، وحسن الاقتداء به والتوخي لمذهبه ، لتقدمه في هذه الصناعة وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة ، فأتبعت في ذلك مذهبه ، ونزعت منزعه ، وقرنت الشعر بما يجانسه ، ووصلته بما يناسبه ، ونقحت ذلك ، واخترته على قدر استطاعتي ، وبلوغ

١- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٣/٣٣٩ .

٢- الكتبي : عيون التواريخ ، تحقيق الدكتور فيصل السامر ، ونبيلة عبدالمنعم داود ، الجمهورية العراقية ، وزارة الاعلام ، سلسلة كتب التراث (٤٧) ١٩٧٠م ، ج ٢٠/٨٣ .

٣- السيوطي : بغية الوعاة ، ج ٢/٣٥٩ .

٤- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٥/٢٦٢ .

٥- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٧/٢٣٨ .

٦- المصدر السابق ج ٧/٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جهدى وطاقتي "(١).

ويبدو أن البياسي - لالمامه باللغة - كان يدرّس هذه الحماسة ، أو يلقيها على الطلاب في مجالس العلم ، ويتضح ذلك من خلال التعليقات سواء كانت توضيحا لمبهم ، أو اثباتا على قضية نحوية أو صرفية ، أو بيان مواطن جمالية وبلاغية في المقطوعات الشعرية ، وكان يحتج بأقوال علماء اللغة السابقين ، ومن أمثلة ذلك ايراده بيتي المجنون التاليين :

تعلقت ليلى وهي غر صغيرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعي البهم يا ليت أننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

البهم : الصغار من أولاد الضأن ، الواحدة بهمة ... وهذان البيتان يستدل بهما النحاة على انتصاب الحال من الفاعل والمفعول به معا بلفظ واحد ، فان " صغيرين " انتصب على الحال من التاء في قوله " تعلقت " ، وهي فاعلة ، ومن ليلى ، وهي مفعولة .(٢)

وقد أورد ابن خلكان ثلاث عشرة مقطوعة شعرية من حماسة البياسي شواهد على أبواب حماسته مختلفة كالنسيب ، والرثاء ، والقرى والأضياف ، والمديح والفخر وغيرها .(٣)

حادى عشر : الحماسة البصرية : ومؤلفها صدر الدين ، علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٩هـ).

ثقافته :

ان حماسة كبيرة كحماسته ، شهد له لها كثيرون ، لتدل دلالة واضحة على عمق ثقافة البصري واهتمامه بالادب ، غير أنه لم يحظ باهتمام أصحاب التراجم ، وأعرضوا عن ذكره ، وقد ذكر ذلك محقق الحماسة البصرية مختار الدين أحمد في مقدمة الحماسة فقال " ومن العجائب أن صاحبنا مجهول الى حد قد خلا جميع كتب التراجم والتأريخ من بيان أحواله وترجمته ، وأن علماء التراجم والمؤرخين قد ثبتوا أحوال رجال ما كانوا ذوى أهمية ، وأن صاحبنا قد ألف كتابين ، وأنه كان ذا وجاهة بنفسه ، وكان ممن تولى تربيته وتنشئته ملوك وأمراء وأنه عاصر ملوكا وأمراء وكان له معهم علاقات

١- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٧/٢٣٨.

٢- المصدر السابق ج ٧/٢٣٨.

٣- المصدر السابق ج ٧/٢٤٠ - ٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وروابط ... وكانت له علاقات حميمة مع علماء ذلك العصر ومؤرخيه " [١].

وذكر عباس العزاوي في كتابه التعريف بالمؤرخين " أنه من رجال القرن السابع الهجري، وأنه الشيخ العلامة شيخ الأدب ، وحجة العرب . من مؤلفاته كتاب " المناقب العباسية " . قال فيه أبو عطاء السندي :

ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم ... ولا عاصم الا قنا ودروع

حبست به نفسي على موقع الردى ... حفاظا وأطراف الرماح شروع

وما يستوي عند الملمات ان عرت ... صبور على مكروهها وجزوع

وما أعلمه أن أبا عطاء السندي من شعراء القرن الثاني ووفاته سنة (١٨٠ هـ) وليس ثمة ما يشير الى أنه من شعراء القرن السابع .

حماسته :

تقع حماسته في مجلدين كبيرين ، يقول مختار الدين أحمد محقق الحماسة البصرية " ان البصري قد صنف الحماسة ورتبها ، وهي من أهم الحماسات ، وان كان مؤلفها مجهولا [٢] . وهذا يعني أن ثمة مؤلفا آخر لهذه الحماسة وأن ما فعله البصري هو تشذيب لها وترتيب ، ولعله - كما يتضح من قول مختار الدين - قد غير فيها وأضاف ، وأنه عنونها باسم الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبي المظفر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر . وقد أفاد من هذه الحماسة كثيرون مثل جلال الدين السيوطي في كتابه شرح شواهد المغني [٣]، وعبدالقادر البغدادي في كتابه خزانة الأدب [٤] وغيرهما . وقد انتفع بها أيضا علماء اللغة والأدب في تخريج الأشعار ، والوقوف على الروايات المختلفة في كتبهم . [٥]

١- الحماسة البصرية ب ج ١/٢١.

٢- عباس العزاوي : التعريف بالمؤرخين ، وزارة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٧ ، ص ١٧١.

٣- الحماسة البصرية ب ج ١/١٧.

٤- السيوطي : شرح شواهد المغني ، تحقيق محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، المطبعة البهية ، القاهرة ، ١٣٢٢هـ ، ١٩٠٤م.

٥- عبدالقادر البغدادي ، خزانة الادب ١/١٠/٣٥٦، ج ٢ / ٣٦٩/٤٤ ومواضع اخرى كثيرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أفاد البحتري في حماسته من كتب الحماسات السابقة ، ولا سيما حماستي أبي تمام والبحتري ، ولذا فقد فاقت الحماسة البحترية نظيراتها من الحماسات حجما ٠

وقد سار البحتري في تقسيم أبواب حماسته على نهج قريب من نهج أبي تمام مع اختلاف في ترتيب هذه الأبواب وتسميات بعضها الآخر ٠ وأبواب حماسته هي :

أولا : باب الحماسة

ثانيا : باب المديح والتقريظ

ثالثا : باب الرثاء

رابعا : باب الادب

خامسا : باب الغزل والنسيب ٠

سادسا : باب القرى والاضياف

سابعا : باب الهجاء

ثامنا : باب الوصف والملح

تاسعا : الزهد والمواعظ

ثاني عشر : حماسة العبيدي :

ومؤلفها محمد بن عبدالرحمن بن عبدالمجيد العبيدي من رجال القرن الثامن الهجري وتسمى هذه الحماسة " بالتذكرة السعدية في الأشعار العربية " ٠

ثقافته :

لم يحظ العبيدي باهتمام أصحاب التراجم المتأخرين ، لكن المتتبع لحماسته الكبيرة يستطيع أن يقف على الجهد المبذول في سبيل اخراجها ، وعلى ثقافته الواسعة ٠ فالعبيدي ذو ذوق متميز يظهر جليا في اختياره المقطعات ذات الجودة العالية ، والبيان الغني بالصور والتشبيهات والاستعارات وغير ذلك ، ينضاف الى ذلك كبر حجم حماسته ٠

حماسته :

ذكر عبدالله الجبوري محقق التذكرة السعدية ـ أن هذه الحماسة قد حفظت حماستين ضائعتين هما الحماسة المحدثة لابن فارس ، والحماسة العسكرية لأبي هلال العسكري ٠ فالحماستان كانتا في علم الغيب ، لا يعرف عنهما شيء ، وليس ثمة ذكر لهما عند المؤرخين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأدباء [١].

وقد أفاد العبيدي من هاتين الحماستين كثيرا حتى جعلهما مادة أصلية لتأليف كتابه وكان يقول في أثناء نقله " الى هنا أنشد ابن فارس ، أو الى هنا أنشده أبو هلال " [٢].

وأفاد أيضا من حماسة أبي تمام ، والشواهد على ذلك كثيرة في حماسته [٣] والتذكرة السعدية تضاهي الحماسة البصرية حجما ، وهي -كما يقول الجبوري - تنطوي على الف وسبعمئة وعشر مقطعات ، وعدد شعرائها يزيدون على ألف ومئة وخمسة وسبعين شاعرا [٤].

وثمة أمر آخر وهو أن العبيدي قد وقع على مقطعات شعرية لشعراء مغمورين كثر فضلا عن حسن تأتيه لقصائد ومقطوعات شعرية جيدة لشعراء معروفين أمثال : أبي نوّاس ، وأبي تمام والبحتري ، والمتنبي ، وأبي فراس الحمداني ، وكشاجم ، والصاحب بن عباد ، وغيرهم .

وقد رتب هذا الشعر الغزير في أربعة عشر بابا هي :

أولا : باب الحماسة والافتخار

ثانيا : باب الأدب والحكم والأمثال

ثالثا : باب النسيب

رابعا : باب المدح والاستجداء والاستعطاف والتقاضي

خامسا : باب المراثي

سادسا : باب الهجاء

سابعا : باب الاخوانيات

ثامنا : باب التهاني

تاسعا : باب الاعتذار

عاشرا : الصفات

١- التذكرة السعدية ، ص ٥٠

٢- المصدر السابق ، ص ٥، ١٤٥، ٢٣٧، ومواضع اخرى .

٣- المصدر السابق ص ١٠٧، ١٤٣، ٢١٩، ٤٣٦، ٤٣٧، ومواضع أخرى .

٤- المصدر السابق ، ص ٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حادى عشر : المعاتبات والشكاية من حوادث الزمان ، والصبر عليها .

ثاني عشر : الملح

ثالث عشر : الأشياء والقضايا المتفرقة .

رابع عشر : الدعاء

وقد ذكرت هذه الأبواب في مقدمة الحماسة ، ويلاحظ من هذا الترتيب الذى اتبعه العبيدى ، أنه كان يتفق مع أبي تمام حينا ، ويفترق حينا آخر ، ومثال ذلك أن أبا تمام قد جعل الحماسة بابا مستقلا في حين دمجه العبيدى مع باب الافتخار ، ومن ذلك أيضا أن أبا تمام قد جعل بابا لمذمة النساء ، في حين لم يوردها العبيدى أما منهجه في الاختيار فيقوم على أن يختار لكل باب من الأبواب مقطعات أعجبته من حماسة أبي تمام ، ثم من حماستي العسكرى وابن فارس ، ثم من أشعار الطائيين والمتنبي وأشعار المتأخرين وشعراء عصره ، وأوجد أبوابا جديدة وعناوين طريفة .

ثالث عشر : حماسة النجفي :

ومؤلفها عباس بن محمد القرشي النجفي (ت ١٢٩٩هـ) وتسمى حماسته " بالمجموعة الأدبية " ، وهو شاعر وأديب من أهل النجف ، له المجموعة الأدبية التي ذكرناها فضلا عن ديوان شعر . (١)

ذكر الزركلي في الأعلام أن له ذكرا في كتاب رجال الفكر وكذلك في دار الكتب (٢) وكذا قال كحالة في معجم المؤلفين (٣) ، غير أني لم أعثر على كتاب رجال الفكر ، أما دار الكتب فليس فيها شيء عن حياة الرجل أو عن ذكر لمخطوطه .

وقرأت في كتاب عباس العزاوى " تاريخ الأدب العربي في العراق " فلم أقع على ذكر لعباس القرشي النجفي ، في حين أن العزاوى قد أورد في كتابه عددا كبيرا من الشعراء العراقيين ممن عاصروا صاحبنا (٤) .

١- الزكلي : الاعلام ، ج ٣ /٢٦٥ . ٢- المصدر السابق ج ٣/٢٦٥ .

٣- كحالة : معجم المؤلفين ج ٥/٦٤ .

٤- عباس العزاوى : تاريخ الادب العربي في العراق ،بغداد،المجمع العلمي العراقي ١٩٦٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حماسته :

وزد في الصفحة الأولى من مخطوطه الذى وقعت عليه في مكتبة الجامعة الأردنية تصدير كتب المؤلف - بخط يده الواضح جاء فيه : " أما بعد : فاني أحببت أن أجمع في هذا الكتاب من جيد الشعر ما تيسّر لي جمعه من كتب الأدب ، ولم آل جهدا في ترتيبه واختياره بحسب معرفتي القاصرة . فرجائي ممن نظر فيه غض النظر عما أخطأت به من الترتيب "، ومن أخذ ما استحسنته من أبيات بعض القصائد ، وترك الباقي منها ، وقد جعلته عشرة أبواب :

الباب الاول : في الفخر والحماسة .

الباب الثاني : في المراثي

الباب الثالث : في النسيب .

الباب الرابع : في المديح .

الباب الخامس : في الهجاء .

الباب السادس : في الأدب

الباب السابع : في العتاب

الباب الثامن : في الاوطان

الباب التاسع : في الصفات

الباب العاشر : في الخمر

وختم مخطوطه بقوله : " تم بحمد الله في قرية جبع تعليم مرتبه الحقير المذنب الجاني عباس القرشي النجفي ، وقد وافق الفراغ منه غرّة ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية صلى الله على مهاجرها وآله وأصحابه وسلم " (١).

ولعل المخطوط الذى ذكره الزركلي في الأعلام وعرّفه " بالمجموعة الأدبية " وقال فيه : كتبه بخط يده ، لعله هو المخطوط الذى وقعت عليه ، وثمة نسخة منه بين يدى . ولعله كتاب آخر وذلك لأنه قال : له المجموعة الأدبية بخط يده سنة خمس وتسعين ومائتين وألف .

وهذا المخطوط الذى بين يدى نص فيه زمن الفروغ منه كما ذكرنا (سنة ست وثمانين ومائتين بعد الالف .

١- مخطوط القرشي النجفي الذى لم يخ له اسما ص١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامس عشر : وثمة أصحاب حماسات اختلف فيهم ، فبعضهم عدّ من أصحاب الحماسات عند بعض أصحاب كتب التراجم والأدب واللغة ، بينما عدّ شارحا لحماسة أبي تمام عند الفريق الآخر من أصحاب كتب التراجم والأدب واللغة ، فمن ذلك على سبيل التمثل أبو هلال العسكرى فقد عدّه صاحب كشف الظنون صاحب حماسة [١] ، غير أن جل المصادر التي ترجمت للعسكرى ذكرت أن له " شرح الحماسة لأبي تمام " ، ولم تذكر شيئا عن حماسته ومن هذه المصادر : خزانة الأدب للبغدادى [٢] ومعجم الادباء [٣] وبغية الوعاة [٤] ، وطبقات المفسرين [٥] ، وغيرها .

ولعل أبا هلال العسكرى كانت له حماسة ، ويعزز هذا التوجه ما ذكر في حماسة العبيدى من أنها - أى التذكرة السعدية - قد حفظت حماستين ضائعتين احداهما حماسة أبي هلال العسكرى وربما قصد الذين أثبتوا حماسته شرح الحماسة ، وربما كانت هذه الحماسة الضائعة التي أفاد منها العبيدى هي نفسها شرح الحماسة ومن ذلك أيضا الأعلم الشنتمرى ، فصاحب خزانة الأدب عده في أصحاب الحماسة ، وأثبت أنها من بين مآخذه فقال : " والأمر الثاني في ذكر المواد التي اعتمدنا عليها وانتقينا منها ، وهي ضروب وأجناس . فمنها ما يرجع الى علم النحو ... ومنها ما يرجع الى دفاتر أشعار العرب ... ومنها المجاميع ... والحماسة البصرية وحماسة الأعلم الشنتمرى [٦] وحين كان صاحب الخزانة يوثق شواهده في مصادرها يقول : " كذا في حماسة أبي تمام ، وحماسة الاعلم [٧] ، وعدّته مصادر أخرى شارحا حماسة أبي تمام . [٨]

سادس عشر : وثمة أصحاب حماسة ورد ذكرهم في مصدر واحد دون أن يكون لهم ذكر في مصادر أخرى، منهم محمد بن حمزة العلوى الذى ذكره عبدالقادر البغدادى في خزانة الأدب فقال :

١- حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١/ ٦٩١ .

٢- عبدالقادر البغدادى : خزانة الادب ج ١/ ٢٣٠ .

٣- ياقوت : معجم الادباء ج ٨/ ٢٥٨ .

٤- السيوطي : بغية الوعاة ج ١/ ٥٠٦ .

٥- السيوطي : طبقات المفسرين ص ٣٣ .

٦- عبدالقادر البغدادى : خزانة الادب ج ١/ ٢٢ .

٧- المصدر السابق ج ٣/ ٢٢٠، ٣/ ٢٥٢، ٧/ ٢٨، ٣١٢ وغيرها من المواضيع .

٨- ياقوت : معجم الادباء ، ج ٢/ ٦١، وابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ٧/ ٨٢، وحاجي خليفة كشف الظنون ج ١/ ٦٩٢ . والبغدادى : هدية العارفين ج ٢/ ٥٥١، والزركلي : الاعلام ج ٨/ ٢٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ... وروى ذلك صاحب الأغاني ، ومحمد بن حمزة العلوي في حماسته " [١] . وكذلك محمد ابن علي العجلي فقد ذكر الثعالبي في اليتيمة أن محمد بن سعيد الكاتب قد أنكر على العجلي حماسته ، وأن ابن فارس قد ردّ عليه انكاره هذه الحماسة بهذه الرسالة التي أثبتها الثعالبي ، يقول : " ألهمك الله الرشاد وأصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحبّب اليك الانصاف ، وسبب دعائي بهذا لك انكارك على أبي الحسين ، محمد بن علي العجلي تأليفه كتاب الحماسة ..... ولم جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ، ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه ، ولم لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول ، حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه " [٢] .

وثمة حماسة أخرى هي حماسة محمد بن خلف المرزبان ، فقد ذكرها ياقوت في معجم الادباء [٣] والصفدي في كتاب الوافي بالوفيات [٤] ، وكذلك أوردها محقق كتاب التذكرة السعدية [٥] .

١- عبدالقادر البغدادي : خزانة الادب ج ٥/٢٧٥ .

٢- الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج ٣/٤٠١ .

٣- ياقوت : معجم الادباء ج ١٩/٥٢ .

٤- الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٣/٤٤ .

٥- العبيدي : التذكرة السعدية ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد خلص الفصل الأول الى ما يلـــي :

أولا : ان نظرة عامة في كتب الحماسة تكشف لنا مدى حرص الأدباء وعلماء اللغة، والبلاغيين على سبر أغوار هذه المجموعات الشعرية ودراستها دراسة تفصيلية ، فهي غنية بشتى الموضوعات الجديرة بالبحث ، وغنية بضروب القول اللطيف · ويتعمق احســـــاس الدارسين بأهمية كتب الحماسة حين يرون اهتمام شرّاح الحماسة بديوان حماسة أبـــي تمام · فقد زاد عدد شارحيها على ثلاثين شارحا فيما وقع الفصل عليه · كل يشـــــرح الحماسة من زاوية معينة · فبعضهم تناول مشكلها اللفظي ، وآخرون أعربوا مـــــا استصعب من أبياتها ، وبعضهم أقام شرحا على شرح معدلا ، ومفصلا ، ومهذبـــــا ومبيّنا ما غلط فيه بعض شارحي الحماســـة ·

ثانيـا : وقد أخذ النحاة وعلماء اللغة عن كتب الحماسة كثيرا من شواهدهم النحوية ، وأثبتوها في كتبهم ، وحسب الدارس أن يلقي نظرة في ملاحق الشواهد الشعرية الواردة فـــــي نهاية كتب النحو ليتبين شدة اهتمام النحاة وعلماء اللغة بكتب الحماسة ·

ثالثا : ان الجهد الواضح الذى بذله واضعو كتب الحماسة من تقليب الدواوين الشعريـــــة، والمظان المختلفة لاستصفاء هذه المقطوعات الشعرية الجيدة يظهر أثره جليا فـــي خلود كتب الحماسة ، واهتمام الدّارسين بهـــا ·

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثّاني

قضايا البطولة وصورها

أ. العصر الجاهليّ.
ب. العصر الإسلاميّ.
ج. خلاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيدرس هذا الفصل قضايا البطولة وصورها . وقد اقتضت الدراسة أن يكون الفصل في قسمين : يبحث الاول قضايا البطولة ، وصورها في العصر الجاهلي ، ويبحث الثاني قضايا البطولة ، صورها في العصر الاسلامي ، يعقبها استخلاص واستصفاء لاهم القضايا التي خلص اليها الفصل .

ان الأدب العربي ، شعره ونثره ، زاخر بصور البطولة العربية الغنية بدلالاتها وامتداداتها عبر الأعصر المتعاقبة .

وقد حفظت لنا كتب الحماسة صورا جميلة متعددة للبطولة العربية . وهذا التعدد يسلمنا الى توضيح معنى البطولة في اللغة والأدب لنهتدى - في ضوء ذلك - الى صور البطولة التي تهدف اليها الدراسة .

- البطولة في اللغة :

ورد في لسان العرب " أن البطل هو الشجاع ، وفي الحديث شاكي السلاح : بطل مجرب ، وانما سمي بطلا لأنه يبطل العظائم بسيفه ، فيبهرجها ، وقيل : سمي بطلا لأن الأشداء يبطلون عنده " (١)

- البطولة في الأدب :

هي مجموعة من الممارسات أو الأفعال الانسانية العظيمة التي يقوم بها فرد أو مجموعة من الأفراد ، توصلهم الى منزلة رفيعة في نفوس الناس كافة أو نفوس أقوامهم ، مما يجعل هؤلاء الناس يصفونهم بالأبطال . ومن هذه الاعمال الفروسية ، والكرم والجود ، والصبر على الشدائد والمصائب والعشق والدعوة الى السلم ، وغير ذلك .

أولا : البطولة في العصر الجاهلي :

تبدو البطولة علاقة تواصل بين البطل والناس تتوثق عراها كلما تنبّه البطل الى كوامن هذه العلاقة ، وأدرك أسرارها ، واستطاع بذكائه وحنكته الوصول الى الطموحات التي تحقق لهؤلاء الناس ثقتهم به . فالناس على اختلافهم يعشقون الأبطال ويجلّونهم ، لأنهم يرون فيهم صورة الانسان المثال ذى القدرة العالية ، والارادة الصلبة في حسم الأمور لمصلحتهم .

١- لسان العرب ، مادة بطل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبطل كما يراه الدكتور عبدالحميد يونس يحرص على توجيه نشاطه ، وسلوكه الى تحقيق وجوده ، والتمكين لشخصيته مدفوعا الى ذلك باحساسه بقدر من الاستقلال عن الآخرين وهو في هذا التوجه انما يحرص على فرديته ، واثبات ذاته ، غير أنه يصبح بطلا ذا هم جماعي اذا أحس بشيء من الخطر يهدد كيانه وكيان قبيلته . وقد وضح ذلك الدكتور عبدالحميد يونس في موضع آخر اذ يقول : " بيد أنه يندمج بوجدانه في الوجدان العام اذا تعرض المجتمع للخطر او اهتز في فترة ترثى الى المآثر والامجاد. (١)

ويؤكد الدكتور عبدالحميد يونس هذه القضية في كتابه الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي فيقول : " والمشخصات التي أعطيت للابطال والشعراء في أيام العرب لا تدل على خصوصية فرديّة تميز صاحبها من غيره ، ولكنها تدل على صفة من الصفات العربية حتى أصبحوا عندنا المثل التي تدل على هذه الصفات والمحامد الشائعة بين القبائل والبطون (٢).

وقد أكدت الدكتورة نبيلة ابراهيم هذه القضية فقالت : " ولما كانت الحياة حركة دائبة في سبيل الوصول الى الكمال فلا بد أن يرث الابن البطل بطولة أبيه " (٣) ، وتقول : " وهو كغيره من الآبطال يسعى الى تحقيق الذات الكاملة " (٤) وتقول في موضع آخر " وليس لهذا النموذج طابع فردى وانما هو ذو طابع جماعي " (٥).

١- الدكتور عبدالحميد يونس : الاسس الفنية للنقد الادبي ، دار المعرفة ، القاهرة ط٢ ، ١٩٦٦م ص٩٠.

٢- الدكتور عبدالحميد يونس : الهلالية في التاريخ والآدب الشعبي ، دار المعرفة القاهرة ط٢ ، ١٩٦٨ ، ص٣٦.

٣- أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ص١٢٨.

٤- المرجع السابق ، ص ١٣٢.

٥- المرجع السابق ص ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو حجر في بناء القبيلة التي يشترك أبناؤها في عمل يخدم مصالحها المشتركة مما يحقق لها مجدها ورفعتها . ويحرص أفرادها على التمسك بتقاليدها الاجتماعية وقيمها وأعرافها وعاداتها ، ويحافظون على قدرتها في المجابهة والتضحية من أجل بقائها والوفاء بالتزاماتها .

وتحرص القبيلة على اختيار أبطالها الذين ترى فيهم صفات القادة القادرين على تسيير أمورها ، والوصول بها الى المكانة التي تتوق اليها ، وتسعى من أجلها . فالحلم وما تتطلبه موافقه ، ورجاحة العقل وما تمليه ضروراته ، وسداد الرأي وما تقتضيه حالاته من اتخاذ الموقف الحاسم ، والشجاعة وما يتصل بها من قدرة على المواجهة ، والصبر على المكاره على اختلافه واغاثة الملهوف ، وحماية الجار ، وفك العاني ، واطعام الجائع والفقير ، كل هذه الامور مجتمعة تمثل الصفات التي تؤهل صاحبها لنيل الحظوة والمكانة المرموقة في القبيلة ، وتأخذ بيده للوصول الى السيادة . وهذه المقاييس هي التي تحدد صورة البطل التي تنشدها القبيلة .

وقد استطاع بعض الابطال أن يتميزوا بصفة أو أكثر من هذه الصفات لينالوا شرف البطولة وتناقل الناس أخبار بعض هؤلاء الابطال بشيء من الغلو حتى أصبحوا شخصيات أسطورية نظرا لما تركته أخبار قوتهم ومقدرتهم العالية في نفوس الناس من أثر طيب ، ومن هؤلاء ، كليب بن ربيعة الذى ذكر أنه عز وساد في ربيعة ، وكان ينزل قومه منازلهم ، ويرحلهم ، ولا ينزلون أو يرحلون الاّ بأمره ، فضرب به المثل في العز فقيل : أعز من كليب وائل ، وكان يحمي الصيد .(١)

ومنهم عنترة بن شداد ، ومدلج بن سويد الطائي ، ذكر الدكتور نورى حمودى القيسي أنه بلغ من تعظيم القبائل لابطالها حدا لا يسألونه فيم غضب ، كما كانت تفعل قبيلة الأحنف ابن قيس تعظيما لمنزلته ، واكبارا لمروءته حتى قيل :انه كان اذا غضب غضب له مئة الف سيف (٢)

١- أبو الفرج الاصفهاني : ت ٣٥٦هـ ،الاغاني ، دار الثقافة ،بيروت ، ١٩٥٦ ج ٥/٢٩ .

٢- الدكتور نورى حمودى القيسي : البطل في التراث العربي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ، ١٩٨٢، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تكرر ذكر كلمة البطل في كتب الحماسة ، وكانت تعني في الغالب البطل المقاتل وثمة أمر آخر وهو أن الشاعر لا يذكر كلمة البطل أو الابطال ويعني بها نفسه بل يتحدث عن أبطال آخرين. ومن ذلك قول بعض بني تيم الله بن ثعلبه :[١]

ونطا عن " الأبطال" عن أبنائنا ... وعلى بصائرنا وان لم نبصر

وقول عنترة العبسي [٢]:

وما يدري جرية أن نبلي ... يكون جفيرها[٣] " البطل" النجيد

وقول عمرو بن الاطنابة[٤]:

واعطائي على المعسور مالي ... وضربي هامة " البطل" المشيح

وقول زهير بن جناب[٥]:

لا يمنع الضيم إلاّ ماجد " بطل ... ان الكريم كريم حيثما كانا

وقول أزهر التميمي[٦]:

وحتى رأيت الورد يدمى بنانه ... وقد هزه " الابطال" وانتعل الدما

وقول سويد بن كراع العكلي[٧]:

وأبقت صروف الدهر منا عصابة ... فوارس " أبطالا" ورجلا عرمرما

وقول كعب بن زهير [٨]:

شم العرانين " أبطال" لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل

وفي مواطن أخرى كثيرة .[٩]

١- حماسة أبي تمام ج١ /١٢٨.

٢- المصدر السابق ج١ /٣٩٧.

٣- الجفير : الجعبة والكنانة أو شبه الكنانة ، اللسان ، مادة جفر .

٤- حماسة البحتري ص١.

٥- المصدر السابق ص ١٩.

٦- المصدر السابق ص ٥١.

٧- حماسة ابن الشجري ح١ /١١١.

٨- المصدر السابق ج١ /٣٥٢.

٩- أنظر حماسة أبي تمام ج١ /٩٦، ٣١١، ٣١٧، ح٢ /٢٢٠. وانظر حماسة البحتري ص٣، ٤، ١٢، ١٥، ٥١، ٥٩، ٢٠١، وانظر حماسة ابن الشجري ج١ /١٤، ٨٧، ٩٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٤٣، ١٤٦، ١٧٦، ٣٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبطل اما أن يكون قائدا أو محاربا . ويتميز البطل القائد بصفات تختلف عن صفات البطل المقاتل .

أولا : البطل القائد :

ومهمة البطل القائد صعبة شاقة . فالاندفاع وراء النصر ، والتفاني من أجل تحقيقه ، والدفاع عن وجود القبيلة ، والاحتفاظ بصلاتها وأحلافها مرهون به وبحنكته وقيادته الحكيمة.

وقد حفلت كتب الحماسة ببعض القادة الأبطال من أهمهم لَقيط بن يَعمَر الايادي، ودريد ابن الصِّمّة . فالبطل عند لقيط قائد متميز يعرف كيف يسوس الأمور ، فتراه يقدم مشورته ونصحه الى قومه طالبا اليهم ان يختاروا من بينهم رجلا تتوافر فيه صفات معينة تؤهله للقيادة ومن أبرز هذه الصفات علمه بأمور الحرب ، يقول :

فقلّدوا أمرَكم لله دركُـــكُم ... رحبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا

ويرى الشاعر أن يكون القائد وسطا بين الغنى والفقر ، لأن الغنى عند لقيط يقود الى الدّعة والتراخي والفقر يسلم صاحبه الى الجوع وعدم القدرة على الحزم والتصرف بالامور يقول:

لا مُترفا ان رخاءُ العيش ساعده ... ولا اذا عضّ مكروهٌ به خضعا

ومن الأمور التي يطلبها لقيط في القائد أن يكون قادرا على مصارعة الاعداء ، قليل النوم، وفي هذا اشارة الى حرص القائد على قومه ويقظته يقول:

مسهدَ النوم تعنيه ثغوركُـمُ ... يروم منها الى الأعداء مطلعا

وفي هذا البيت اشارة الى ضرورة الدفاع عن قبيلة اياد ضد كسرى وجيوشه وذلك حين أرسل لقيط رسالة الى قومه يحذرهم فيها من خطر كسرى ، ويبلغهم فيها أن ستين ألفا من جنود كسرى يريدون مهاجمة اياد في الجزيرة العربية [1]، وطلب منهم أن يكونوا في أتم استعداد لمواجهته.

وشرط القائد عند لقيط أيضا أن لا ينشغل بالمال وجمعه لأن هذا من الامور التي تبعد صاحبها عن شؤون الحرب والتخطيط لها ، وأن لا يكون منشغلا بابن له ويعطيه كل وقته فيشغله عن الحرب أيضا .

وليس يشغله مالٌ يثمّره ... عنكم ولا ولدٌ يبغي له الرَّفعا

١- حماسة الظرفا ج١/٣٤. وحماسة ابن الشجري ج١/٣٥٤، والحماسة البحرية أج١/٣٨٦. وقد قال متطوعته في يوم ذي قار (العقد ج٥/٢٦٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأن يكون ضخم الذراعين قويا قادرا على الدفاع عن القبيلة ، وأن لا يكون صغير السن لا يعرف من أمور القيادة والمراوغة شيئا ، ولا هرما كبير السن :

عبلَ الذراع أبيّا ذا مَزابنَـــــةٍ(١) مُسْتَحكَمَ السن لا قَحْما(٢) ولا ضَرَعا(٣)

مستنجدا يتحدى الناس كلهـــمُ لو قارع الناس عن أحسابهم قرعـــا

هذه الصفات التي يخلعها لقيط على القائد تبين دور القائد وأهميته ، وأن في حياة القائد حياة قومه وقبيلته ولا ريـــــب عندى أن مثل هذه الصفات لا تصدر الا من قائد مجـــرب وكذلك كان لقيط بن يعمـــــر .

أما دريد بن الصمة (٤) فقد كان قائدا في قومه مستشارا يؤخذ برأيه في الوقائع ، فضلا عن ذلك فهو فارس شجاع ، ولعله أول الشعراء الفرسان (٥) . وتتبدى حنكته وقيادته ، وسداد رأيه في داليته المشهورة التي مطلعهـا :

أرثّ جديدُ الحبل من أم معبـــــد بعاقبة وأخلفت كل موعـــــد

فقد أبدى نصحه لاخيه ولأصحابه الذين كانوا معه يوم اللوى وناشدهم الاّ ينزلوا المنزل الذى أقـــره عبدالله فلم يأخذوا برأيه في ذلك اليوم فأقبلت بنو غطفان وكرّت عليهم وقتلت عبدالله بن الصمـــة وتفرق جمعهـم (٦).

نصحتُ لعارض(٧) وأصحابِ عـــــارض ورهطِ بني السوداء والقومُ شهـدى

وأخبرهم ألاّ يتهاونوا أو يستهينوا بقدرة الخصم فلعلهم أكثر عددا وعـدة

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجـــــج سراتهم في الفارسي المسـرّد

وفي هذا البيت اشارة الى ما يتمتع به دريد بن الصمة من حسن تدبير ، وقدرة عالية في قيادة الجيوش وتوجيه المقاتلين ، غير أن دريد بن الصمة رغم حنكته الاّ أنه لم يفلح في نصحهم وانساق معهـــم على علمه أنه يسير معهم دون قناعته ، وفي هذا اشارة الى بعض عادات الجاهليين في الاجماع علـــى رأى . فالرحم ، والقربى دفعته الى القتال معهم مهما كانت النتائج .

١- المزابنة : المدافعة ، اللسان ، مادة زبن.

٢- القحم : كبير السن ، اللسان ، مادة قحم.

٣- الضرع : صغيرُ السّن ، اللسان ، مادة ضرع.

٤- حماسة أبي تمام ، ج/١/٣٠٤.

٥- الاغاني ج١٠/٠٣.

٦ - المصدر السابق ج١٠/٠٥.

٧ - عارض : هو أحد أسماء عبدالله بن الصمـــــــة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمّا عَصَوْني كنت منهم وقد أرى غُوايتَهم ، وأنني غيرُ مهتدى

وقد أبدى دريد رأيه للقوم بمنعرج اللوى ، غير أنهم لم يتأكدوا من صواب رأيه الاّ في صبيحة اليوم التالي حين باغتهم بنو غطفان

أمرتُهُمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشدَ الاّ ضحى الغد

غير أن العصبية الجاهلية تشد الشاعر القائد فهو لا يستطيع أن يخرج على اجماع القبيلة . فهو معهم في حالتي الغي والرشاد

وهل أنا الاّ من غزيةَ ان غوت غويت وان تَرْشُدْ غزيةُ أرشدِ

ثانيا : البطل المقاتل:

والبطل المقاتل مختلف عن البطل القائد ، فهو لا شأن له بالقيادة وتدبير شؤونها ورسم خطط المعارك ، ولكنه بطل يجيد فنون القتال بأنواعها ، شجاع غير هيّاب ، مهمته الكر والفر ، والفتك بالخصوم ، ولا بد لهذا البطل من صفات يتحلى بها أهمها : الجرأة ، والاقدام واتقان المهارات القتالية ، وحسن المحاورة والمراوغة ، وسرعة الانقضاض . والابطال المقاتلون كثر فمنهم ربيعة بن مقروم الضبي . فقد ضرب للابطال المثل في الشجاعة وقوة التحمل في الحرب فهو قادر على خوض غمارها لأنه يرى فيها بعض ملاذه . وهو لبأسه يجعل خصومه عاجزين عن مقاومته ويرون لقاءه شديدا عليهم ، ولا يستطيعون اليه سبيلا .

والبطل عنده بطل جماعي يهمه مصلحة القبيلة ، ويقدمها على كل مصلحة . فالاخ القبلي يلبي نداء أخيه ، اذا دعا داعي القتال[1]

أخوك أخوك من يدنو وترجو مودتَه وان دُعِيَ استجابا

وتتضح العصبية القبلية التي تحكمها القيم الجاهلية من خلال التكاتف الذى يبديه مقاتلو القبيلة :

اذا حاربتَ حاربَ من تعادى وزاد سلاحُه منك اقترابا

والبطل يخص نفسه بشيء من الفخر ، واظهار الشجاعة

وكنتُ اذا قريني جاذبَتْه حبالي مات أو تَبِع الجِذابا

١- حماسة أبي تمام ج٢/١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان أَهلَك فذى حَنَقٍ لِظـــــــاه　　عليَّ تكاد تلتهب التهابـــــا
مَخَضتُ بدلوه حتى تحسّـــــــى　　ذنوبَ الشر ملأى أو قُرابـــــا

وقد يكون البطل بطل ذات ، فيعزى الفضل في المواقع اليه دون غيره ، ولعل استنجاد بني مازن بعمرو ابن معد يكَرِب دليل على قوة عمرو . فبنو مازن يقرون لعمرو بالشجاعة والفروسية ، يقول(١)

ألم تر لمّا ضمّنا البلدُ القفـــــر　　سمعتُ نداءً يصدع القلب : يا عمرو
أَجِرْنا فإنّا عصبة مَذْحَجيّـــــــة　　نُناط على وَفْر وليس لنا وفـــــر
تُكلّفنا يا عمرو ما ليس عندنـــا　　هوازنُ فانظر ما الذي صنع الدهـــر

وكانت العرب تستجيب لداعي الملهوف والعاني ، فالنصرة والعون من مقومات الحياة الجاهلية.

فقلت لخيلي انظروني فانّنـــي　　سربعٌ اليكم حين ينصدع الفجـــر
فأقحمت نفسي حين صادفت غِـرّةً　　من القوم حتى قلت : قد عُقِرَ المهـر
فأنجيت أسرى مَذْحَجَ من هَـــوازنٍ　　ولم ينجهم الاّ السكينةُ والصبـــر

فالبطل - كما هو واضح في البيت الأخير - مترويّ صبور يعرف كيف يتصرف في المواقف الشديدة .

وقد تتوافر في البطل صفات حميدة كثيرة ، فهو شجاع في الحروب ، محب للمـــال شأنه في ذلك شأن الآخرين ، ولكنه لا يحب المال الذى يرثه من الآباء والاجداد ، بل يحب أن يكـــون المال الذى يجمعه من كدّه وجهده ، ومن تتوافر فيه هذه الصفة لا بد أن يكون كريما جوادا ، ودريـــد ابن الصمة جمع الشجاعة والحلم والكرم فقال (٢):

أعاذلَ انما أفنى شبابـــــي　　ركوبي في الصّياح الى المنـــادي
مع الفتيان حتى سُلَّ جسمـــي　　وأقرحَ عاتقي حملُ النِّجـــاد
أعاذلَ انه مال طريـــــف　　أحبُّ الي من مال تِـــــلاد

ثم ينتقل للحديث عن شجاعته وفروسيته فيقول:

أعاذلَ عدتي بَزّي وسرجـــي　　وكل مُقَلَّصٍ سَلِسِ القِيـــاد

فهو أول المقاتلين ، وحين يفقد القوم رشدهـــم ، وتتصعب الامور ، ويكون حلمه الفيصل فـــي

١- حماسة ابن الشجرى ج١ / ٤٢.

٢- المصدر السابق ج١ / ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حل القضايا التي تستعصي على القوم ، وهو كريم فزاده ينفد قبل زاد الاخرين:

ويبقى بعد حِلم القوم حِلمـــــي ويفنى قبل زاد القـــــــوم زادي

ومن الأبطال الذين تفاخروا ببطولاتهم عمرو بن الإطنابة ، فعمرو بطل مقاتل عفيف متيمز في قومه ، يتجلد ، ويثبت في المعركة لان عفته وبلاءه ، والذكر الحسن الذى يخلد في نفوس الناس عنه أمورتهمه كثيرا ، يقول[1]:

أبتْ لي عفتي وأبى بلائـــــي وأخذى الحمدَ بالثمن الربيـــــح

ويمنعه كذلك كرمه الذى اعتاد الناس عليه من التراجع والتراخي في ميدان القتال . فهو حريص على البقاء حتى يظل قادرا على البذل والعطاء :

واعطائي على المعسور مالـــــي وضربي هامةَ البطل المشيـح

لكن عمرو بن الاطنابة لا يختلف عن غيره من الناس فهو يحسب للمنازلة حسابا كبيرا ، ويدرك أن للمعركة رهبة ، فتراه يتحدث الى نفسه طالبا منها التجلد والثبات . فهو صائر الى أمرين : امـــا الموت ، واما النصر :

وقولي كلما جشأت وجاشـــــت مكانك تُحْمَدي أو تستريحـي

وبعد هذه الخلوة الى النفس ، يتمالك نفسه فيتذكر ان الهلاك لا يلحق به وحسب بل يلحق بقومـــــه ولا يخفى على أحد ما يحله الغازى بالاعراض والحرمات . وقد دفع هذا الامر عمرو بن الاطنابة الـــــى ضرورة الدفاع عن العرض ، وعن مكتسبات القبيلـــــة :

لأدفع عن مكارمَ صالحـــــات وأحمي بَعْدُ عن عِرْضٍ صحيـح

ويبدو أن النفس - على رباطة جأش صاحبها وقوته تخشى خوض المنايا والمواقع. وهذه حالة تصيـب نفس صاحبها قبيل المعركة . وفي هذا اشارة الى أن العرب لم تكن تتعشق القتال الا اذا أجبروا عليهـا ، وفي ذلك يقول عمرو بن معد يكرب [2].

وجاشت اليّ النفسُ أول مَـــــرة فَرُدَّتْ على مكروهها فاستقرّتِ

فالاحساس الذى يراود النفس انما يكون قبيل المعركة لكنه سرعان ما يتلاشى بفضل العزم ، والاصـرار على تحقيق الفوز .

١- حماسة البحترى ص١ .

٢- المصدر السابق ص١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان البطل لا يهنأ ولا يشرب خمرا الاّ اذا أخذ بثأره أو انتصر في المعركة . وكانت هذه الأمور محرمة عليه حتى يظفر ، يقول المثلم بن عمرو التنوخي :(١)

إنّي أبى الله أن أمـوت ... وفي صدري هم كأنه جبل
يمنعني لذّةَ الشراب ... وان كان قِطابا كأنه العسل
حتى أرى فارس الصّمّوت ... على أكساءِ خيل كأنها الابل

ويقول خالد بن عمرو بن مرة الشيباني:(٢)

اليوم حلّ لي الشرابُ ... وما كان الشراب لي قبلُ
وجزيت سعدا بالذى فعلوا(٣) ... وأُحِلّ لي ماويةُ القتلُ

ويقول ضمرة الكناني :(٤)

اليوم ساغ لي الشرابُ ولم أكن ... آتي البحار ولا أشد تكلمي
وأَبأْتُ يوما في الجفار بمثله ... وأخذت فضلا عن حديث الموسم

وفي مثل ذلك يقول ربيعة بن أبي عمرو القيني:(٥)

حلّت لي الخمر اذ غادرت سيدهم ... في جيب سربالة من نفسه دفع

والبطل المقاتل يغلب عليه أن يكون راكبا . والشواهد على ذلك كثيرة جدا ، يقول المُنَخّل اليَشْكُري(٦):

وفوارسٍ كأُوار حرّ النار أحلاسِ الذكور
شدّوا دوابر بيضهم في كل مُحْكَمةِ القتير
وعلى الجياد المضمرات فوارسٌ مثلُ الصقور

ويقول الهُذَلول بن كعب (٧):

لعَمْرِ أبيك الخيرِ اني لخادم ... لضيفي واني إنْ ركبت لفارسُ

١- حماسة أبي تمام ج٢/٥٥٠
٢- حماسة البحتري ص ٤٣٠
٣- المقل : النظر ، اللسان ، مادة مقل.
٤- حماسة البحتري ص ٤٤٠
٥- المصدر السابق ص٤٤٠
٦- حماسة أبي تمام ج٢/١٠٣٠
٧ - المصدر السابق ج٢/٢٣١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول عنترة العبسي :[١]

أكرُّ عليهم دِعْلِجا ولبانُهُ ... اذا ما اشتكى وقعُ الرماح تحمحما

وقد يجمع الشاعر بين البطل الراكب والراجل ، وظروف المعركة تقتضي أن يكون ثمة أبطال يركبون وآخرون يرتجلون ، يقول جَنادَة اليربوعي :[٢]

ولكننا نأتيه حتى نديثه ... بأسيافنا من بين ماش ومعنق

وقد جعل أنيف بن حكيم النبهاني البطل راجلا اذ يقول :[٣]

وتحت نحور الخيل حرشف[٤] رجلة ... تتاح لفرات القلوب نبالها

والبطل قد لا يتحدث عن نفسه بل يجعل الناس يتحدثون عنه وعن بطولته وشجاعته . فحاتم الطائي أراد أن يؤكد بطولته التي عهدتها زوجه فيه فقال[٥]:

رأتني كأشلاء اللجام ولن ترى ... أخا الحرب الا ساهمَ الوجه أغبرا

أخا الحرب ان عضّت به الحرب عضّها ... وان شمّرت عن ساقها الحربُ شمّرا

فلا تسأليني واسألي أيَّ فارس ... اذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا

ويؤكد ذلك عنترة فيقول[٦]:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وتختلف الظروف التي أوجدت الابطال فبعضها يعود الى عقدة اللون كما عند عنترة العبسي . فقد بدا أكثر اصرارا على القتال حتى يثبت لابيه ولقومه انه فارس مقاتل لا يشق له غبار ، وحتى يعوض هذا النقص الناجم عن لونه اذ كانت العرب تعير أباه به . وقد تحقق له ذلك . وقد حفل ديوان شعره بمواقف بطولية جعلت منه فارس عبس الاول دون منازع . وقد أثبت ابن الشجري شعرا كثيرا لعنترة في حماسته تتبدى فيه البطولة واضحة ، يقول[٧]:

وسيفي صارم قبضتْ عليه ... أشاجعُ لا ترى فيها انتشارا

وخيل قد زحفتُ لها بخيل ... عليها الأسْدُ تهتصر اهتصارا

١- حماسة أبي تمام ج١/١٥٥.

٢- حماسة البحتري ص ٤٨.

٣- حماسة أبي تمام ج٢/١٩٠.

٤- الحرشف : الجماعة من الرجالة وراء الخيول ، اللسان ، مادة حرشف.

٥ - حماسة البحتري ص٣٨. وحماسة ابن الشجري ج١/٥٠٠.

٦ - حماسة البحتري ص ١٦٣.

٧ - حماسة ابن الشجري ج١/٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعنترة سمح كريم معطاء ، وهذه صفات الفارس المقاتل ، يقول [١]:

اني امرؤ مني السماحةُ والنـــــدى ... والبأس أخلاق أصبتُ لبابهـــا

وأنا الربيع لمن يَحِل بساحتـــي ... أسد اذا ما الحرب أبدتْ نابهـــا

واذا لقيتُ كتيبة طاعنتهـــا ... وسلبتها يومَ اللقاءِ عُقابَهـــا

وحين يتحدث عنترة عن بطولته ، فانما يتحدث حديث المتأدب المتواضع فهو يتوجه الى محبوبتـــه طالبا منها أن تتحدث عنه بما تعرفه عنه دون زيادة أو انتقاص من حقه ، ويصرح بأنه لا يظلـــم أحدا ، أما اذا ظلم ، فانه يكون شديدا على من يظلمه ، يقول [٢]:

اثني عليّ بما علمتِ فانني ... سَمْحٌ مخالقتي اذا لم أظلـــم

فاذا ظلمتُ فان ظلميَ باســـل ... مرّ مَذاقتُه كطعم العلقـــم

ويبدو تخلص عنترة من عقدة اللون واضح في لاميته التي يفتخر من خلالها بفضائل يعتـز بها ، ويجعلها قوام شخصيته منها اعتياده خوض المنايا ، وامتطاؤه صهوات الخيول يقـول [٣]:

والخيل تعلم والفوارس أننـــي ... فرّقت جمعَهُمُ بطعنة فيصـــل

فهو لا ينسب القوة والشجاعة الى نفسه بل يجعل الناس يقرّون بها . وهذه صفة حميدة في البطـــل ثم يجري حوارا بينه وبين من يحب ، ويبين لمحبوبته - التي ما برحت تخوفه من خوض غمار الحرب ومن نتائجها عليه - أنه لا يبالي بما يؤول اليه لأن الموت حتم على المرء . وفي هذا ايمان واضـــح بحقيقة الموت ، وأنه يصيب الانسان وان حمى نفسه منه :

بكرت تخوفني الحُتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها ان المنيّة مَنْهَـــل ... لا بدّ أن أُسْقى بذاك المنهـــل

ولقد لقيتُ الموتَ يوم لقيتـــه ... متسربلا [٤] والموت لم يتسربـل

فالبطل يقرّ بالموت ، وأنه مدركه ولو عمّر طويلا يقول تأبط شـرّا [٥]:

واني وان عمرت أعلم أننـــي ... سألقى سنان الموت يبرق أصلعـا

وبعض هذه الظروف التي أوجدت الابطال يعود الى الواقع الاجتماعي والاقتصادي كما هو الحال عنـــد الصعاليك فعروة بن الورد - على سبيل التمثل - استطاع بحسه الواعي ونظرته الشموليـــة ،

١- حماسة ابن الشجري ج١ / ٠٢٧ ٢- حماسة البحتري ص ١٦٣ .
٣- المحذر السابق ص٠٣ والحماسة البصرية أ ج١ / ٠٦٢
٤- السربال : القميص والدرع ، اللسان ، مادة سربل.
٥- حماسة أبي تمام ج٢ / ٠٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وامتلاكه عناصر البطولة أن يحقق التفرد ، وأن يقف على أعتاب البطولة ، وأصبحت اتجاهاته في جلهـا تمثل التضحية ، وحب المغامرة والمخاطرة من أجل تثبيت دعائم هذه البطولة . فالموت عنـده يهون من أجل الوصول الى أهدافه المنشودة ، يقول (١):

دعيني أطوف في البلاد لعلني ... أفيد غنىً فيه لذى الحق محمل
أليس عظيما أن تُلِم مُلِمّة ... وليس علينا في الحقوق معول
فان نحن لم نملك دفاعا بحادث ... تُلِم به الايام فالموت أجمل

ويؤكد عروة أنه غير هيّاب من الموت ، وأنه يستقبله حميدا ، وذلك لايمانه بأن التقاعس عن لقاء الخصوم يورث الذلة ، يقول(٢):

مُطِلاً على أعدائه يزجرونه ... بساحته زجرَ المَنيح المُشَهَّر
فذلك إن يَلْقَ المنيةَ يلقها ... حميدا وان يستغن يوما فأجدر

وهو الى جانب ذلك كله عفيف ، أبي النفس ، لا يجرى وراء ما يتفضل به الناس ، فهو غني يطعم الناس :

لحى الله صعلوكا اذا جنّ ليلُه ... مُصافي المُشاش(٣) آلِفَ الكلّ مِجْزَر
يَعُدّ الغنى من نفسه كلّ ليلة ... أصاب قِراها من صديق مُيَسَّر
ولكنّ صعلوكا صحيفة وجهه ... كضوء شهاب القابس المُتنَوِّر

والبطل - كما يراه تأبّطَ شرًّا - بصير بكسب المحامد ، سبّاق الى غايات المجد ، جرىء في اقتحام الأهوال ، سديد الرأى . ويرى أن المرء اذا لم يتحوط للامور ، ولم يتدبر أمره واجه مصاعب كثيرة يقول(٤):

اذا المرء لم يَحْتَلْ وقد جَدّ جِدُّه ... أضاع وقاسى أمرَه وهو مدبر

ويرى أن الانسان الحازم هو الذى يحتاط للخطب قبل وقوعه ، فتراه يبصر الامور على حقيقتها :

ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا ... به الخطبُ الاّ وهو للخطب مُبْصِرُ
فذاك قريعُ الخطب ما عاش حوّلاً ... اذا سُدّ منه مَنْخَر جاش مَنْخَرُ

١- حماسة أبي تمام ج٣/١٦٣ ، والتذكرة السعدية ص ٢٨٢.
٢- حماسة أبي تمام ج١/٣٩٣.
٣- مصافي المشاش : تفريغ العظم من النخاع ، اللسان ، مادة مشش .
٤- الحماسة البصرية ب ج١ /٦٤، والتذكرة السعدية ص٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينضاف الى عقدة اللون ، والظروف الاجتماعية والاقتصادية ظروف أخرى لها صلة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي وهي ظروف الغزو والحروب والصراعات القبلية لدوافع كثيرة ، وقد أفرزت هذه الظروف أبطالا تميزوا بصفات كثيرة أهمها الشجاعة ، والصبر ، والكرم والحلم والصفح والمروءة ، واغاثة الملهوف ، وفك العاني واطعام الجائع ، فشُرَيح بن قُرواش العبسي يرى أن البطل المقاتل هو الذي ينازل الابطال الانداد ، وأبيات مقطوعته تكشف عن بطل مغامر غير هيّاب بالخصم ولا بقوته ، فضلا عن ذلك فهو يردع نفسه عما يتلجلج فيها من تردد في القتال . فلما رأى نفسه همت بالفرار ، واضطربت ، صرفها عن ذلك ، يقول :(١)

لما رأيت النفس جاشت عكرتُها ... على مِسْحَل وأيّ ساعة مَعْكَر

عشية نَازلتُ الفوارسَ عنده ... وزل سناني عن شُرَيْح بن مُسْهِر

ثم يخاطب نفسه طالبا منها أن تكف عن عتابه لانه لم يول من المعركة بل ظل صامدا متجلدا :

أقول لنفس لا يُجاد بمثلها ... أعَلّي العتابَ أنني غير مُدْبِر

وما غمراتُ الموت الا نِزالُك الـ ... كَميّ على لحم الكمي المُقَطّر

والمجتمع الجاهلي مجتمع قوّة وشجاعته ينبذ الضعيف واللئيم ، ويبدو ذلك واضحا في مقطوعة أُبَيّ بن حُمام العبسي ، اذ يقول :(٢)

ولست بمولى سوءةٍ أُدّعي لها ... فان لسوآت الأمور مواليا

ولن يجد الناس الصديقَ ولا العدا ... أديمي اذا عدّوا أديمي واهيا

وان نِجاري يا ابن غنم مخالف ... نِجار اللئام فابغني من ورائيا

وسيان عندي أن أموت وأنأرى ... كبعض الرجال يوطِنون المخازيا

ويرى الفند الزماني أن نوائب الدهر وتصاريفه ، وتقلب الايام وتعاقبها تفت في عضد الانسان فيؤول الى ضعف من بعد قوة ، يقول :(٣)

أيا طعنة ما شيخ كبير يَفَنّ بـ ... ـال

تقيم المأتم الأعلى على جَهْد واعِوال

١- حماسة أبي تمام ج١/٠٣٨٤ وحماسة البحتري ص٩٠

٢- حماسة أبي تمام ج١/٠٣٨٩

٣- المصدر السابق ج٢/٠١١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكد الفند الزماني أنه فارس بطل قارع الخصوم ، وخاض المعارك الكثيرة حتى أثقلتـه بالجراح جراء النبا ل والسهام التي تلقاها مما جعلته غير قادر على القتال:

ولولا نَبْلُ عَوْفٍ [١] في حُظُبَّاى [٢] وأوصالـي
لطاعنت صدورَ الخيل طعنا ليس بالآلي

ترى الخيل على آثار مهرى في السنا العالي

والدهر عنده - كما ذكرت - متقلب لا يبقى على حال ، ولا يبقي الدهر الانسان على حال واحدة:

ولا تُبقي صروفَ الدهر انسانا علـى حـــال

ويبين الشاعر أنه يتخلق بأخلاق الفرسان في الوقت الذى يتهرب الكثير عن المنازلات ، وخوض غمـار الحرب:

تَفَتّيت [٣] بها إذ كُرِه الشِّكّة [٤] أمثالـي
كجيب الدِّفنس [٥] الورهاء [٦] رِيعَتْ بعد إجفال

ومن الأبطال الحارث بن وَعْلَة الجَرْمي ، من فرسان قضاعة ، وأنجادها ، وهو فارس مجرب يبيّـن أنه حريص على الوحدة القبلية في حين يحاول غيره من القبيلة أن يفت في عضده ، وأن يقوض دعائـم هذه القبيلة ، يقول [٧] :

ما بال من أسعى لأجبرَ عَظْمَـه جِفاظا وينوى من سفاهته كسرى

ولكنه لمّا رأى من ذوى القربى ما رأى من اصرار على القطيعة تخلى عن الخطاب المتأدب ليبيّـن أنه فارس قوى تخافه الابطال ، فتراه يسأل ابناء قبيلته سؤال المستنكر :

ألم تعلموا أني تخاف عَرامتـي وأن قناتي لا تلين على الكسـر
واني واياكم كمن نبه القطـا ولو لم تُنَبَّهْ باتت الطير لا تسرى

والتشمير عند الحرب ، والاستعداد لها من متطلبات الفارس المحارب . فزيد الخيل الطائي لا يحب

١- العوف : الدهر ، اللسان مادة عوف. ٧ - الوحشيات ص١٦٧. وحماسة ابن الشجرى ج١/٢٩٤.
٢- الخطبى : الظهر ، اللسان ، مادة خطب. الحماسة البصرية أ ج١/٢١١.
٣- تفتى : تخلق بأخلاق الفرسان ، اللسان مادة فتت.
٤- الشكة : تام السلاح ، اللسان ، مادة شكك.
٥ - الدفنس : المرأة الحمقاء ، اللسان ، مادة دفنس .
٦- الورهاء : قليل العقل ، اللسان ، مادة وره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في البطل أن يكون همه الأكل والدعة الى الراحة : (١)

وليس أخو الحرب العوان بمن نـأى ... بجانبه ولا السؤوم المُؤاكـل

ولكنه يحب الفارس الذى تبدو عليه هيئة المقاتل فهو دائما مستعد للقتال بأسلحته ، وفرسه القـوى :

ولكن أخوها كلُّ أشعـثَ دارعٍ ... يُعالي السلاح فوقَ أجردَ ناقـلِ

ويستطيب البطل الموت ، ولا يخشاه ، بل يحرص على اقتحام غمراته . وهذه مما كانت العرب تحرص عليه ، وكانت تعتبر الهروب من المعركة منقصة ، وفي ذلك يقول جنادة بن مالك اليربوعي: (٢)

اذا ما وأينا الموت لم نُلْفَ عنـده ... هِجاجا ولم نهرب ولم نتفـرق

ولكننا نأتيه حتى نَديثَـه ... بأسيافنا من بين ماش ومعنـق

وتتعزز نظرة المجتمع الجاهلي الى البطل المثال الذى يصنع المجد لنفسه أولا، وللقبيلة ثانيا ، وقد أدرك عامر بن الطفيل هذا الامر فذكر أنه سعى الى المجد والسيادة بقوته وعزيمته ، وبهمته العالية ، ولم يصل اليهما عن وراثة ، يقول (٣):

اني وان أصبحت فارسَ عامـر ... ووافدَها المحمودَ في كلمذهـب

فما سوَّدَتْني عامر عن وراثـة ... أبى الله أن أسمو بـأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقـي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكبـي

ويحرص البطل على منازلة فوارس أشداء فتراه يصفهم بالقوة ، وشدة الفتك ، وهو في هذا يثنـي على نفسه ، وذلك حين ينتصر عليهم ، يقول بلعاء بن قيس الكناني: (٤)

وفارسٍ في غمار الموت منغمـسٍ ... اذا تألّى على مكروهه صدقـا

غَشَّيْته وهو في جأواءَ باسلـةٍ ... عضبا أصاب سواءَ الرأس فانفلقا

بضربة لم تكن مني مُخالِسـةً ... ولا تَعَجَّلْتها جُبْنا ولا فَرَقـا

والاعداد للحرب يكون بالاسلحة على اختلافها ، والاستعداد لها ، فرحلة المعركة عند عمرو بن معـد يكرب - على سبيل التمثل - تبدأ باعداد الاسلحة بأنواعها من درع وحصان قوى ضخم وسيف قاطع يقول: (٥)

١- حماسة ابن الشجرى ج١ / ٦٨ .
٢- حماسة البحترى ص٤٨ .
٣- حماسة ابن الشجرى ج١ / ٢١ . والحماسة البصرية أ ج١ / ٢٣٦ .
٤- حماسة أبي تمام ج١ / ٦١
٥- حماسة أبي تمام ج١ / ١٧٠ ، وحماسة البحترى ص١٩٣ . والحماسة البصرية ب ج١ / ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعددت للحدثان ـــــــــا بغةً وعدّاءً علنـــدا
نهدا وذا شطب يقـــــــدُّ البيض والابدان قـدا

وهو - اذ يعد هذه الاسلحة - انما يعدّها لمواجهة خصومه من كعب ونهد :

وعلمت أني يـــــوم ذا لك منازل كعبـا ونهـدا

وفي هذا البيت اشارة الى الصراع القبلي بين القبائل . لكن الشاعر ينصف خصومه فيجعلهـــــــم أشداء . فهم اذا لبسوا الاسلحة كانوا نمورا ، وكل واحد منهم يسرع الى المعركة بما أعدّ من عـــدة وعتاد :

قوم اذا لبسوا الحديـــــ د تنمّروا حلقا وقـدّا
كل امرىء يجرى الـــــى يوم الهياج بما استعدا

وقد وصف المعركة بالهياج لشدتها وعنفها .

وخلف المقاتلين تقف النساء اللواتي يشجعن المقاتلين ، يشددن من عزائمهم ، ولعـــل في ذكر النساء دليلا على أن المقاتلين كانوا يدركون أنهم لو استكانوا لعدوهم تسبى نساؤهـــــم وتنتهك الاعراض والحرمات ، فهم يستمدون عزمهم من النساء :

لمّا رأيت نساء نـــــا يفحصن بالمعزاء شـــدّا
وبدت لبس كأنهـــــا قمرٌ السماء اذا تبـــدى

فحين رآها دب فيه العزم وأصر على المنازلة ، وأول ما يتذكره الفارس المقاتل في المعركة هو منازلة قائد خصومه والانتصار عليـــــه .

نازلت كبشهُمُ ولـــــم أر من نزال الكبش بـــدّا

وتبدأ التهديدات المتبادلة بين المقاتلين ، فخصوم عمرو بن معد يكرب يهددونه باهدار دمه وقتله، وهو ينذرهم بالقتل أيضا :

هم يُنذرون دمـــي وأنـــ ذر إنْ لقيت بأن أشـــدا

ويظهر عمرو بن معديكرب أنه صبور جلد لم يجزع ولم يهلع لفقدان من فقده ، ويرى أن الهلع والجزع لا يرد له شيئا :

كم من أخ لي صالـــــح بوأتُه بيديَّ لحـــــدا
ألبسته أثوابـــــــه وخلقت يوم خلقت جلدا

ثم يعـــود ليركـــز على فروسيتـــــه وشجاعته - فهو لفروسيته وحماسته يقـوم مقـــام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جملة من الشجعان في وجه الاعداء :

أغني غناء الذاهبين ن أعد للاعداء عداء

ولا يختلف حُسَيْل بن سُجَيْح الضبّي عن عمرو بن معد يكرب . فهو يرى أن البطل الحق هو الذى يعد نفسه الاعداد الجيد ، فيتزود بالسلاح والخيول الخامرة. فاسلحته قوية متخيرة تخيرا جيدا ، ولا سيما أنه يعدها ليوم من أيام ضبة وهو يوم الشريف ، وحسيل ليس ممن يتشدقون بالقول والفخر بالنفس فتراه يشهد الحي على شجاعته في يوم الشريف حين واجه الخصوم الاقوياء الذين وصفهم بالحمس لشجاعتهم ، يقول:(١)

لقد علم الحيّ المصبّح أنني غداةَ لقينا بالشّريفِ الأحامسا

فهم يعلمون تمام العلم ما فعل حسيل . فقد صار صدر فرسه أحمر من كثرة الطعن ، وفي هذا اشارة الى أنه فارس مقاتل يتقدم الصفوف :

جعلت لَبان الجون للقوم غايةً من الطعن حتى آض أحمرَ وارسا

وأرهبت أولى القوم حتى تنهنهوا كما ذدت يوم الوِرْدِ هِيما خوامسا

والرمح والسيف القاطع والدرع التي تخيرها من صنع ابن داود والقوس المتخذة من شجر الحرم والسهام المنقوعة بالسم بحيث لا ينجو من تصيبه من الموت ، كل هذه اسلحة أعدها حسيل ليوم الشريف:

بمُطَّرِدٍ لَدْنٍ صِحاحٍ كُعوبُه وذي رَوْنَقٍ عَضْبٍ يقد القَوانسا

وبيضاءَ من نسج ابن داود نثرةٍ تخيرتها يوم اللقاء الملابسا

وحرميةٍ منسوبةٍ وسِلاجِم خِفاف ترى عن حدها السّم قالسا

وقد استمر حسيل يقاتلهم حتى جنه الليل:

فما زلت حتى جَنّني الليل عنهمُ أُطَرِّفُ عني فارسا ثُم فارسا

والفارس الذى يؤدى ما عليه من حماية القبيلة بيده ولسانه لا ينتظر حمدا من قومه على ممارسته لان ذلك واجب عليه ، والحمد فيه يزيد على الواجب:

ولا يَحْمَد القومُ الكرام أخاهم العتيد السلاح عنهم أن يمارسا

ويطرح سعد بن مالك مواصفات الفارس القادر على النزال ، ويبيّن أن الحرب داهية لا يبقى لحر وطيسها صاحب التخيّل والمراح ، وانما الفتى الحابس نفسه على الدواهي ، والاقراس الصلبة الحافر ، يقول(٢):

١- حماسة أبي تمام ، ج٢/١٣٥.

٢- حماسة أبي تمام ج٢/٧٣. وحماسة البحتري ص٤٤. وحماسة صفوة الأدب ج١/١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا بؤسَ لِلْحرب التـــــي وضعت أراهطَ فاستراحـــوا
والحرب لا يبقى لجـــــا حِمها[1] التخيّل والمِـــراح
الّا الفتى الصبار في الـــنـ جدات والفرس الوَقـــاح[2]
والنشرة الحمداء والـــــ بيـــض المكلّل والرمـــاح
والكر بعد الفـــر اذ كُرِه التقدمُ والنّطـــــاح
كشفتّ لهم عن ساقهـــــا وبدا من الشر الصُّـــراح

وتبدو العصبية القبلية في أشد حالاتها حين يقلل من شأن خصومه ، ويرفع من مكانة قومه ، ويفتخر بنفســـــه :

بئس الخلائفُ بعدنـــــا أولادُ يَشْكُرَ واللقـــاح[3]
من صدّ عن نيرانهـــــا فأنا ابن قيس لا بـــــراح

والمعركة تتطلب الصبر والمجالدة ، والشاعر يطلب من بني قيس الصبر حتى ينتهي الامر ، ويؤكد أن الاجل اذا ما حان لا يرده أحـد :

صبرا بني قيس لهـــــا حتى تُريحوا أو تراحـــوا
ان الموائل خوفَهـــــا يَعْتاقُه[4] الأجلُ المُتـــاح
هيهاتَ حال المـــــوتُ دو ن الفوت وانتُضِي الســـلاح

ويستصرخ الشاعر قومه ، ويدعوهم الى القتال مبينا أنه لا عزة لهم ان هم استكانوا ، ويبدو أن الشاعر يقرع قومه من خلال الاستفهام في بيتية الاخيريـن :

كيف الحياة اذا خلـــت منا الظواهر والبِطـــاح؟
أين الاعزة والاسنـــــــ ـة عند ذلك والسمـــاح؟

والثأر من القضايا التي وجهت الابطال وجهة قتالية ، وأوجدت فيهم العزم والتصميم على ادراكـــه فالاخذ بالثأر صفة حميدة من صفات الابطال في الجاهلية - كما صوّرها الشعراء - وأما ان توانى الانسان الجاهلي عن الاخذ بالثأر فمنقصة ومذمة . فقيس بن الخطيم يتباهى ويفتخر لانه أدرك ثأر أبيه بأن طعن ابن عبدالقيس طعنة قاتلة ، يقول[5]:

١- الجاحم : الملتهب ، اللسان ، مادة جحم. ٣- اللقاح : بنو حنيفة ، اللسان ، مادة لقح.
٢- الوقاح : الشديد الجاف ، اللسان ، مادة وقح. ٤ - يعتاقه : يمنعه ، اللسان ، مادة عتق.
٥- حماسة أبي تمام ج١ / ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طعنت ابنَ عبدالقيس طعنةَ ثائـــر لـها نَفَذ لـولا الشّعاعُ أضاءها
ملكت بهاكفي فأنهرت فتقهـــا يَرى قائم من دونها ما وراءها

وابن الخطيم لا يخشى من الموت لانه يدرك أنه لا يموت الاّ وقد قضى ما في نفسه من حاجات ٠ فقـــد خلق للحروب ، ولمقارعة الأعداء٠٠

متى يأت هذا الموتُ لا تُلْفَ حاجـة لنفسي الاّ قد قضيت قضاءهـــا
فاني في الحرب الضروس موكـــل بإقْدام نفس ما أريد بقاءهـــا

وكانت العرب تعير بعضها في الثأر ٠ فالقبيلة التي لا يستطيع رجالها أن يثأروا لقتيلهم ، أولى بهم أن يكونوا كالنساء اللواتي خلقن للتطيب والتكحل ٠ وفي هذا القول اشارة الى أن الثأر من واجبـــات الرجال ٠ وأن السكوت عنه مذلّة ٠ فعبدالرحمن بن دارة الفَزارى يقرّع قومه ، ويسخر منهم ، حيـــن يطلب منهم أن يمارسوا ما تمارسه النساء من التطيب والتكحل ٠ وأن يبيعوا الرماح ويبتاعوا عوضـــا عنها الحلي ، وأن يبتاعوا مغازل الصوف بدلا من النبال ٠ وهو في هذا يحرض قومه ، ويحثهم علـــى الأخذ بالثأر ، يقول:(١)

لئن أنتم لم تثأروا لأخيكـــم فكونوا نساءً للخَلوق وللكحـــل
وبيعوا الردينياتِ بالْحِلي واقعدوا عن الحرب وابتاعوا المغازل بالنَّبْل

أمّا عطّاف بن وبرة العذرى فيطلب من قومه أن يكونوا اماء تستأجر ان هم لم يأخذوا بثأر أخيهـــم يقـــول :(٢)

فان انتم لم تثأروا لأخيكـــم فكونوا إماءً تَبْتَغي من تُؤاجـــر

والصور التي تعير بها العرب بعضها كثيرة ٠ فبعضهم يدعو على القبيلة أن لا تدر لبونها ، وفـــي ذلك تقول امرأة بن ضبّـة :(٣)

فان لم تثأروا عمراً بزيـــد فلا دَرّت لَبونُ بني ريـــاح

وبعضهم يطلب من القوم أن يلبسوا لباس النساء حتى لا ينكشف أمرهم ، تقول ابنة حكيم بن عمـــرو العبديـــة :(٤)

فان لم تنالوا نيلكم بسيوفكـــم فكونوا نساء في الملاء المُخَلّق

١- حماسة البحترى ص١١٠ ٢- المصدر السابق ص ٣١٠
٣- المصدر السابق ص ٣٣٠ ٤- المصدر السابق ص٣٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصبح البطل ذا هم جماعي اذا أحس بشيء من الخطر يهدد كيانه ، وكيان قبيلته ، وحينئذ يؤثر قومه ، ويستجيب لاجماعهم أيا كانت النتائج المترتبة على القبيلة ، وقد بدا ذلك واضحا في قول دريد بن الصمة :(١)

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

وهل أنا الاّ من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

وحين يقاتل الفارس أعداءه يبين أنه طعن أشد خصومه يقول:(٢)

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها فطعنت تحت كنانة المتمطر

يعود ثانية ليتحدث بلغة الجمع في البيت الثاني:

ونطا عن الابطال عن أبنائنا وعلى بصائرنا وان لم تبصر

فصور البطولة في القبيلة ذات أبعاد متعددة يخلقها الواقع الذى يعيشه الناس . فالاحتراب والاقتتال يفرض على القبيلة ، وعلى رجالها أن يتحدوا في قلب رجل واحد صونا للاعراض ، ودفاعا عن حمى القبيلة . ومكتسباتها وقيمها . والفارس أدرى بمشاعر قومه ، وهو أكثر حرصا على رفع معنوياتهم واذ كاء روح القتال فيهم . فولادة قصيدة مقاتلة على لسان شاعر القبيلة يعني اعلان الحرب حينا والاستعداد له بكل الوسائل حينا آخر . وتمتد حمى القصيدة لتجد صداها في نفوس الناس ، وتأخذ طريقها الى الانتشار . فتتدافع معانيها على كل لسان لانها تحمل مجد القبيلة ، والشعراء ينشدون الصورة المثال للقبيلة والابطال ، ينضاف الى ذلك ادراك الشاعر بأن الانسان اذا لم يكن كذلك طحنته الايام والوقائع . فحيّان بن ربيعة يظهر قوة قومه العسكرية ، وشدة بطشهم ، فتراه يشهد القبائل على قوة قومه . فهم في أتم استعداد للقتال : يقول(٣)

لقد علم القبائل أن قومي ذوو جد اذا لبس الحديد

وهم فرسان الشعر يتغنون به في المعارك . فقد دأبت العرب على اصطحاب شعراء القبيلة ينشدون الشعر ليبعثوا الحماس في نفوس المقاتلين. وكانت القبائل تتفاخر بشعرائها ، وسطوتهم في القول :

١- حماسة أبي تمام ج١/٣٠٤. الحماسة البحرية ج١/٢٢.

٢- حماسة أبي تمام ج١/١٢٧. ٣- حماسة أبي تمام ج١/٢٧٨. والتذكرة السعدية ص ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانا نِعْمَ أحلاسُ[1] القوافـــــي اذا استعر التنافـرُ[2] والنشيـد

ويصف حيان بعد ذلك قوة قومه ، وأنهم يضربون الكتائب العظيمة ويشهد السيوف على أفعالهـــــم وشدة بأسهم في الحـــروب .

وانا نضرب الملحاء حتـــــى تولي والسيوف لنا شهـــــود

ويربط الشعراء حديث الحروب والوقائع بالفخر والاعتزاز بالقبيلة وبصنيعها في سوح القتـــــال ويتبدى ذلك واضحا في أبيات ودّاك بن ثميل المازني اذ يقول:[3]

رويدَ بني شيبان بعضَ وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفـــــوان

ثم يصف قومه بالقوة والشجاعة ، فخيولهم مدربة معودة على القتال في كل الظروف :

تلاقوا جيادا لا تَحيد عن الوغى اذا ما غدت في المأزق المتدانـــــي

وهو اذ يصف هذه الخيول انما يقصد الى ابراز قوة فرسان قومه ، فهم كالاسود قوة وفتكا في كل موقعـــة

عليها الكماةُ الغرُّ من آل مـــازن لِبُوثُ طِعان عند كل طِعـــــان

وهؤلاء الفرسان يبلون في المعارك ، وهم أكثر صبرا وجلدا

تلاقوهُمُ فتعرفوا كيف صبرهـــم على ما جنت فيهم يد الحدثـــان

مقاديمٌ وصّالون في الروع خَطْوَهُمْ بكل رفيق الشفرتين يمـــان

وتظهر العصبية القبلية جلية حين يبين الشاعر أن فرسان قومه حريصون على استجابة من يستنصرهم دون أن يسألوا عن مكان هذه الحرب ، ولم يتعللوا بشيء كما يتعلل الجبان:

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهُمُ لاية حرب أم لأى مكـــــان

ويوضح هذا المعنى السموأل بن عادياء ، فومه قوم ذوو عز ومنعة . والذى يدخل في جوارهم امتنـــع على طلابه ، يقول:[4]

لنا جبل يحتله مَنْ نُجيـــــره مَنيعٌ يَرد الطرف وهو كَليـل

١- أحلاس القوافي : فرسان الشعر أى الملازمون الشعر ، اللسان ، مادة حلس.

٢- التنافر : التفاخر ، اللسان ، مادة نفر .

٣- حماسة أبي تمام ج١/١٢٢ ، وحماسة صفوة الادب ج١/١٢٠+. والحماسة البصريـة بج١/١٥٣ والتذكرة السعدية ص ٦٩.

٤- حماسة أبي تمام ج١/١٠٧. والحماسة البحرية أ ج١/١٤٠.والتذكرة السعدية ص ٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يبين قوة قومه ، فهم يرون القتل فخرا ، في حين يراه الاخرون عارا ويستشهد على ذلك بقبيلتي عامر وسلول :

وانا لقومٌ ما نرى الموتَ سُبّةً اذا ما رأته عامر وسلول

وهم يغتبطون لاقتحامهم غمار الموت ، وأن عامرا وسلولا لا يعمرون لمجانبتهم الشر كراهة للموت، وحبا للحياة:

يقرّبُ حبُّ الموت آجالَنا لنا وتكرهه آجالُهم فتطول

وما مات منا سيدٌ حَتْفَ أنفه ولا طلّ منا حيث كان قتيل

وهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون الاّ بالسيوف ، ولا يقتلون بالعصي والحجارة كما يقتل رعاع الناس:

تسيل على حد الظبات نفوسُنا وليس على غير الظبات تسيل

وننكر ان شئنا على الناس قولَهم ولا ينكرون القول حين نقول

ثم يبين أن السيادة مستقرة فيهم دائمة ، فاذا ما مات فيهم سيد قام آخر مكانه:

اذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

ومن كانت هذه صفاتهم فهم لا شك كرماء يعطون ، فلا تخمد نارهم وأن كل من ينزل فيهم يثني عليهم:

وما أخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمّنا في النازلين نزيل

ثم يشير الى الأيام التي ظهرت فيها قبيلته ، وهي - كما يقول - معروفة مشهورة وهي بين الايام كالاقراس الغرّ المحجلة بين الخيل:

وأيامنا مشهورةٌ في عدوّنا لها غُرَرٌ معلومةٌ وحجول

وأسيافُنا في كل شرق ومغرب بها من قِراع الدارعين فُلول

مُعَوَّدةٌ ألاّ تسيل نِصالُها فَتُغْمَدَ حتى يُستباحَ قبيل

وهو حين يطرح هذه الصفات لا يقصد منها المباهاة ولذا تراه يطلب من تلك التي عيرته بقلة عدد قومه أن تسأل الناس ، فهم يخبرونها بذلك ويذيّل قائلا : ان العالم والجاهل لا يستويان :

سلي - ان جَهِلْتِ - الناسَ عنا وعنهُمُ وليس سواءً عالمٌ وَجَهول

ثم يعقد تشبيها يبين فيه أهميتهم فيقول:

فان بني الديّانِ قُطْبٌ لقومهم تدور رُحاهم حولهم وتجول

أمّا بَشامَة بن حَزْن النَّهْشَلي فيرى أن ازهاق النفوس أقل درجات التضحية ، لأن قومه انما يبذلون أرواحهم دفاعا عن القبيلة . وهم سبّاقون الى غايات المجد وخيولهم السوابق والمحلين أول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخيول ، يقول:[١]

ان تُبْتَدر غايةٌ يوما لِمَكْرُمَـــــةٍ تلقى السوابقَ[٢] منا والمصلينـــا[٣]

وليس يهلك منا سيدا أبـــــدا الاّ افتلينا غُلاما سيدا فينـــــا

انّا لَنَرْخَص يوم الروع أنفسنـــــا ولو نُسام بها في الأمن أُغلينـــــا

ويصف قومه بأنهم أغنياء أصحـاب سطوة لا يطمع الناس في مقاصعتهم بل يكتفـــون منهم بأخذ الديـــة :

بيضٌ مَفارقنا تغلي مراجلُنـــا نأسوا بأموالنا آثارَ أيدينـــا

وهم أصحاب اعانة واغاثة ونجدة واقدام على الحـروب :

اني لِمن مَعْشَرٍ أفنى أوائلَهـــم قيلُ الكماة الا أين المحامونـــا

وهم بشجاعتهم وحماستهم لا يعترفون بشجاعة غيرهـــم :

لو كان في الالف منا واحد فدعوا مَنْ فارس خالهم اياه يعنونـــا

ويبيّن أنهم ليسوا من الفرسان الذين يخافون من سطوة السيوف فهم لبسالتهم يصلون السيوف بأيدهم وفي هذا كناية عن علو همتهم في الحرب وطول باعهم فيهـا :

اذا الكماة تنحّوا أن يصيبهُـــمُ حدُّ الظبات وصلناها بأيدينـــا

ثم يصف شدة صبرهم مع عظم مصيبتهم فيقول :

ولا تراهم وان جلّت مصيبتهـــم مع البكاة على من مات يبكونـا

ونركب الكره أحيانا فيفرجـــه عنه الحفاظُ وأسيافٌ تواتينـــا

وكان لأيام العرب في الجاهلية نصيب وافر من اهتمام الشعراء فمجدوا البطولة والأبطال . وقـــد الهبت الأيام السنة الشعراء ، وشحذتها ، فكانت الكلمة المقاتلة والأسلحة المختلفة عدة الرجال .

وقد تغنى الشعراء وتفاخروا ، وقللوا من شأن خصومهم . ودواعي الفخر عندهم كثيـــرة منهـا : ابراز نشوة النصر ، وما تحدثه في نفس الشاعر من خيلاء وزهو ، واحساس بالعزة والقـــوة والمكانة الرفيعة ، ومنها ابراز ثورة الغضب.

١- حماسة أبي تمام ج١ / ٩٧ . والتذكرة السعدية ص٤٤.

٢- السوابق : جمع سابق وهو أول خيول الحلبة ، اللسان ، مادة سبق.

٣- المصلينا : جمع مصلي : والمصلي من الخيل الذي يجيء بعد السابق ، اللسان ، مادة صلا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان فرسان أيام العرب ينشدون شعرهم الحماسي - مادتهم الرئيسة في حروبهم وهم على ظهور الخيول ، وفي ساحات الكر والفر ، يسدّدون رماحهم الى نحور أعدائهم غير هيّابين من الموت فاما حياة كريمة ، واما الموت تحت ظلال السيوف والرماح بعزة وشرف • وبعضهم كان يقول الشعر وهو يحتضر •

ولعل أولى القضايا التي شغلت شعراء الايام هي فخر الشاعر بشجاعته وشجاعة قومه ، وشدة بأسهم في الحروب • فربيعة بن مقروم الضبي يذكر أيام قومه ، ويفتخر بهم وبشجاعتهم ، ويبدأ قصيدته بسؤال استنكاري يدلل فيه على شجاعة قومه ، واتساع رقعة حدودهم ، يقول[1]

أمن آلِ هندعرفتَ الرسوما ... بحمران[2] قفرا أبت أن تريما

وقفتُ أسائلها ناقتي ... وما أنا أم سؤالي الرسوما

ويطلب ممن يشك بقوة قومه أن يسأل عمن له علم بقومه وبقوتهم ،

وقولي فان أنتَ كذّبتَني ... بقولي فاسأل بقومي عليما

ثم يبدأ بوصفهم فهم كالرماح طولا ، وهم أصحاب نخوة ونجدة يدافعون عن الاعراض :

طوال الرماح غداة المباح ... ذوو نجدة يمنعون الحريما

وهم بنو الحرب خلقوا لها ، اذا لبسوا الدروع حسبتهم سادة الناس :

بنو الحرب يوما اذا استلأموا ... حَسِبْتَهُمُ في الحديد القروما

وأنهم أقاموا بثغر يخاف الاقامة به غيرهم من الناس ، وقد اتخذوا السيوف والرماح معاقل لهم ، وتحتهم الخيول التي تكر في ساحة الوغى مسرعة لا تبالي ولا تشكو :

ودار هو ان أنفنا المقام ... بها فحللنا محلاً كريما

وثغرٍ مخوفٍ أقمنا به ... يهاب به غيرنا أن يقيما

جعلنا السيوفَ به والرماحَ ... معاقلَنا والحديدَ النظيما

وقد رسم المُعَقِّر البارقي صورة معبرة ليوم جبلة الذى هزمت فيه عامر تميما ، فتراه يعظم جموع الأعداء ، لكي يبيّن جهد قومه ، وقوتهم في التغلب على أعدائهم • وقد ورد ذكر هذا اليوم في كثير

١- الحماسة البحرية أ ح١ / ١٥٤ •

٢- حمران : قصر في البادية بين العقبة والقاع قرب الجادة (معجم البلدان مادة حمران) •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المظـان ·[1] وفي ذلك يقـــول[2]

أمن آل شعثاءَ الحمولُ البواكـــــرُ مع الصبح قد زالت بهن الأباعـــــرُ

وحلت سليمى بين هضب وأيكـــــة فليس عليها يوم ذلك قـــــادرُ

ثم يصف قوة قومه في هذا اليوم ، ويبيّن مقدرة خيولهم على المقارعة والمحاورة فهي ضامرة قويـــة يقـــــول :

يفرّج عنا ثغرَ كلّ مخوفـــــةٍ جوادٌ كسرحان الاباءة ضامـــــرُ

وكل طموحٍ في الجراء كأنهـــــا اذا غمست في الماء فتخاء كاســـرُ

ولا ينسى البطل نفسه في غمرة القتال ، فهو حريص على اثبات حضوره في كل زمان ومكان · فعامـــر ابن الطفيل يبيّن أنه هو الذي يدافع عن القبيلة ، ويحمي القوم ، وهو لا يعمد الى المباشرة في فخره بنفسه بل يجعل هوازن تعترف بقوته ، وكذلك فرسه فهو يعلم أنني أكر على الخصوم كما يكر فـــرس قيس بن مسعود يقول[3]

وقد علمتْ عليا هوازنَ أننـــي أنا الفارس الحامي حقيقة جعفـــر

وقد علم المزنوقُ[4] أنني أكـــرّه على جمعهم كر المَنيح[5] المشهـــر

والفارس لا يحب لفرسه أن يتقاعس عن القتال ، فترى صاحبه ينهره ، وينهاه عن التراجع ، فقـــد أراد عامر أن يبيّن أنه أكثر جلدا وصبرا ، يقـــول :

١- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٧هـ) العقد الفريد ، شرحه وضبطه أحمد أمين وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ط٢ ، ١٩٤٨ ج٥/١٤١، والميدانـــي أحمد بن محمد النيسابوري (ت ١٨هـ) : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧، ج٤/٧، وابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن علي (ت٦٣٢هـ)، الكامل في التاريخ ، تحقيق عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ج١/٤٦٣ ، والدكتور عفيف عبدالرحمن : الشعر ، وأيام العرب في العصر الجاهلـــي دار الاندلس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٠·

٢- الحماسة البحرية أ ج١/٢٤٧·

٣- المصدر السابق ج١/٣٠٨ · وقد قال مقطوعته هذه في يوم فيف الريح (العقد ج٥/٢٣٥)·

٤- المزنوق : فرس عامر بن الطفيل ، أنظر ابن الكلبي : أنساب الخيل ص٢٩·

٥- المنيح : رجل من بني سعد ، ولعله فرس قيس بن مسعود، اللسان ، مادة منح·

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا أزْوَرَّ من وقع الرماح زجرتُـــــه وقلت له ارجع مقبلا غيرَ مدبـــــر
أردت لكي ما يعلم الناسُ أننـــــي صبرتُ وأخشى مِثْلَ يوم المُشَقَّـــــر (١)

ومن أيام العرب التي سجلها الشعراء ، وتناقلها الرواة يوم التيم(٢)، وكان من خبر هذا اليـــــوم أن بلاد بني سعد أجدبت فانتجع بنو تميم بن مرة ، وبنو عبد مناة بن أد وهم تيم وعدى وعكل الـــى صحراء صنعاء فرعوا فيها ، ثم وقعت حرب بين حمير وصحار فظهرت صحار على حمير ، وقتلـــوا ملكا من ملوكهم ، فجمعت حمير لصحار فارتحلت صحار من البيداء ولحقت ببلاد معد ، فثـــارت حمير الى بني كلب تطالب بدم الملك . وكلب أخوة صحار ، فاستنجدت كلب بتيم الرباب، فأنجدتهم على حمير ، وظعن بنو حمير من الصحراء ، ولحقوا ببلادهم ، فصارت حمير الى التيم وعدى وعكـــل والى بني كلب بن وبرة ، فظهرت بنو عبد مناة وكلب على حمير ثانية ، وقتلت التيم علقمة بـــن ذي يزن ، فقال بعض شعراء حمير قصيدة في هذا اليوم ، فقد بدأها متسائلا ومدللا على قوتحميـــــر فقد اختلطت دماء الاعداء بالغبار المتطاير من ساحة المعركة . وقصد بسؤاله من رأى قوتنا في هـذا اليوم ، يقـــــول:(٣)

من رأى يومَنا ويومَ بني التـــــ يـم اذ التفَّ صِيقُه(٤) بدمـــهْ

وجواب هذا السؤال الاستنكاري في البيت الثاني وهو أنهم صبروا على ما لحقهم:

لمّا رأوا أن يومهم أشـــــبٌ شدوا حيازيمَهم(٥) على ألمهْ

وقد شبّه نفسه وقومه بالليل الذي يغلب بظلامه على كل شيء ، فهم غالبون على بني التيـــــم :

كأنما الأسدُ في عرينهـــــمُ ونحن كالليل جاشَ في قتمـــــهْ(٦)

١- المشقر : يوم من أيام العرب وهو للفرس على تميم(مجمع الأمثال ج٤/٩)

٢- هو يوم البيداء ، فقد ذكره الميداني في " مجمع الأمثال " ج٤/١٩ ، وذكره الدكتور عفيف عبدالرحمن في كتاب " الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي " ص ١١٤. وفيه قال هـــلال ابن رزيـن:

وبالبيداء لمّا أن تلاقـــــت بها كلب وحل بها النـــــذور

٣- حماسة أبي تمام ج١/٣١٣.

٤- الصيق : الغبار الجائل في الهواء ، اللسان ، مادة صيق.

٥- الحيازيم : الصدور ، اللسان ، مادة حزم.

٦- القتم : الظلمة والغبار ، اللسان ، مادة قتم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن شيمهم أنهم قادرون على الدفاع عن الجار ، والمحاماة عنه ، وأنهم لا يسلمونه حتى الموت . وهذه من الشيم التي أحبتها العرب :

لا يُسلِمون الغداةَ جارهُمُ ... حتى يَزِلّ الشّراك عن قدمهْ

ثم يصف فرسان قومه . فالفارس عندهم لا يجبن عن اللقاء ، بل يقدم اقداما يخرق الصفوف لعزة نفسه وكرمها :

ولا يَخِيم اللقاءَ فارسُهمُ ... حتى يشق الصفوف من كرمهْ

ثم يصف الحالة التي بات عليها أعداؤهم فما زالت الرماح تأخذهم من كل جانب حتى أدبرت جموع حمير ، وانهزموا ، وكل واحد يسرع الى قصده للنجاة بنفسه :

حتى تولت جموعُ حميرَ والـ ... ـفلّ سريعا يهوى ، الى أممهْ

وأشار في نهاية قصيدته الى معترك القوم ، وأنهم تركوا في تلك المعركة الابطال وهم مصرعون:

وكم تركنا هناك من بطـ ... ـتُسفى عليه الرياحُ من لِمَمهْ

وفي اليوم نفسه قال حسان بن نُشْبَة العَدوي:[1]

نحن أجرنا الحي كلبا وقد أتـ ... ـلها حميرَ تُزجي الوشيج[2] المُقَوَّما

تركنا لهم شقّ الشمال فأصبحوا ... جميعا يُزَجّون المَطيّ المخزما

فلما دنوا صُلنا ففرّق جمعهم ... سحابتُنا تَنْدى أسِرّتُها دما

فغادرن قِيلا[3] من مَقاوِل حميرٍ ... كأن بخديه من الدم عَنْدَما[4]

أمرّ على أفواه من ذاق طعمَها ... مطاعِمُنا يَمْجُجْن صابا[5]، وعلقما

وقال أبياتا أخرى بيّن فيها قوة قومه ، ويبيّن فيها أن قومه يحمون جارهم الذي يستجير بهم بقوة السيف ، فهم أكثر الناس رفعة وعزا، واذا ما قاتلوا بدأوا برئيس القوم من الخصوم حتى يتمكنوا منه ، يقول[6]:

اني وان لم أفدِ حيّا سواهُمُ ... فِداءً لتيم يوم كلب وحميرا

١- حماسة أبي تمام ج١/٣١٨. ٢- الوشيج: الرماح، اللسان ، مادة وشج.
٣- القيل : ملك من ملوك حمير، اللسان ، مادة قيل
٤- العندم : دم الاخوين ، ولعله قصد دم الغزال، اللسان ، مادة عندم.
٥- الصاب :نوع من الشجر المر ، اللسان ، مادة صوب .
٦- حماسة أبي تمام ج١/٣٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبوا أن يُبيحوا جارهم لعدوهم ... وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا

سموا نحو قيل القوم يبتدرونه ... بأسيافهم حتى هوى فتقطّرا

وكان كأنف الليث لا شمّ[1] مرغما[2] ... ولا نال قطّ الصيد حتى تعفّرا

وممن قال في ذلك اليوم من الشعراء هلال بن رزين أحد بني ثور بن عبد مناة بن أد[3].

ومن أيام العرب المشهورة يوم **اليحاميم**[4]، وهو من أيام طيء مع بعضها وفي هذا اليوم قال بعض بني بولان بن طيء[5]:

نحن حبسنا بني جديلة فـي ... نار من الحرب جَحْمة[6] الضّرم

نستوقد النّبل بالحضيض ونصـ ... ـطاد نفوسا بُنَتْ على الكرم

غير أن صورة البطل في مقطوعة رويشد بن كثير الطائي تبدو أكثر وضوحا وعمقا ، فهو لا يضجر من مكابدة الحروب ، ومقاساة الشدائد فيها . ولا يتنحى جانبا ان دارت رحى الحرب بأهلها . فأبياته تنضح قوة ترهب أشد الفرسان جلدا وصبرا ومراسا في الوقائع. والابيات مما قيل في يوم ظهر الدهناء[7]، وهي بين بني طيء أنفسهم ، يقول:[8]

يا أيها الراكبُ المزجي مطيّتَه ... سائل بني أسد ما هذه الصوتُ

وقل لهم : بادروا في العذر والتمسوا ... قولا يُبَرِّئكُمْ اني أنا الموتُ

ان تذنبوا ثم تأتيني بقيتُكم ... فما علي بذنب عندكم فَوْتُ

فقد شبّه نفسه بالموت ، وقصد أنه قرّب اليهم الموت بمعاقبتهم .

وصوّر أُنَيْف بن زُبّان النبهاني في قصيدة له جيشا جرارا ، أوله في حي جديس ، وآخره في مكان اللوى والحزن . فقد جمعوا لعدوهم جيوشا يعجز المقرفون فيها ، ويلحقهم الضعف والعار ويصيبهم النكال من قوة رجال قومه ، يقول:[9]

١- الشم : مصدر شممت ، وجاء به الشاعر كناية عن الرفعة والعلو ، اللسان ، مادة شمم.

٢- الرغم : الذل ، اللسان ، مادة رغم.

٣- حماسة أبي تمام ج١/٣٢٢.

٤- وهو من أيام طيء مع بعضها (معجم البلدان ، مادة يحاميم والكامل لابن الاثير ، ج١/٥٠٣).

٥- حماسة أبي تمام ج١/١٦٢ ٦ - الجحمة : المضطرمة ، اللسان ، مادة جحم.

٧- وهو من أيام طيء على أسد (الكامل ج١/٤٩٧ ، ومجمع الأمثال ، ج٤/٣٢).

٨- حماسة أبي تمام ج١/١٦٤، وحماسة صفوة الأدب ج١/١٤٢.

٩ - حماسة أبي تمام ج١/١٦٦، والحماسة البحرية أ ج١/١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمعنا لكم من حي عوف ومالـــــــك كتائبَ يروى المُقرفين[1] نكالُهـــا

لهم عَجَزٌ بالرمل فالحزن فالـلـــــوى وقد جاوزت حيٌّ جَديس رعالُهـــا

وهذا الجيش الذى جمعه كثير العدد منهم الراكبون ، ومنهم الرجالة الذين يمشون أمام الفوارس كأنهم الجراد المنتشر وفي هذا اشارة الى كثرتهم ، وهؤلاء الرجال يرمون السهام ولا يخطئون:

وتحت نحور الخيل حرشفُ رَجْلَـــــة[2] يُتاح لغرات القلوب نِبالُهـــــا

ويصف قومه بأنهم ذوو عزة ومنعة وبأس شديـد :

أبى لهُمُ أن يعرفوا الضيمَ أنهـــــــم بنو ناتق كانت كثيرا عيالُهـــــا

ثم يتحدث عن المواجهة التي حصلت بين قومه ، وبين خصومهم ، وأول ما فعله الفريقان ، أن كـــل واحد منهما ينتسب الى قبيلته ، وهذه ممّا كانت العرب تفعله قبيل المعارك ومن ذلك على سبيل التمثل - قول هند بنت عتبـة قبيل معركة بدر : نحن بنات طارق نمشي على النمـارق ... وقـول أحدهم : نحن بنو ضبة أصحاب الجمل وغير ذلك. وهذا ما قصده الشاعر فخصومه انتسبوا الى نـــزار، وهم انتسبوا الى طيء :

فلما أتينا السفح من بطن حائـــل بحيث تلاقى طلحُها وسيالُهـا[3]

دعوا لنزار وانتمينا لطـــــــيء كأسد الشرى إقدامُها ونزالُهـا

ويصور الشاعر لنا امرأة تبالغ في سؤال من سيكون لغالب من الفريقين أنزار أم طيء ، وبيّن لها أن السيف هو الحكم الفيصل بينهمـــــا :

فلما التقينا بيّن السيف بيننـــــا لسائلة عنا حفيٌّ[4] سؤالُهـا

ووصف شدة الفتك التي الحقها فوارس قومه برجال نزار فقد امتلأت الرماح شبعا وريّا . وقوله العـل والنهل أى أن رماحهم نالت من الخصوم وشربت من دمائهم أولا وهو العل ، وشربت منهم ثانيا وهـو النهل ، وهذا كناية عن شدة البطش :

ولما تدانوا بالرماح تضلّعـتْ[5] صدورُ القنا منهم وَعَلّتْ نهالُهـا

١- المقرف : الذى أمه وأبوه مولى ، اللسان ، مادة قرف.

٢ - الكرشف: الجماعة من الرجالة يمشون أمام الفوارس ، اللسان ، مادة حرشف.

٣ - السيال : شجر له شوك أبيض وهو من العضاه. اللسان ، مادة سيل.

٤ - الحفي : المبالغة في السؤال ، اللسان ، مادة حفا .

٥- تضلعت : امتلأت شبعا وريا ، اللسان ، مادة ضلع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد الرماح يأتي دور السيوف . فقد تجالدوا بها وقتل بعضهم بعضا وعندها تقطعت أواصر القربى فيما بينهم ، وصارت عداوات :

ولمّا عصينا بالسيوف تقطعت ... وسائلُ كانت قبلُ سِلّما حبالُها

ثم بيّن الشاعر النتيجة التي آل اليها الخصوم من هزيمة منكرة لحقت بهم:

فولّوا وأطرافُ الرماح عليهمُ ... قوادرُ مربوعاتها وطوالُها

فهذه الأبيات وغيرها مما سبق شواهد على المواقع في أيا م العرب تكشف عن أن الشعراء قد زادوا في اثارة حمية الفرسان ورجال القبائل فللشعر أثر واضح على سير المعارك ، وازدياد حدّتها . فالشاعر حرص على تذكير قومه بالعواقب الوخيمة المترتبة على تقاعس المقاتلين في الوقائع ، وما تسببه من عار يلحق القبيلة بسبب سبي النساء ، وانتهاك الأعراض ، وغير ذلك.

وثمة أمر يحسن بالفصل أن يذكره وهو أن الشاعر الجاهلي كان أكثر الناس افتخارا بالنفس وبالقبيلة ، واعتدادا . ويرى أن قومه سادة الناس ، لهم الكلمة العليا ، مما يثير حمية القبائل الاخرى ، فيهب شعراؤها ينافحون عن قبائلهم وعن مكتسباتها ، ويردّون على الشعراء الاخرين بردود مماثلة . فقَبيصة بن النصراني الجَرْمي يجعل فرسان قبيلته أفضل فرسان اذ لم تر عينه أفضل منهم على ظهر الأرض فقد قصدوا بني شمجي وأدركوهم خلف اللهيم ، يقول [1]

لم أر خيلا مثلَها يوم أدركت ... بني شمجي خلف اللّهيم على ظهر

وقومه مثال في الوفاء بالعهود ، وكثرة الاقدام ، والنقض لمبرم الثأر ، وكانت عادة العرب كما سبق ذكره - أن ينذروا أنهم لا يشربون الخمر ولا يقربون النساء ولا يتطيّبون حتى يدركوا ثأرهم يقول :

أبرّ بايمان وأجرأ مُقْدَمَا ... وأنقَضَ منا للذي كان من وتر

عشية قطّعنا قرائنَ بيننا ... بأسيافنا والشاهدون بنو بدر

وقد حلّت يمين الشاعر ، ووفّى بنذره بعد أن أدرك ثأره :

فأصبحت قد حلّت يميني وأدركت ... بنو ثعل تبلي[2] وراجعني شعري

ويرى الحصين بن الحمام المرّي أن أفضل ما يصنعه المرء هو نظره الثاقب لاستشراف الغد ، لكي

١- حماسة أبي تمام ج٢/١٦٦، وقد قالها في حروب الفساد (مجمع الأمثال ج٤/١٨).

٢- التبل : الثأر ، اللسان ، مادة تبل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

لا يطمع فيه طامع، يقول :

تأخرتُ استبقي الحياةَ فلم أجـــــد حياة لنفسي مثلَ أن أتقدمـــــا

ثم يصف قومه بأنهم لا يولون من المعارك فيجرحون في ظهورهم ، بل يستقبلون السيوف بصدورهم. فان أصابتهم الجراح قطرت الدماء على أقدامهم .

وهذه صفات أحبتها العرب ، وتربت عليها ، يقول:

فلسنا على الأعقاب تَدْمى كلومُنـــا ولكن على أقدامنا تقطر الدمـــا

ويصفهم بالقوة والشجاعة . فالناس يستغيثون بهم ، ورجالهم في أتم استعداد بدروعهم وسلاحهـــم مما كساهم محرق ، وكان محرق اذا كسا أحدا أجاد وأكـــــرم:

وقلت : تبيّن هل ترى بين ضـــــارج ونهي الألف صارخا غيرَ أعجمـــا

من الصبح حتى تشرق الشمس لا تـــرى من الخيل الاّ خارجيا مسوَّمـــا

عليهن فتيان كساهم مُحَـــــــرِّق وكان اذا يكسو أجاد وأكرمـــــا

نفلّق هاما من رجال أعـــــــزّة علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلمـــــا

ومن أيام العرب المعروفة التي سجلها الشعراء يوم التحاليق [٢]، وكان لبكر على تغلب أيام حـــرب البسوس ، وقد ارتجز فيه جَحْدَرَ بنُ ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة قائـــــلا[٣]:

قد يُتِمَتْ بنتي وآمت كَنَّتـــــي وَشِعِثَتْ بعد الرهان جُمَّتـــــي

ردوا عليّ الخيل ان أُلمَّتـــــه ان لم يناجزها فجزّوا لِمَّتـــــي

ثم يصف قوته وشجاعته ، وهو كغيره من الابطال يجعل الناس يشهدون له بالقوة . فهو بطل منذ ولدته أمـــــــه:

قد علمت والدةّ ماضمَّـــــت ما لفّفت في خِرَقٍ وَضَمَّـــــت

اذا الكماة بالكماة التفـــــت أمُخْدِجٌ في الحرب أم أتمَّـــــت

١- حماسة أبي تمام ج١/١٩١ ، وحماسة صفوة الادب ج١/١٤٣ ، والحماسة البصرية أ ج١/١٧٩ ، والتذكرة السعدية ص ٨٥.

٢- وسمي وسمي بهذا الاسم لأن بكرا حلقت رؤوسها يومئذ استبسالا للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم ، اذ كنّ معهم في الحرب . ولم يبق منهم أحد الاّ حلق رأسه غير جحدر فانه كان رجلا دميما حسن اللحمة، فارسا من الفرسان المعدودين فقال: يا قوم ان حلقتم رأسي شوهتم بي، فدعوا لمّتي لأول فارس يطلع من الثنيّة غدا من القوم، ففعلوا ذلك، وتركوا لمّته . (الاغاني ج٥/٣٦/٣٧).

٣ - حماسة أبي تمام ج٢/٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة يوم الشقيقة [١] من أيام العرب وهو بين بني شيبان ، وبني ضبة ، وقد قال فيه شملة بن الأخضر مقطوعة بين فيها قوة قومه ، وشدة بطشهم ، يقول: [٢]

ويوم شقيقة الحنين لاقت ... بنو شيبان آجالا قصارا

شككنا بالرماح وهن زُور ... صماخي [٣] كبشهم حتى استدارا

فخرّ على الألاة [٤] لم يُوَسَّد ... وقد كان الدماء له خمارا

تركناه يمج دما نقيعا ... يرى لبطون راحته اصفرارا

والاعلاء من شأن الخصوم ، وبيان قوتهم انما يقصد به الشاعر الفخر بنفسه . ومن هؤلاء زاهر أبو كرّام التميمي الذى بارز رجلا يقال له تيم ، وكان فارسا فبارزه زاهر فقتله . فأخذ يعلي من شأنه ، ويعظم أمره ، وهذا الامر من الخصال التي أحبتها العرب ، ويمكن أن يعد هذا الفعل من باب انصاف الخصوم أيضا . وقد بدأ زاهر مقطوعته بالتعجب من قوة تيم ، وجلده ، يقول : [٥]

لله تيمٌ أيّ رُمح طِراد ... لاقى الحِمام به ونَصْل جِلاد

ويصفه بأنه أسرع الناس الى الحرب ، فهو مقدام لا يخاف من الموت ، ولا يزول عن مركزه ، ولا يميل عن قصده :

ومِحَشّ حربٍ مُقْدِمٍ مُتَعَرِّض ... للموت غير معرّد [٦] حيّاد

ثم يشبهه بالأسد الذى لا يصرفه عن مراده خوف الهلاك ، وأصوات التهديد والوعيد ، فضلا عن أنه لا يخاف الحرب بل يبذل مهجته فيها ، اذا خانت النجدة أصحابها لضيق الوقت ، وصعوبة المراس:

كالليث لا يثنيه عن اقدامه ... خوفُ الردى وقعاقعُ الايعاد

مَذِلٌ [٧] بمهجته اذا ما كذّبت ... خوفَ المنية نجدةُ الانجاد

١- العقد ج٥/٢٠٤.

٢- حماسة أبي تمام ج٢/١٣٣. والحماسة البصرية أ ج١/٣٣٨ ، والتذكرة السعدية ص ١٨٠.

٣- الصمّاخ : خرق الأذن الموصل للرأس ، اللسان ، مادة صمخ .

٤- الألاءة : شجرة تشبه الآس لا تتغير في القيظ ، ولها حمرة تشبه سنبلة السذرة، اللسان ، مادة ألأ .

٥- حماسة أبي تمام ج٢/٢١٣ .وقد قالها في يوم السّلّي(العقد ج٥/٢٠٢).

٦- التعريد : ترك القصد وسرعة الانهزام، اللسان ، مادة عرّد .

٧- المذل : بذل النفس والمال ، اللسان ، مادة مذل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر حين يضع في خصمه أفضل الصفات ، فكأنما أراد - كما سبق - أن يبيّن أنه أشد فتكا ، وهو بطل مثال . فقد أجرعه كأس الموت والهلاك بطعن سنان نافذ صقيل حاد ، وقد غافله فيما كانت الخيل تحدث غبارا في سماء المعركة فطعنه طعنة لا يقوم منها ، وقد تدفق الدم منه :

ساقيته كأس الردى بأسنة ... ذُلُق[1]، مؤلّلة[2] الشّفار حِداد

فطعنته والخيل في رَهَج[3] الوغى ... نجلاءَ تنضح مثلَ لون الجادى

فهوى وجائشها[4] يفور بمُزْبِد ... من جوفه مُتتابعَ الازباد

وأيام العرب كثيرة . والشعر الذى قيل فيها كثير أيضا . وقد تصدّى للحديث عنها غير باحث منهم الدكتور عفيف عبدالرحمن في كتابيه " أيام العرب وأثره في الجاهلية " و " الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي" والدكتور نورى حمودى القيسي في كتابه " البطل في التراث العربي" وما ورد في صفحات هذه الدراسة انما هو أمثلة دالة على البطولة . وكتب الحماسة غنية بشعر أيام العرب لمن أراد التوسعة في ذلك.

والبطل المقاتل ينصف خصومه الابطال لانهم لا يقلّون عنه أهمية وبأسا . فكان الانصاف يأخذ شكلا انسانيا ، وجانبا اخلاقيا متميزا ، لان الابطال كانوا ينصفون خصومهم من موقع القوة، فيعترفون لهم بالبلاء في الحرب ، والقدرة على محاورة الخصوم في المعارك .

وتمثل قصيدة عبدالشارق بن عبدالعُزى الجُهَني احدى القصائد المنصفات في الشعر العربي فتراه في بداية قصيدته يذكر النساء ، وهو هنا يحيي ردينة ، وكأنه يستمد العزم منها ، ويشهدها على بطولته وبطولة قومه . وهذا فما درجت عليه العرب ، يقول:[5]

ألا حُيّيت عنا يا ردينا ... نحيّيها وان كَرُمَت علينا

ردينةُ لو رأيتِ غداة جئنا ... على أضماتنا[6] وقد اختوينا[7]

١- الذلق : جميع ذليق وهو من كل شيء حده ، اللسان ، مادة ذلق.

٢- مؤللة : محددة ، اللسان ، مادة ألل .

٣- رهج الوغى : غبار الحرب ، اللسان ، مادة رهج.

٤- جائشها : يقال : جاش دمه أي فار وسال دمه من جوفه ، اللسان ، مادة جاش.

٥- حماسة أبي تمام ج٢/١٧ . وحماسة صفوة الادب ج١/١٥٢ .

٦- الأضم : شدة الحقد، اللسان ، مادة أضم. ٧ - الاختواء : قلة الطعام ، وكانت العرب تكره الطعام عند الحرب ، اللسان ، مادة خوا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم تبدأ القصة عنده حين يبدأ الفريقان بارسال الرسل ليستطلع كل فريق أحوال الفريق الآخر ، وبيّن انهم لم يغدروا بالفارس الذى أرسله الخصوم ليكشف أخبار قومه ، ولم يحبسوه ، ولم يقطعوا الأخبار عنه لأن ذلك غدر بهم :

فأرسلنا أبا عمرو ربيئـــا (١) فقال : ألا انعموا بالقوم عينـــا

ودسوا فارسا منهم عشـــاء فلم نغدر بفارسهم لدينـــا

ثم ينتقل الى وصف المعركة التي دارت بينهم وبين أعدائهم الذين تسارعوا نحوهم ، وكأنهم في كثرتهم وتعجلهم قطعة من السحاب فيها برد ، ونحن لكثرتنا على ما يعترض في طريقنا كالسيل الذى لا يبقي ولا يذر ، لا ننقاد لمن يريد ضبطنا :

فجاؤا عارضا بردا وجئنـــا كمثل السيل تركب وازعينـــا

والاستصراخ والاستنجاد مما كان يحدث في الحرب . فقد وضح عبدالشارق أن أعـــداءه استصرخوا ببهثة فقابلناهم ، وقذفناهم بما يكرهون ، وقلنا : يا جهين ، أحسني فيهم الضـــرب والطعـــن :

تنادوا : يا لَبَهْثة اذ رأونـــا فقلنا أحسني ضربا جهينـــا

وتبدأ المنازلة بين الفريقين بالاستعداد التام وذلك بأن يستوى المتقاتلون على الصدور لان ذلك أمكن للمناضلة والمراماة :

فلما أن تواقفنا قليـــلا أنخنا للكلاكل وارتمينـــا

ويستخدم الشاعر أنواع الاسلحة المعروفة في القتال مثل القسي ، والسهام ، وحين فنيت السهام وتكسرت القسي تقدمنا اليهم وتجالدنا بالسيـــوف :

ولمّا لم ندع قوسا وسهمـــا مشينا نحوهم ومشوا الينـــا

ثم برز الفريقان كل للآخر ، وهم يلمعون من كثرة السلاح الذى يحملـــون :

تلألؤ مزنة برقت لأخـــرى اذا حَجَلوا بأسياف ردينـــا

وقد أنصف عبدالشارق حين بيّن أنه قتل فارسهم المشهور قين ، وأن خصومه قتلوا جوين ، وأن رماح الخصوم قد تكسرت ، وسيوفهم قد انحنـــت :

١ــ الربيئة : الطليعة ، اللسان : مادة ربأ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شددنا شدة فقتلت منهـــــم ثلاثةَ فتية وقتلت قينـــا

وشدّوا شدة أخرى فجـــــرّوا بأرجل مثلهم ورموا جوينـــا

فآبوا بالرماح مكسّـــــرات وأبنا بالسيوف قد انحنينـــا

فباتوا بالصعيد لهم أحـــــاحُ (١) ولـ وخَفَّت لنا الكلمى سرينـا

وفي هذا المعنى من الانصاف يقول المُفَضَّل النكّـــــرى : (٢)

وكم من سيد مناورمنهـــــــم بذى الطرفاء منطقه شهيـــق

فأشبعنا الضباع وأشبعوهـــــا فراحت كلها تئق (٣) يفـــوق

قتلنا الحارث الوضاح منهـــم كأن سواد لمّته العـــــذوق (٤)

وقد قتلوا هم منّا غلامـــــــا كريما ما تخوّنه العـــــروق

ويبدأ العباس بن مرداس السّلمي منصفته في الحرب بوصف الحي الذى أغاروا عليـــــه صباحا ، ووصف شدة غارتهم عليه ، يقول : (٥)

فلم أر مثل الحي حيّا مصبحـــا ولا مثلَنا يوم التقينا فوارســا

ولم ير أحسن كرا وأبلغ حماية للقوم منهم : ولا أضرب للقوانس منا :

أكرَّ وأحمى للحقيقة منهـــــم وأضربَ منا بالسيوف القوانسا (٦)

وقد أنحفهم حين وصفهم بالقوة ، فاذا ما حملوا عليهم ثبتوا في وجوههم ، ونصبوا صدور الخيـــل والرمـــاح :

اذا ما شددنا شدّة نصبوا لنـــــا صدور المذاكي والرماح المَدَاعسا

اذا الخيل جالت عن صريعَ نَكُرُّها عليهم فيما يَرّجعن الاّ عوابسا

والفارس الجاهلي يدرك حق الادراك أن دروب القتال وعرة ، وأن ديمومةَ الأيام والوقائع قد تفـــت في عضد كثير من الابطال الأشداء ذوى البأس والحزم . والبطل قد يخسر جولة في معركة ، غيـــر أنه يلتمس لنفسه عذرا بفراره ، وهذا لا ينقص من شجاعته ، أو مكانته شيئا وذلك حين يبـــرر انهزامه تبريرا مقبولا .

١- الأحاح : العطش الشديد ، اللسان ، مادة أحح .

٢- حماسة أبي تمام ج ١/٢٤٩ . والحماسة البصرية أ ج ١/١٨٣ .

٣- تئق : ممتلىء ، اللسان ، مادة تئق . ٤ - العذوق : النخل ، اللسان ، مادة عذق .

٥- حماسة أبي تمام ج ٢/١٥ . وحماسة صفوة الادب ج ١/١٥٣ . والحماسة البصرية أ ج ١/١٨٦ والتذكره السعدية ص ١٤٤ . ٦ - القوانس : أعلى بيضة الحديدة ، اللسان ، مادة قنس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقبيلة التي تدرك في فتيانها الشجاعة والقوة ، تتحمل مع أفرادها كلّ التبعات المترتبة على المعارك والوقائع . فالنصر الذى يحققه أفرادها هو نصرها الذى يتوج حياتها ويرفع مكانتها ، ويعلي قدرها .

وكانت القبيلة ترتضي ما يقدمه أبناؤها حتى في حالة الفرار اذا وجدت ما يبرره ، لان تبرير الفرار صورة من صور القناعة التي حملتهم على ترك المعركة . فالحارث بن هشام القرشي يبيّن أنه ما انهزم حتى جرح فرسه ، يقول (١)

الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى عَلَوْا فرسي بأشقرَ مُزْبِدِ

وشممتُ ريح الموت من تلقائهم ... في مأزق والخيل لم تتبدّد

ويدرك البطل أنه وان بقي وحيدا يقاتل ـ هالك لا محالة ، وأن أعداءه لا يهمهم موته ، ففراره في هذه الحالة أولى :

وعلمت أني ـ ان أقاتل واحدا ... أُقْتَل ولا يَضُرُّ عدوى مشهدى

فصددتُ عنهم والأحبة فيهمُ ... طمعا لهم بعقاب يوم مُرْصِد

ويقر عمرو بن معد يكرب بالفرار ، ولكنه يبرره ، ويعتذر عنه قائلا (٢) :

ولقد أجمع رجلي بها ... حذرَ الموت واني لَغرور

ولقد أعطفها كارهةً ... حين للنفس من الموت هرير

كل ما ذلك مني خلق ... وبكلٍ أنا في الروع جدير

وتبدو أبيات أزهر بن هلال التميمي خير ما يمثل الاعتذار من الفرار . وفيها يبدو الشاعر موضوعيا الى حد كبير ، ينضاف اليه خلق رفيع يدل على بطولة فذة ، يتضح ذلك في طريقة الخطاب الذي يوجهه الشاعر الى عاتكة . ويحسن بالفصل أن يذكر أن الابطال دأبوا على اشهاد الزوجة أو المحبوبة على بطولاتهم ، وهو هنا يعتذر لها ، ويبرر لها سبب فراره لعلها تلتمس له عذرا فهو لم يهرب الاّ حين تفرق رجاله ، وأدمي حصانه ، يقول : (٣)

أعاتكَ : اني لم أُلَمْ في قتالهم ... وقد عض سيفي كبشَهم ثم صمّما

أعاتكَ :أفناني السلاحُ ومن يطل ... مقارعةَ الأبطال يَرْجِع مُكَلَّما

١- حماسة أبي تمام ج ١/١٨٢ . وحماسة صفوة الادب ج ١/١٤٢ . والحماسة البصرية أ ج ١/٩٦ .

٢- حماسة أبي تمام ج ١/١٧٦ . وحماسة البحتري ص ٥٢ . وحماسة صفوة الادب ج ٢/٣٠٤ . والتذكرة السعدية ص ٩٧ .

٣- حماسة البحتري ص ٥١ . وحماسة صفوة الادب ج ٢/١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثـــا : البطـــل المرثـــي :

بعد أن قدمت الدراسة صورة للبطل القائد والبطل المقاتل ، وبعد أن استجلـــــــت الجوانب المضيئة في حياة الابطال - وهم في ساحات الوغى ، وعلى ظهور الخيول - لا بد مـــــن وقفة متريثة لجلاء جوانب أخرى مضيئة لهؤلاء الابطال ، وذلك حين يسقطون في سوح القتـــال .

وشعر الرثاء في مجموعه صورة من صور الفخر والحماسة أوجدته الحروب ، وليس ثمـــــة توجع أو تفجع في رثاء الشعراء الا ما جاء على ألسنة النوائح ، أو نسوة القتيل أو الميت ، وربمـــا جاء قليل على ألسنة ضعاف القلوب من الرجال ، ويعتبر موت الأبطال كارثـــة لأن القبيلة التي تفقد فارسا من فرسانها ، انما تفقد شجاعته وقوته ، ومثله الذى يحتذى في الفروسية .

وقد ركز الشعراء في رثائهم - على أهمية المرثى في قومه ، وبيان شجاعته وكرمه ، وحلمه وصفحه وغير ذلك . وقل أن يتأثر رجال القبيلة بمقتل سيدهم ، وقل أن يوهن مقتله عزائمهـــــم فيبكوا ، ولكنه يثير حقد القبيلة ، وغضبها على الأعداء ولا ينسى الشاعر - وهو يرثي ذلك البطل - أن يذكر القوم بضرورة الثأر لـــــه .

ويطغى الحزن والجزع - على فراق الأبطال - على شعر بعض الشعراء ، وذلك لعلـــــو منزلة البطل القتيل في النفوس ، ولما يتحلى به من الفضائل ومن ذلك ما رثى به الربيع بن زيـــاد العبسي مالك بن زهير . فقد أرق الشاعر وأصيب بالذهول الى درجة أنه لم يغمض جفنه من الخبـــر السيء العظيم الذى انتشر في القبائل حول مقتل مالك بن زهير يقـــــول : (١)

انـي أرقت فلم أُغمِّضْ حـــــــار من سيء النبأ الجليل الســـارى

وقد وصف خبر موته فبيّن أن النساء باتت كاشفات الوجوه ، رافعات الصوت بالبكاء لشدة وقعها :

من مثله تُمْسي النساءُ حواســـرا وتقوم مُعْوِلَةً مع الاسحـــــار

وبيّن الشاعر أنه لا ينبغي للنساء أن ترجو مواقعة الرجال لهن عقب الطهر بعد مقتل مالك بـــن زهير ، فان ذلك غير ممكن . وقد كان من عادة العرب أنهم لا يمسون النساء ولا يشربون الخمـــر ولا يتلذذون بلذيذ قبل أن يأخذوا الثـــأر :

أنبعد مقتلِ مالكِ بن زهيـــــر ترجو النساءُ عواقبَ الأطهـــــار (٢)

١- حماسة أبي تمام ج ٣/٣٣٠

٢ - الاطهار : جمع طهر، وهو أن تتطهر المرأة من الحيض اللسان ، مادة طهر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يحث قومه على الأخذ بثأره :

ما ان أرى في قتله لذوي النهى ... الا المطيّ تشدّ بالأكوار[1]

والأخذ بالثأر يحتاج الى عدة وعتاد ورجال، لذا فالشاعر يحث قومه على الاستعداد للمعركة بالخيول القوية القادرة على الغزو وبالاسلحة المتخيرة من دروع صدئة وسخة لطول ملازمتهم لها ، وكذلك ايقاد النيران ، يقول:

ومجنبات ما يذقن عذوفا ... يقذفن بالمهرات والأمهار

ومساعراً صدأ الحديد عليهم ... فكأنما طُلي الوجوه بقار

ثم يبيّن ما حل بالنساء من الحزن والهلع والصراخ والعويل ، وبوجه اللوم لمن سرّ بمقتل مالك ان يأتي ويرى مناظر النساء وهن كاشفات الوجوه لا طمات الخدود يبكين عليه . وهذه النسوة هن من ذوات الخدور اللاتي لا يراهن أحد من قبل ، فصرن اليوم مكشوفات لكل ناظر يضربن خالص وجوههن أسفا على على سيد كريم الشمائل طيب الذكر :

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

يجدٌ النساءَ حواسرا يندبنه ... يلطمن أوجههن بالاسحار

يضربن حرّ وجوههن على فتى ... عفّ الشمائل طيبِ الاخبار

ومراثي الخنساء في أخيها صخر معلم بارز في قصائد الرثاء ، ومقطوعاته . وقد اشتهرت الخنساء بمراثيها ، وعرفت بها . وبقيت الخنساء نائحة على صخر سنينا ، لاطمة الخد ، شاقة الجيب ، متأسية ، تعن لها ذكراه أنّى توجهت ، فلا تجد من معين الا البكاء ، ولا من سبيل الى هدوء النفس الا بافراغ همومها في الشعر الذي وقفته على أخيها . فقد شرعت تعدد مناقبه وصفاته الحميده، وفضائله الكثيرة ، فهو معطاء ، معين للجار ، تقول [2]:

وما الغيث في جعد الثرى دمث الربا ... تبعّق فيه العارضُ المتهلل

بأجزل سيبا [3] من بديل ونعمة ... تجود بها بل سيب كفك أجزل

وجارك محفوظ منيع بنجوة ... من الضيم لا يزرا ولا يتذلل

فما بلغت كفّ امرىء متناول ... بها المجدَ الا حيث ما نلت أطول

١- الاكوار : جمع كور وهو الرحل ، اللسان ، مادة كور .

٢- حماسة ابن الشجري ج ١/٣٢٥ . والحماسة البصرية ب ج ١/٢٢٦ .

٣- السيب : العطاء اللسان مادة سيب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتكرر هذه المعاني في مراثي المهلهل بن ربيعه التغلبي حين رثى أخاه كليبا ، فقد بين شجاعته ، فقال : (١)

اليلتنا بذى حَسْم انيرى ... اذا أنتِ أنقضيت فلا تحورى
فلو نُبِش المقابرُ عن كليب ... فَيُخْبَرَ بالذنائب اىّ زيرِ
فاني قد تركت بواردات ... بُجَيْرا في دم مثلِ البعيرِ

ثم ينتقل الى وصف شجاعته وقوة فتكه بالاعداء. فقد كان مثلا للمقاتل الشديد :

هتكت به بيوتَ بني عُبادٍ ... وبعضُ القتل اشفى للصدور
كأن مَجَرَّةَ النسرين نهجٌ ... لكل حَزيقةٍ تُحدى وعيرِ
كأن التابعَ المسكين فيها ... أجيرا أو بمنزلة الاجيرِ

وقد رسم دريد بن الصمه صورة للبطل المرثي حسنه من خلال داليته المشهوره في رثاء اخيه عبدالله . فبين انه لم يكن جبانا ولا ضعيف اليد جاهلا بالرمي ، بل كان اذا اراد امرا جد فيه وشمر له ، وكان مع هذا سالما من الامراض ، جادا في الامور الشريفه ، وأنه كان عالي الهمه ، قوى الفكره ، جسورا على حوادث الدهر ، بصيرا بالعواقب ، يعلم في يومه ما يكون في غده ، فضلا عن كرمه وجوده وسماحته ، ودريد بن الصمه في قصيدته هذه أقرب الى الحكمه . فقد عركته الايام ، فجعلته مجربا ، داريا بدقائق ، خبيرا بالوقائع ، والحروب ، وقد اكتسبت قصيدته قيمة كبيرة ، فخلدت ، وخلدت صاحبها ومن قيلت فيه ، يقول : (٢)

تنادوا فقالوا :أردت الخيلُ فارسا ... فقلت : أعبدالله ذلكمُ الرِدى
فجئتُ اليه والرماح تنوشُه ... كوقع الصياصي في النسيج المُمَدَّدِ
فطاعنتَ عنه الخيل حتى تنفست ... وحتى علاني حالكُ اللون أسود
قتالٌ امرئٌ آسى أخاه بنفسه ... ويعلم ان المرء غير مخلد

ويقول :

١- الحماسه البصريه اج١/٨٢ وقد قالها في يوم الذنائب وهي التغلب على بكر (العقد ج٥/٢١٩)

٢- حماسة ابي تمام ج٢/٣٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان يك عبدالله خلّى مكانَـــه　　فما كان وقّافا ولا طائشَ اليـــد
قليلٌ التشكي للمصيبات حافـظٌ　　من اليوم أعقابَ الأحاديث في غـــد

والقصيدة طويلـــة [١]:

والبطل المرثي يظل حيّا في نفوس الناس بأفعاله الحسنة التي خلدته ٠ كالكرم والجود، والقوة والصبر ٠ وحسن البلاء ٠ وقد بيّن تأبط شرّا بعضا منها في لاميته التي يرثي بها خالـــه اذ يقـــول [٢]:

ان بالشعب الذي دون سَلْـــع　　لقتيلا دمه ما يُطَـــلّ
خلف العبء عليّ وولـــى　　أنا بالعبء له مستقـــل

ووصفه بأنه ذو سخاء فمن لجأ اليه في الشتاء وجد عنده ما يدفئه من الطعام واللباس كالشمـــس تدفيء المقرور ، ومن وفد عليه صيفا حين يطلع نجم الشعرى ، وجد عنده ظلا ظليلا ، ومـــاء باردا يطفيء حرارة جوفه :

شامسٌ في القَرّ حتى اذا مـــا　　ذكتِ الشعرى فبردٌ وظـــل

وهو قليل الأكل ، سخي ، متصف بالحزم في جميع شؤونه وأحواله حلا وترحالا وهو جواد كريم شجـــاع اذا أعطى أجزل العطاء كالسحاب الذي يغمر الناس بكثرة أمطاره ، واذا صال فكالأسد الهصـــور لا يبالي بالعـــدو:

يابسُ الجنبين من غير بـــؤس　　وندى الكفين شهم مُـــدِلّ
ظاعنٌ بالحزم حتى اذا مـــا　　حلّ حلّ الحزم حيث يحـــلّ
غيثُ حزن غامر حيث يجُـــدى　　واذا يسطو فليث أبـــلّ

وتراه في حالة السلم يتنعم ، ويسبل رداءه ، ويأكل ما يشتهي ، واذا نزل في الحرب فهو كالسبـــع الضاري ، يشمر عن ساعده ، ويقدم اقدامه :

مُسْبِلٌ في الحي أحوى رَفِـــلٌ　　واذا يغزو فَسَمْـــع أزلُّ

والقصيدة طويلة يمكن للدارس أن ينظر فيها كاملة [٣].

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٣١٣، وحماسة صفوة الأدب ج ٢/١١٣٠

٢- حماسة أبي تمام ج ٢/٣٢٢٠

٣- ذكره أبو تمام فقال : وقال الضبي حماسته ج ٣/٦٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورثى ربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة الأسدى ابنه ذؤاب فوصفه بأنه شديد الفتك بالاعداء ، وذكر ماضيه ، فقد فتك عتيبة بن الحارث بن شهاب الذى هو أقوى من في قبيلته شدة وفتكا ، يقول : (١)

أذؤاب اني لم أَهَبْك ولم أقم ... للبيع عندَ تَحضّر الأجلاب

ان يقتلوك فقد ثللتُ عروشهم ... بعتيبةَ بنِ الحارث بن شهاب

بأشدّهم كلبا على أعدائهم ... وأعزّهم فقدا على الأصحاب

والبطل المرثي يحمي من يستجير به ، وأنه يفك العاني والأسير ، ويغني الفقير ويعطي السائل ، فيرجع راضيا شاكرا فضل المعطي ، ناطقا بالثناء عليه. وهذه من الصفات التي أحبتها العرب ، وتربت عليها ، ومن ذلك قول أحدهم (٢):

ولرب مكروب كررتَ وراءه ... فمنعته وبنو أبيه شهود

أنفاً ومَحْمِية وانك ذائد ... اذ لا يكاد أخو الحفاظ يذود

ولرب عان قد فككتَ وسائل ... أعطيتَه فغدا وأنت حميد

يُثني عليك وأنت أهل ثنائه ... ولديك إمّا يستزدك مزيد

وفي هذا المعنى يقول لبيد بن ربيعة العامري : (٣)

لعمرى لئن كان المُخَبَّرُ صادقا ... لقد رُزِئَتْ في حادث الدهر جعفرُ

أخا لِيَ أماّ كل شيء سألته ... فيعطي وأما كل ذنب فيغفرُ

فان يك نَوْءٌ من سحاب أصابه ... فقد كان يعلو في اللقاء ويظفرُ

وجسدت عمرة الخثعمية - في قصيدة لها ترثي بها ولديها - معاني الرثاء التي عرفها العرب. فقد ذكرت أن ولديها كانا غوثا لمن لا غوث له ، فاذا خاف ضعفا أو ظلما استغاث بهما فيدفعانها عنه ، تقول (٤):

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... اذا خاف يوما نَبْوَةً فدعاهما

هما يلبسان المجد أحسنَ لِبسة ... شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

١- حماسة أبي تمام ج٢/٣٢٢.

٢ - ذكره أبو تمام فقال : وقال الضبي حماسته ج٣/٦٨

٣- حماسة أبي تمام ج٣/٧١.

٤- المصدر السابق ج٣/٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وصفتهما بأنهما في الشهرة والجمال كشهابين أوقدا ثم أخمدا ، وكانت نار قراهما نورا للسائرين في الليل يأنسون بها في وحشة الطريق :

شهابان منا أُوقدا ثم أُخمدا وكان سنى للمدلجين سناهما

وهما لشجاعتهما لا يصطحبان الاّ سيفيهما ولا يهابان ما يعترضهما :

اذا نزل الارض المخوف بها الردى يخفّض من جأشيهما منصلاهما

واذا نالا غنى أعطيا الناس وتفقداهم ، أما اذا ضاق عيشهما لم يلزما بيوتهما تاركين للغزو خوفا من الهلاك ، ولم يخش ابن عمهما ثقلا منهما باحتياجهما اليه :

اذا استغنيا حب الجميع اليهما ولم ينأ من نفع الصديق غناهما

اذا افتقرا لم يجثما خشية الردى ولم يخش رزءا منهما مولياهما

ويبدو أن العرب كانوا يلزمون المرأة بيت أبيها ان قتل زوجها ، وكانوا يعرون الفرس دليلا على موت صاحبه ، وحتى لا يركبه أحد بعده ، وفي هذا اشارة الى أن الفارس الذى يموت أو يقتل لا يستطيع أحد أن يسد مكانه :

لقد ساءني أن عنّست زوجتاهما وأن عرّيت بعد الوجى[1] فرساهما

وقد شبهت قتلهما بانهيار أعمدة البيت وسقوطه :

ولن يلبث العرشان يُستَلَ منهما خِيارُ الاواسي أن يميلَ غماهما[2]

ويلجأ بعض الشعراء الى تحريض قبائلهم للأخذ بثأر القتيل عن طريق الاحتكام الى السيوف . فالقوم لا تشفى غللهم حتى تروى السيوف من دماء أعدائهم ، ومن ذلك قول الشَّمَّيْذر الحارثي مطالبا بالثأر من قتلة أخيه ، وهم أبناء عمومته ، وقداحتكم الى القوة ممثلة بالسيف يقول:[3]

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فلسنا كمن كنتم تُصيبون سَلّة فنقبل ضيما أو نحكّم قاضيا

ولكن حكمَ السيف فيكم مسلطٌ فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا

١- الوجى : الوجع في حافر الفرس ، اللسان ، مادة وجا .

٢- الغمى : سقف البيت ، اللسان ، مادة غما .

٣- حماسة أبي تمام ج١/١١٨ . وحماسة صفوة الأدب ج١/١٠٧ . والتذكرة السعدية ص٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما كان يثير فرسان القبيلة سماعهم صوت السبيّة وهي في الاغلال بعد مقتل الرجال تستغيث بهم . فقد هبت الشاعرة ريطة بنت عاصم تنادي قومها للأخذ بالثأر . فقد بكت حين رأت النساء حواسر يبكين، تقول :[١]

وقفت فأبكتني بدار عشيرتي ... على رُزئهن الباكيات الحواسر

ثم تصف الذين فقدوا بأنهم كانوا كسيوف الهند في قوة الطعن فغدوا واردين موضع القتال فلم يصدروا عن ورودهم :

غدوا كسيوف الهند وُرّاد حومة ... من الموت أعيا وِرْدَهن المصادر

وهؤلاء كانوا شجعان منعوا الاعداء من أن تمتد أيديهم الى النساء وقد جعلت الشاعرة جبل سلمى يهتز لو أصابه مثل ما أصاب قومها :

فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا ... بدار المنايا والقنا متشاجر

ولو أن سلمى نالها مثلُ رُزْئنا ... لهُدّت ولكن تحمل الرزء عامر

غير أن بعض الأبطال يرون الصبر خير وسيلة يلتمسها المرء للتخفيف عن النفس من وقع الفاجعة نتيجة فقد عزيز ، ومن ذلك قول إياس بن الأرتّ :[٢]

ولمّا رأيت الصبح أقبل وجهُهُ ... دعوتُ أبا أوس فما أن تَكَلَّما

هَمَمْتُ بالا أُطْعَم الدهر بعدهم ... حياة فكان الصبر أبقى وأكرما

وتبدو في بيتي الاعرابي التاليين حكمة بالغة تكشف عن تجربة صاحبها في الحياة وتحمله المصائب والمحن ، وتبدو فيهما سكينة وهدوء نفس ، يقول:[٣]

أقول للنفس تأساة وتعزية ... احدى يدى أصابتني ولم تُرد

كلاهما خَلَف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وتبدو الصورة أكثر عمقا ، وأكثر تأثيرا في النفس في مقطوعة الجرنفس[٤] من سابقتها . فقد أكبر الشاعر في بني حليف صبرهم بعد أن ابتلوا بفقد أحد رجالهم

١- حماسة أبي تمام ج٣/١١٥.

٢- المصدر السابق ج١/٢٠٥.

٣- حماسة أبي تمام ج١/٢٠٥.

٤- ذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف ، فقال:الجرنفش وهو من طيء : الآمدي(ت ٣٧٠هـ)المؤتلف والمختلف، تحقيق عبدالستار احمد فراج،دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١ ص٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقـــول [1] :

لله درّ بني حليف معشـــــرا	أي امرىء فجعوا به ولربمـــا
فُجعوا بذي الحسب القليل وأصبحوا	لا مُبْلِسين[2] ولا ضِعافا وُجَّمـــا
قوم اذا الحدثُ الجليلُ أصابهـــم	شدوا دوابرَ بيضهم فاستحكمـــا
حتى كأن عدوهم مما يـــــرى	من صبرهم حَسِب المصيبة أنعمـــا

ويصبر العربي حتى يأخذ بثأره ، يقول أحد الشعراء : [3]

وكم دهمتني من خطوب ملمّـــة	صبرت عليها ثم لم أتخشـــع
فأدركت ثأري والذي قد فعلتـــم	قلائدٌ في أعناقكم لم تقطّـــع

رابعـا : البطـل الكريـم:

والبطل الكريم مرتبط بالبطل المقاتل الى حد كبير ، لأن الكرم يمثل المقدرة الذاتيـة التي تضفي على صفات البطل الاخرى صفة الاكتمال ، وتدخله في الاطار الاجتماعي ، وتترك آثـاره البارزة في كثير من أعماله الجليلة .

وقد أصبح الكرم عند العرب خصيصة متميزة خبرها الشعراء خبرة واعية ودافعوا عنهـا وفق منطق معقول ، **التزموا** بها التزاما غير محدود ، **وبذلوا** من أجلها ما حرص الآخرون على جمعه . فحاتم الطائي - على سبيل التمثل - استطاع أن يعطي لكل جانب من جوانب الكرم ما يضيء زوايـاه، ويمنحه خصائصه ، ويرسخ أبعاده في كل نفس ، وأن يترك مآثره الخالدة تأخذ أيضا أبعادها فـي الأخبار والروايات ، وأدرك أن مفهوم البطولة يتحقق اذا اكتملت في اطاره كل أشكال التضحيـة، ويستمر اذا استوعب حاجات مجتمعه ، ولبّى نوازع الانسان الذي آمن بهذه القيم ، وتربى فـي ظلالها واستمد منها مقومات حياته ومعاشه ، وأدرك أيضا أن المال الذي يستطيع التصرف بـه لا يحقق له الذكر الحميد الاّ اذا أطعم فيه وافدا ، وأشبع جائعا ، وفك عانيا وأسيرا ، وغير ذلك . وحاتم الطائي المعطاء الكريم يصطدم بزوجته التي دأبت على منعه من البذل ، فتراها لوّامة لـه

١- الوحشيات ص ١٣٢ .

٢- مبلسين: من بلس بلسا أي بئس بأسا، اللسان ، مادة بلس.

٣- حماسة أبي تمام ج١ / ٢٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تريده أن يجود بماله ، وفي ذلك يقول :[1]

وعاذلةٍ هبت بليل تلومنـــــي ... كأني اذا أعطيت مالي أضيمهـا

ولكنه لا يأبه لقولها ولومها فيبيّن لها أن بذل المال لا يهلك صاحبه ، وأن البخل لا يخلد صاحبه :

أعاذل ان الجود ليس بمهلكـــي ... ولا مخلد النفس الشحيحة لومهـا

ويبيّن أن من يعطي ويهب ماله يخلد في نفوس الناس وان أصبح عظما رميمـا :

وتُذكر أخلاقُ الفتى وعظامـــه ... مُغَيَّبَةٌ في اللحد بالٍ رميمهـــا

ومن يبتدع ما ليس من خِيم نفسـه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمهـا

ونرى حاتما في مقطوعة أخرى يقبض يده اذا جلس على طعام ايثارا لاصحابه خوفا من نفاذ الـــزاد ، يقـــول :[2]

أكف يدى عن أن ينال التماسهـــا ... أكف صحابي حين حاجتنا معـــا

ولا يكتفي بهذا بل تراه يبيت ضامر البطن مهضوم الحشا لا يأكل خيفة أن يذم عليـــه :

أبيت هضيم الكشح مضطرم الحشـا ... من الجوع أخشى الذم أن أتضلعـا

ويحرص حاتم على أن يظل كريما في عيون الناس فلا يتهم ، كما يتهم غيره - من أنه يعطي فرجـــه وبطنه ما يشتهي ويتبع أهواءه ، فيشتم ويذم ، يقـــول :

واني لأستحيي رفيقي أن يـــرى ... مكان يدى من جانب الزاد أقرعـــا

وأنك مهما تعط بطنك سؤلـــه ... وفرجك نالا منتهى الذم أجمعـــا

ويقول أيضا في هذا المعنـى:[3]

أما والذى لا يعلم السر غيـــره ... ويحيى العظام البيض وهي رميـم

لقد كنت أختار القرى طاوى الحشـا ... محافظة من أن يقال : لئيـــم

واني لأستحيي يميني وبينهـــا ... وبين فمي داجي الظلام بهيـــم

وأقصى ما يكون الكرم في الليلة الشتائية شديدة البرد لأنه يمنع عنهم فراوة ما يكون في الشتـــاء من جوع . وغالبا ما يظل الجاهلي الجواد دون عشاء ، لأنه يجود به ، ويهلك ماله ، وفي اهلاك مالـه

١- حماسة أبي تمام ج٤/٢٣٨.

٢- المصدر السابق ج٤/٢٣٩.

٣- المصدر السابق ج٤/٢٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضرر بأولاده ونفسه ، فتعذله العاذلات - كما حصل مع حاتم الطائي - ويبصّرنه بمغبة ما يفعل وممّا روى عن العرب حين أجدبت السنة وأصابت الناس : ان حاتما حادث زوجته ذات ليلة حتى ينيمها ، ففطنت الى ذلك ، وتناومت الا أنها سمعت جارة لهم جاءت تسأل حاتما الطعام فذبح فرسه ، وطاف بالحي يدعوهم ، وظل دون عشاء ، لانهم لم يتركوا من الفرس شيئا [٢] فحاتم الطائي كان يعطي كل من قصده عرفه أم لم يعرفه ، ويبذل ما في يده على شدة حاجته اليه.

وفي الشعر صور لهذا النوع من الكرم كثيرة تصور الرجل ينحر للناس في الليلة الشتائية ، فيطعمون ، ويظل طاويا ، يقول متمم بن نويرة [٣]:

لعمرى لنعم المرء يطرق ضيفه ... اذا بان من ليل التمام هزيع

يزول لما في رحله غير زمّح [٣] ... اذا أبرز الحور الروائع جوع

الذا الشمس أضحت في السما كأنها ... من المحل حصّ قد علاه دروع

وقد دأب الناس على ترصد الكريم ليصيبوا من كرمه وعطائه . فهم حول قبابه منتظرون ، وحول فنائه مقيمون.

والقصائد التي قيلت في الكرم هي في حد ذاتها قصائد مدحية سواء في الذات أو في الآخرين ، ومن ذلك ما قاله يزيد بن حمار السكوني في مدح بني شيبان . فقد افتخر بهم ، ووصف كرمهم ، وقدرتهم على حماية المستجير بهم .

فالجار في منازل بني شيبان لا يدرك أنه جار أو غريب ، لأنهم يعتبرونه واحدا منهم ولا سيما في أيام المحل والجدب ، أي في الوقت الذي يمتنع فيه كثير عن العطاء في هذه الأحوال ينضاف الى ذلك كله المنزلة الرفيعة التي يحظى بها من ينزل في ديارهم . وفي ذلك يقول: [٤]

اني حمدت بني شيبانَ اذ خمدت ... نيرانُ قومي وفيهم شبت النارُ

ومن تَكَرُّمهم في المحل أنهم ... لا يعلم الجار فيهم أنه جارُ

حتى يكون عزيزا من نفوسهم ... أو أن يبين جميعا وهو مختارُ

١- ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) : الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٠، ج١/٢٤٢.

٢- الحماسة البصرية ب ج١/٢١١.

٣- الزمح : القصير ، دميم الخلقه ، اللسان ، مادة زمح .

٤ - حماسة أبي تمام ج١/٢٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنه صَدَع في رأس شاهقـــــــة من دونه لعتاق الطير أوكـــــار

وثمة صورة من صور الخلاف بين الكريم وزوجه غير ما رأينا من خبر حاتم وزوجه ، وذلك عند حجيّة بن المُضَرَّب . وكان من خبره أنه كان جالسا ذات يوم بفناء بيته . فخرجت جارية بقعب فيه لبن ، فقال لها : أين تريدين بالقعب ؟ فقالت : بني أخيك اليتامى ، فوجم وأطرق لشدة الحزن . فلما أراح راعياه ابله ، قال لهما : ردّاها الى بني أخي ، ثم دخل منزله ، فعاتبته زوجه ، فقال هذه الأبيات [1]:

لَحِجّنا ولجت هذه في التغضّب ولطِّ الحجاب دوننا والتنقب

ثم يبيّن أنها تلومه على فعله هذا فلا يهتم لها ، ويرد عليها لومها قائلا : لومي ما بدا لك واغضبي :

تلوم على مال شفاني مكانه اليك فلومي ما بدا لك وأغضبي

فالهدايا التي ترسل اليهم في كل قدح مجبور لا تسد فقرهم . ولعل هذا الأمر مما كانت تعير العرب به بعضها ، وهو التخلي عن ذوي الرحم :

رأيت اليتامى لا تسد فقورهم هدايا لهم في كل قعب[2] مشعب

ولمّا رأى اليتامى على مثل هذه الحال عطف عليهم ، فأمر عبديه أن يردّا عليهم الابل في الرواح ليأخذوها ، وقرر أن يجعل بيته كأي بيت يخلو من الابل :

فقلت لعبدينا : أريحا عليهم سأجعل بيتي مثلَ آخرَ معزبِ

وبعمله هذا آثر بني أخيه على أولاده ، فدفع عنهم الفقر والجوع :

بني أحق أن ينالوا سَغابة وأن يشربوا رَنْقا لدى كل مشرب

ذكرت بهم عظامَ من لو أتيته حريبا[3] لآساني لدى كل مركب

أخي والذي ان أدعه لِمُلِمّة يجبني وان أغضب الى السيف يغضب

فلا تحسبيني بلدما[4] أن نَكَحْتُه ولكنني حُجية بن المُضَرَّب

رحمت بني معدانَ اذ ساف مالَهم وحق لهم مني ورب المحصّب

١- حماسة أبي تمام ج٣/١٦٨ ، والاغاني ج٢٠/٢٨٠

٢- القعب : القدح من الخشب ، اللسان ، مادة قعب .

٣- الحريب : المسلوب ، اللسان ، مادة حرب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان تقعدى فانت بعضُ عيالنـــا وان أنت لم ترضي بذلك فاغضبي

والجود بالمال والابل والنعم أبلغ أثرا في النفس في وقت يشتد فيه الجدب ، وتضيق فيه سبـــل العيش ، ومن ذلك ما قام به عُمَيْلَة الفَزارى حين وافاه عمه ابن عَنقاء الفُزارى طالبا منه العـــون بعدما أغير على نعم له ، فاستيقت ، فأعطاه عن طيب نفس ، ممّا حدا بابن عنقاء الى شكـــره عرفانا بالجميل ، يقول : (١)

رآني على ما بي عُمَيْلَةُ فاشتكـــى الى ماله حالي أسَرَّ كما جهـــر

دعاني فآساني ولو ضن لم أُلَـــمّ على حين لا بَدْوٌ يُرَجّى ولا حضـر

غلام رماه الله بالخير يافعـــا له سيمياء لا تُشق على البصـــر

الى آخر القصيـــدة .

ومما قيل في معاتبة الكريم على بذله المال قول المُثَلَّم بن رياح المُرّيّ : (٢)

بكر العواذلُ بالسواد يلمننـــي جهلا يقلن :ألا ترى ما تصنـع

أفنيتَ مالك في السَّفاه وانمـــا أمر السّفاهة ما أمرنك أجمـــع

وقُتُود ناجية وضعت بقفـــرة والطير غاشِيَةُ العوافي وُقَّـــعُ

اني مقسمٌ ما ملكت فجاعـــل أجرا لآخرة ودنيا تنفـــع

وثمة عادات كان الانسان الجاهلي يقوم بها ليهتدى الناس ، والسابلة اليه في الظلام الدامس منها ايقاد النيران على مكان مرتفع حتى يراها المدلج فيأوى اليها ، وهي نار غاشية يذكيها الكريـــم بحطب جزل يجعلها أبدا تتوهج ، ويبقيها مشتعلة ، ومنها استنباح الكلاب . فنباحها يـــدل الناس التائهين ويهديهم . ويغلب أن يقترن استنباح الكلاب بايقاد النيران . وفي ذلك يقـــول أحدهـــم : (٣)

ومستنبح قال الصدى مثلَ قولـــه حضأتُ له نارا لها حطب جـــزل

فقمت اليه مسرعا فغنمتـــه مخافة قومي أن يفوزوا به قبلـــي

١- حماسة أبي تمام ج ٤/١٤٠ ، والحماسة البصرية أج ١/٤٩٠.

٢- حماسة أبي تمام ج ٤/١٩٥.

٣- المصدر السابق ج ٤/١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأوسعني حمدا وأوسعته قِـــــرى وأرخصَ بحمد كان كاسِبُه الأكـــل

ففي البيت الثاني اشارة الى التنافس الذى كان يحدث بين الأجواد للظفر برجل تائه يمر بالحي .

والترحيب بالضيف عادة مستحبة دأبت عليها العرب وذلك لاشعار الضيف بأنـــه ليس ثقيلا على من ينزل بهم ، وفي ذلك يقول أحدهم : (١)

ومستنبحٍ بعد الهدوء دعوتـــه بشقراءَ مثلِ الفجر ذاك وقودُها

فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبـــا بموقد نار مُحْمِد من يرودهـــا

وقال اياس من الارت في هذا المعنى (٢) :

واني لقوّال لعافيّ مرحبـــا وللطالب المعروف أنك واجـــده

وقال العريان بن سهلة الجرمي أيضـا (٣) :

فقال : ألا أهلا وسهلا ومرحبـــا جعلتك مني حيث أجعل أشجاني

والجواد لا يطيل اقامة القدر على النار بعد ادراكها على الأثافي بخلا بما فيها بل ينزلها عنهـــا ويطعم الأضياف ، وفي ذلك يقول حجر بن حيّة العبســـي (٤) :

ولا أُدَوِّم قدرى بعدما نضجـــت بخلا لتمنع ما فيها أثافيهـــا

حتى تُقَسَّمَ شتى بين ما وسعـــت ولا يُؤَنَّبُ تحت الليل عافيهـــا

لا أحرم الجارَة الدنيا اذا اقتربـت ولا أقوم بها في الحي أُخزيهـا

والجاهلي يحب أن يشاركه الناس طعامه ، فحاتم الطائي كان يطلب من زوجته - حين تعد الطعام أن تلتمس له مؤكلا يؤكله لانه لم يتعود أن يأكل منفردا ، وقد ورد هذا الخبر في مقطوعة أحـــد الشعراء على لسان حاتم الطائي يخاطب زوجه ، يقول (٥) :

أيا ابنةَ عبدالله وابنةَ مالـــك ويا ابنةَ ذى البُرْدَيْن (٦) والفرس الوِرْد (٧)

١- حماسة أبي تمام ، والحماسة البصرية ب ج ٢ / ٢٤٢ .

٢- حماسة أبي تمام

٣- المصدر السابق ج ٤ / ١٧٢ .

٤- المصدر السابق ج ٤ / ٢٠٠ .

٥- المصدر السابق ج ٤ / ٢٠٥

٦- هو عامر بن أحيمر بن بهدلة أعطاه المنذر بن ماء السماء بردين حين سأله عن حقيقتـــه فوجده من أشرف العرب وأشجعهم . (نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ج ١ / ٤٣٨)

٧- الورد : من الخيل بين الكميت والاشقر ، اللسان ، مادة ورد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي لـــــه أكيلا فاني لست آكله وحـــدى

ويبيّن الشاعر أن حاتم الطائي انما كان يفعل ذلك لانه لا يحب أن يذمه الناس بعـــد حياته ، ويصفوه بالبخل اذا تكلموا في شأن الجود والكرم ، ولذا فانه يقوم بخدمة الضيف مـــــدة اقامته عنده ، يقول :

أخا طارقا أو جار بيت فانني ـــــي أخاف مَذمات الأحاديث من بعـــدى

واني لعبدُالضيف ما دام ثاويـــا وما فيّ الاّ تلك من شيمةِ العبـــد

والكريم يتلقى ضيفه بالبشاشة في أول ضيافته ويبذل له من المعروف ما يؤنسه ، ويجتنب مـــا يوحشه ، يقول عروة بن الورد [١] :

سلي الطارق المعترّ يا أم مالـــك اذا ما أتاني بين قدرى ومِجْـزَرى

أيسفرُ وجهي أنه أول القِـــرى وأبذل معروفي له دون منكـــرى

وقد يقيم الشاعر مفاضلة بين رجل كريم ، وآخر بخيل ، ويبيّن صفات كلّ منهما ، فقد أقـــام العريان بن سهلة الجرمي مثل هذه المفاضلة فقـــال : [٢]

مررت على دار امرى السوء حولـــه لبون كَعَيْدان [٣] بحائط بستـــان

فقال : ألا أضحت لَبوني كما تـــرى كأن على لَبّاتها طينُ أفـــدان

وقلت :عسى أن يحويَ الجيشُ ربَهـا ولا واحدٌ يسعى عليها ولا اثنـــان

ورحت الى دارامرىءالصدق حولـــه مرابطُ فُرسانٍ وملعبُ فتيـــان

وَمَنْحَرُ مِئْناث يجر حُوارَهـــا وموضع اخوان الى جنب اخـــوان

فقلت له :اني أتيتك راغبـــا بِذِعْلِبَةٍ تَدمى، واني امرؤ عانـــي

فقال :ألا أهلا وسهلا ومرحبـــا جعلتك مني حيث أجعل أشجانـــي

فقلت له :جادت عليك سحابـــة بنوء يُنَدّيّ كل فَقْو [٤] وريحـــان

وقلت :سقاك الله خمر سلافـــة بماء سحاب حائر بين محـــدان [٥]

١- حماسة أبي تمام ج ٢- المصدر السابق ج ٤/١٧٢٠

٣- العيدان : طوال النخل ، اللسان ، مادة عيد

٤- الفقو : كل ما كان من الشجر له ريح طيبة ، ولا سيما نور الحناء ، اللسان ، مـــادة فقـــا .

٥- المحدران : جميع محدر وهو البضبة العالية ، اللسان ، مادة محـــد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبطل الكريم يحمي الجار ، ويدافع عنه ، وينفق عليه بما يجود به الكرام المتفضلون وقد تكون وراثة كما هي عند حجر بن خالد الثعلبي اذ يقول [١] :

وجدنا أبانا حل في المجد بيته ... وأعيا رجالا آخرين مطالعه

فمن يسع منا لا ينل مثلَ سعيه ... ولكنّما يرتحل فهو تابعه

يسود ثنانا من سوانا وبدونا ... يسود معدّا كلها لا تدافعه

ونحن الذين لا يروع جارنا ... وبعضهم للعذر ضُمّ مسامعه

ندهدق [٢] بَضْعَ اللحم للباع والندى ... وبعضهم تغلي بذم مناقصه

ويحلب ضِرّس الضيف فينا اذا شتا ... سديف [٣] السنام تستريه [٤] أصابعه

والمرأة العربية لا تحب لزوجها الفارس الكريم أن يقوم بالاعمال التي تقوم بها النساء ، فقد دهشت زوجة الهذلول بن كعب العنبرى وضربت يدها على نحرها حين رأته يطحن بالرحى ، وكأن ذلك اشارة الى رفضها ذلك الفعل ، ولسان حالها يقول : هذا العمل ليس مما يقوم به الفرسان يقول الهذلول بن كعب [٥] :

تقول وَكَتْ نحرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

لكنه يقول لها : لا تعجلي في أمرى . فان كان أسخطك ما أنا فيه من عمل الرحى ، فلا يسخطك فعلي اذا علمت ما يكون مني من البأس والنجدة حين تحيط بي الفوارس من كل جانب ، وأنا أكشفهم عني بالسيف :

فقلت لها :لاتعجلي وتبيّني ... فعالي اذا التفتّ علي الفوارس

ثم يقرر أنه قوى : فهو قادر على مقارعة الأبطال ، ويطعن كل فارس بسنان صلب ذى حدين ويصبر على الشدائد في الوقت الذى يفر فيه غيره :

ألستُ أرد القرن يركب ردعه ... وفيه سنان ذو غرارين نائس

وأحتمل الأوق الثقيل وأمتري ... خلوف المنايا حين فرّ المغامس

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٨٩.

٢- الدهدقة : صوت القدر عند غليانها ، اللسان ، مادة دهق .

٣- السديف : شحم السنام ، اللسان ، مادة سدف .

٤- تستري : تختار ، اللسان ، مادة سرا .

٥- حماسة أبي تمام ج ٢/٢٢٨، وحماسة صفوة الأدب ج ٢/٢٦٤،والتذكرة السعدية ص ١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبطل الفارس هو كريم في طبعه ومعطاء ، وهذه صفة غالبة في الشعر . فالهذلول بن كعب يبيّن في آخر مقطوعته أن ما حملني على الطحن بالرحى الاّ تواضعي في خدمة أضيافي ، واعتنائي بهم ، ويطلب من زوجه ألاّ تأسف على ذلك ، فهو فارس الحرب اذا ركب لها :

لعمر أبيك الخير اني لخادم لضيفي، واني ان ركبت لفارس

واني لأشرى الحمد أبغي رَباحه وأترك قرني وهو خَزْيان ناعس

خامسا : البطل الحليم :

وينضوي تحت هذا العنوان غير صورة للبطل منها البطل السمح والأبي والعفيف عزيز النفس ، وغير ذلك ، وهي صفات تكتمل معها صورة البطل الجاهلي الذي ينشده الشعراء.

فايثار الآخرين على النفس ضرب من ضروب البطولة العربية في الجاهلية أحبها المجتمع ، وعشقها . فحاتم الطائي يضرب المثل في ايثار الاخرين ، فيقول :(١)

وما أنا بالساعي بفضل زمامها لتشرب ماء الحوض قبل الركائب

وما أنا بالطاوي حقيبةَ رحلها لأبعثَها خِفّا وأتركَ صاحبي

اذا كنتَ ربا للقلوص فلا تدع رفيقَك يمشي خلفها غيرَ راكب

أنخها فأردفه فان حملتكما فذاك وان كان العقاب فعاقب

ومما يزيد البطل ، ويجعله أكثر قربا من الناس خلقه الحميد ، وأدبه الجم ، فهو حسن المجالسة والمعاشرة ، لا يخاطب الناس الاّ بما يحبّون ، وفي ذلك يقول أحد الفزاريين (٢) :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقّبه والسوءةَ اللقبا

كذاك أُدّبت حتى صار من خلقي أني وجدت ملاك الشيمة الأدبا

والبطل الحليم حكيم في اتخاذ قراره ، متروٍّ في ذلك ، وهي صفة من صفات البطل الحليم ، يقول أحدهم : (٣)

لا تعترض في الأمر تُكْفَى شوونه ولا تنصحن الاّ لمن هو قابله

ولا تخذل المولى اذا ما ملمّة ألمّت ونازل في الوغى من ينازله

١- حماسة أبي تمام ج ٣/١٦١ ، والتذكرة السعدية ص ٢٨١ .

٢- حماسة أبي تمام ج ٣/١٤٧ . ٣- المصدر السابق ج ٣/١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا تحرم المولى الكريم فانـــــه أخوك ، ولا تدرى لعلك سائلـــه

ويتجلى الحلم والعفو ، واكرام المحتاج في قصيدة الحكم بن عبدل الأسدى . فهو لا يتطاول علـــى غيره اذا استغنى ، بل يعرض ما تيسّر عنده على من يطلب ماله ولا يمنعه ، وفي هذا اشـــــارة الى تواضعه ، يقول (١) :

انى لاستغني فما أبطر الغنـــي وأعرض ميسورى على مبتغي قرضي

واذا ما أصابه العسر فانه يجتهد حتى يدرك سعة الغنى ، ويظل طيب الذكر لم يفسده بدنـــــاءة، فضلا عن أنه لا يرضى أن يسد أحد عنه دينه ، بل يصبر على العسرة دون أن يشكو الى أحد حالـــه :

وأعسر أحيانا فتشتد عسرتـــــي وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضـي

وما نالها حتى تجلّت وأسفـــرت أخو ثقة مني بقرض ولا فـــــرض

وتراه اذا أيسر يبذل المعروف بنفس صافية طيبـــة :

وأبذل معروفي وتصفو خليقتـــي اذا كدرت أخلاق كل فتى محـــض

وهو الى جانب ذلك كله ينصر القريب في وقت الشدة ، وينقذه من الزلل ويتجاوز عن هفواتـــــــه على عداوته له ، ويغمره بحلمه مع قدرته عليـــه :

واستنقذ المولى من الأمر بعدمـــا يَزِل كما زل البعير عن الدحـــض

وامنحه مالي وودّى ونصرتـــــي وان كان محنّيَ الضلوع على بغضي

ويغمره حلمي ولو شئت نالـــــه قوارعَ تَبرى العظم عن كلم مـــضّ

ويتحدث في القصيدة عن كرمه ودفاعه عن قومه ، فضلا عن أنه ثابت القلب (٢) .

ومن الصفات التي يحبّها الجاهليّون في البطل الحليم عزة النفس والعفة ، والترفـــع عن صغائر الأمور ، وفي ذلك يقول أحدهم (٣)

وأعرض عن مطاعم قد أراهـــا فأتركها وفي بطني انطـــواء

فلا وأبيك ما في العيش خيـــر ولا الدنيا اذا ذهب الحيـــاء

١- حماسة أبي تمام ج ٣/١٥٩.

٢- ينظر القصيدة كاملة في حماسة أبي تمام ج ٣/١٥٩ ، ١٦٠.

٣- المصدر السابق ج ٣/١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعيش المرء ما استحيا بخيـــر ويبقى العود ما بقي اللحـــاء

أما الصفح والسماحة ، فصفتان أخريان من صفات عدة يتحلى بها البطل الجاهلي ، وهمـــا تكشفان عن عزة نفس وإباء أيضا . وفي ذلك يقول ربيعة بن مقروم الضبي (١) :

وكم من حامل لي ضبّ ضغـــن بعيدٍ قلبُه حلوِ اللســـــان

ولو أني أشاء نَقَمْتُ منـــــه بشغب أو لسان تَيِّحـــــان

ولكني وصلت الحبل منـــــه مواصلةً بحبل أبي بيـــــان (٢)

وفعل المتلمس مافعله ربيعة بن مقروم .فقد ضرب مثلا في الصفح والتسامح وذلك من خلال حكم بالغة التأثير في السامعين . وقد تخير لأبياته أروع أنواع البيان ، وصوره فجـــاءت مقطوعته حسنة ، لطيفة الوقع في النفس بما تمثله من قيم اجتماعية ، وأدبية .

يقول المتلمـــس (٣)

ولو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتـــي جعلت لهم فوق العرانين ميْسما

وما كنت الا مثلَ قاطع كفـــه بكف له أخرى فأصبح أجذمـــا

يداه أصابت هذه حتفَ هـــذه فلن تجد الاخرى عليها مُقَدَّمـــا

فلما استقاد الكف بالكف لم يجـد له دَرَكا في أن تبينا فأحجمـــا

فأطرق اطراقَ الشجاع ولو يـــرى مساغا لنابيه الشجاعُ لصممـــا

ولم يقف الجاهليون عند حدود الدفاع عن قبائلهم ، وأقوامهم ، بل تعدوه الى صور أخـــرى وجدت صداها في نفوس الناس ، كاغاثة الملهوف ، ومنع الرفيق من الحرب ، وهذه قيـــم اجتماعية حسنة تربى عليها الجاهليون ، وفي ذلك يقول أشابة بن سفيان البجلي (٤) :

وداع والقنا شُرُع اليـــــه مخافةَ أن يغادرَ في المجـــال

أجبت دعاءه لما دعـــاني وكان بصدر صَعْدتـــي اتمـــالي

كشفت الخيل لمّا أرهقتـــــه وهن جوارح مثل السعالـــــي

١- حماسة أبي تمام ج ١٣٩/٣ .

٢- التيحان : الذي يتدخل فيما لا يعنيه ، وكذلك الطويل ، وهذا أقرب الى قول الشاعـــر اللسان ، مادة تيح .

٣- الوحشيات ص ١١٢ ، وحماسة صفوة الأدب ج ١٤٧/١ .والحماسة البصرية ب ج ٤١/١ .

٤- حماسة البحتري ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممن قال في هذا المعنى عمرو بن الاطنابة الخزرجي • فقومه صلحاء أسخياء يؤدون الغرض أولا ، والنفل ثانيا ، يقول : (١)

انـي من القوم الذين اذا انتـــدوا　　بدأوا بحق الله ثم النائـــل

وهم أهل عفاف موفون بحق الجوار ، واذا نزل بهم ضيف لم يطعموه وحده ، ولكنهم يجمعـــــون القوم يأكلون معه ويؤنسونـــه :

المانعين من الخنا جاراتهـــم　　والحاشدين على طعام النـازل

وهم أهل شفقة ورأفة بالفقراء والضعفاء ، فلا يميزون الأغنياء عنهم ، ولا يرفعونهم عليهم ، وعطاؤهم مبذول للسائليـن :

والخالطين فقيرَهم بغنيّهـــم　　والباذلين عطاء هم للسائـــل

وقوم عمرو بن الاطنابة ـ الى جانب كرمهم وجودهم ـ أشداء ذوو بأس وقوة • فاذا ما حملوا على أعدائهم في الحرب أبادوهم عن آخرهم ، ومن فرّ وهرب من شدة بأسهم فهو هالك على كل حال ، فلا خـــلاص لأقرانهم من أيديهم ، ولا ملجأ لهـم :

الضاربين الكبش يبرق بَيْضُـــه　　ضرب المُهَجْهَج عن حِياض الآبـل

والقائلين لدى الوغى أقرانهـــم　　ان المنية من وراء الوائـــــل

ينضاف الى ذلك كله أنهم أمراء الكلام الذين يفصلون بين الحق والباطل دون خوف من عدوهـــم أو فزع اشارة الى ثباتهم ، فهم فرسان اذا أوقدت نار الحرب أشعلوها بمن يشعلهـا :

والقائلين فلا يُعاب كلامهُـــم　　يومَ المقامة بالقضاء الفاصـــل

خُزْرٌ عيونهُمُ الى أعدائهـــــم　　يمشون مشي الأسدِ تحت الوابـل

ليـوا بأنكاس ولا مِيـــــلٍ اذا　　ماالحرب شبت أشعلوا بالشاعـل

ومن القضايا التي يحرص عليها البطل الحليم الدعوة الى السلم ، ونبذ الحرب ، وهـــو يدعو الى ذلك بفضل خبرة تحصلت له في سني حياته مما يرى ويدرك ما يحدث نتيجة الاقتتـــال والغزو • وهو انما يدعو الى السلم لايمانه المطلق بأن الحرب تجر على صاحبها الويلات والمصائب ، فضلا عما تحدثه من دمار وخراب ، وتقطيع لأواصر القربى والترابط بين الناس •

١ـ　حماسة أبي تمام ج ٤/١٧٦ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حفظ لنا الشعر بعض أسماء الرجال الذين كان لهم فضل ، وأثر كبير في وقف نار الحرب بين القبائل . ورغم الدعوات الكثيرة التي كانت تنادى بالحرب ، الاّ أن بعض الشعراء الحكماء كانوا أكثر رويّة . فدعوا الى السلم ، ونبذ الخلافات . فالحرب تبدأ بشرارة صغيرة وسرعان ما تنتشر ويكون ضحيّتها أناس أبرياء لا علاقة لهم بها ، والحرب تجر اليها الكاره لها والمنادى بها على حد سواء ، وفي ذلك يقول أحدهم : (١)

الشر يبدوُه في الأصل أصغره ... وليس يصلى بنار الحرب جانيها

الحرب يلحق فيها الكارهون كما ... تدنو الصّحاح الى الجربى فَتُعديها

ويشبه الشاعر الرجال وهم يلاقون الشدائد في الحرب بالمرأة اذا عسر عليها خروج ولدها وهذا دليل واضح على كره الناس للحرب بسبب ويلاتها :

ترى الرجال قعودا يأنحون (٢) لها ... دأب المعضل (٣) اذ ضاقت ملاقيها

فالشاعر يرى أن الحرب يجنيها الضعيف العاجز ، ويصلى بها القوى الحازم لأنه لا يجد من نصرة قريبة . وأن هذه الحرب تطال القاصي والداني . وقد تأثر الشاعر الجاهلي بالحرب تأثرا بالغا بسبب ما رأى من مناظر الدماء التي تسيل ، وما يلاقي من قوة ومشقة ، وهذا يجعله يبدو أحيانا حكيما يدعو الى السلم لاعنا ما تجرّعه من كأس الحرب المريرة . ويحسن - في هذا المقام - أن نذكر أن الجاهلي لم يكن متعطشا للحرب في كل الاحيان بل كان مجبرا عليها أحيانا . فالفَنْد الزِّمّاني يتمنى ألا تقع الحرب بين قومه وبين بني ذهل ، وقد ذكر أنه ضرب صفحا عن القوم المتحاربين لان بينهم رحما وقرابة ، فعسى أن تردهم الأيام الى ما كانوا عليه من قبل من التوافق **التوادد** ، يقول (٣) :

صفحنا عن بني ذهل ... وقلنا : القومُ اخوانُ

عسى الايامُ أن يُرجعن ... قوما كالذى كانوا

ولكنه حين لم يجد من هذا الذى يتمناه شيئا ، وأدرك أن القوم يضمرون العداء ، قرّر أن القتال أصبح أمرا لازما لا رجعة عنه :

١- يأنح : يزجر ، اللسان ، مادة أنح .

٢- المعضل : التي نشب ولدها في رحمها ، اللسان ، مادة عضل .

٣- حماسة أبي تمام ج ١/١٩، وحماسة البحترى ص ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمّا صرّح الشـــــرُ فأمسى وهو عُريـــان

ولم يبق سوى العدوا ن دِنّاهم كما دانـوا

ثم يصف بأس قومه ، وبلائهم · فهم كالأسود فتكا ، وبطشا ، فقد نكّلوا بخصومهم ، وأخضعوهم :

مشينا مِشْيَة الليـث غدا والليثُ غضبـــان

بضرب فيه توهيـــن وتخضيع واقـــــران

وطعم كفم الـــزّق غدا والزّق مـــــلآن

وختم قصيدته بشيء من الحكمة · فذكر أن الحلم في كثير من الاحيان لا ينفع صاحبه اذا كان الخصم أكثر جهلا ، ويعتبر الحلم اذعانا وخضوعا فالشر في مثل هذه الحال منجاة لدفع الشر والأذى اذا لم يخلص الانسان احسان :

وبعض الحلم عند الجهـ ل للذّلة اذعـــان

وفي الشر نجاة حيـــــ ن لا يُنجيك احسان

ويتكرر هذا الامر عند حَلْحَلَة بن قيس الكناني · فقد نهى أبا عمرو عن الحرب وتمنى لو أنه يثوب الى رشده · ونصحه أن يترك حرب بكر ، وألّا يركب في ذلك مركبا لا تحمد عقباه ، لأن الحرب لا تترك انسانا على حاله ، بل تضعف عزيمته ، وتجر معها القوى والضعيف ، وذكّره بانه لو ظفر الحرب وغنم سبايا وغير ذلك لا ينفعه ذلك شيئا · وفي هذا اشارة الى كره العرب للحرب ، يقول (١) :

نهيت أبا عمرو عن الحرب لو يرى برأي شديد أو يؤول الى عزم

وقلت له : دع عنك بكرا وحربهـــا ولا تركبَنّ منها على مركب وخم

ومهلا عن الحرب التي لا أديمهـــا صحيحٌ ولا تنفك تأتي على سقم

فان يظفر الحرب الذى أنت فيهـــم وآبوا بِدُهْم من سِباء ومن غُنْـــم

ولكن الأمر يختلف حين لا يجد المرء مفرّا من المواجهة · فأبو عمرو رفض دعوة حلحلة الى السلم وبدأ الحرب ، وتبادل الفريقان الرمي والضرب وقد أنصف حلحلة أبا عمرو حين تحدث عن الاخوة اذ لم يهن عليه القتلى من الفريقين · فبكى القتلى كما فعل حلحلة :

دعاني يشب الحرب بيني وبينـــه فقلت له : لا بل هلم الى السلم

١- حماسة البحتري ص ٧٣ ·

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمّا أبى أرسلت فضلة ثوبـــه ... اليه فلم يرجع بعزم ولا حـــــزم
وأمهلته حتى رماني بحرهـــا ... تغلغل من غيّ غويّ ومن أثـــــم
فلما رمانيها رميت ســـــواده ... ولا بد أن ترمي سواد الذى يرمـــي
فبتنا على لحم من القوم غودرت ... أسنتنا فيه وباتوا على لحـــــم
وأصبح يبكي من بنين واخـــوة ... حسانِ الوجوه طيبي الجسم والنسم
ونحن نبكي أخوة وبنيهـــــم ... وليس سواءً قتل حق على ظلـــم

سادسا : البطل العاشق :

كان ذكر المرأة فيّ الشعر حافزا قويا من حوافز الاثارة ، ومظهرا من مظاهر الاعتـــزاز فجاءت صورتها في أصوات الابطال متميزة ، وارتسمت أشكالها في أحاديثهم ارتساما حسنـــا ، وتعلو قدرة الأبطال حين يذكرونها ، وتستعر المعارك من أجل الحفاظ عليها • فهي موطن التكاثـــر والخصب والبقاء ، وهي التي تمد القبيلة بالرجال ، لتبقى شوكتها قوية • ودرجت جل القصائـــد الشعرية على الاستهلال بذكر اسمها ليقينهم أنها ملهمتهم التي تدفعهم الى القتال • وهـــم يعشقون البطولة من أجلها ، وعند ديارها يستوقف الأصحاب ، ويسأل الركب • وقد ظلت أحاديثها تجترىء مساحات من الشعر العربي لما تتمتع به من منزلة عظيمة ، ولما تحتفظ به من مكانـــة حتى تركت في جل القصائد أثرا كبيرا ، وذكرا حسنا • وظلت المرأة الصورة الحقيقية للتواصـــل والدافع الاصيل في استثارة النوازع الانسانية الخيرة •

والمرأة أنموذج من نماذج الوجدان الاجتماعي الذى عرف من خلاله البطل • وقد ظـــل الذود عنها ، والحرص على ارضائها يمثلان التطلع الحقيقي لكل الرجال الأبطال الطامحيـــن الى المجد • وقد حرص الجاهليون على جعل المرأة عزيزة لا يهان لها جانب ، ولا تثلم لها كرامة، ولا تذل لها كلمـــة •

وقد ظلت أحاديث الشعراء والأبطال في المرأة تمثل قيم الوفاء والكرم والاعتـــزاز والفداء والتضحية •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبطل العاشق مرتبط بالبطل الفارس • فالبطل الجاهلي مقاتل صلب اذا دقت طبول الحرب ، وهو عاشق محب في أيام السلم • وعشق الفارس الجاهلي له طعم خاص ، ومذاق خاص • فالمحبوبة تحب في عشيقها القوة والشجاعة والفروسية • وهذه صفات أحبتها المرأة الجاهلية فالمُتَخَّل اليشكرى فارس شديد • وقد بدأ قصيدته بعتاب محب لا يقول على القوة • وان يبدو ظاهر حديثه المجـــد ، يقـول : (١)

ان كنت عاذلتي فسيـــرى نحو العراق ولا تحـــورى

لا تسألي عن جل مـــــا لـي وانظرى كرمي وخيرى

ثم يصف قوته ، وقوة رجال قبيلته • فهم ملازمون ظهور الخيول • وقد ربطوا أواخر بيضـــــات الحديد من جانب الخلف بالدروع خوفا من سقوطها عند جرى الخيول • وقد استعدوا للحـرب :

وفوارس**كأوار** حـــــر ر النار أحلاس الذكـــور

شدّوا دوابر بيضهـــم في كل محكمة القتيـــر

واستلأموا وتلببـــوا ان التلبب للمغيـــر

ثم يصف الفرسان وهم على ظهور الخيول المضمرات • فهم كالصقور في الخفّة والسرعة عنـــد تخطفهم الأقران :

وعلى الجياد المضمـرا ت فوارس مثل الصقـــور

يخرجن من خلل الغبـا ر يجفن بالنعم الكثيـر

وقد سرّه اولئك الفوارس**بظفرهم**، وطاب خاطره برؤية النساء التي نشرت أريج العبيـر :

أقررت عيني مـــن أول ئك والفوائح بالعبيـر

ثم يبدأ بالحديث عن مغامراته الخاصة بعد أن انتهى من استعراض قوته وقوة رجاله • فقد اختلـف الى فتاته في خدرها في يوم ماطر • وخص اليوم الماطر لأنه يوم المؤانسة ، وفراغ البال ، ولا يصلـح للصيد ، واللهو فيه أطيب لخلو البال فيـه :

ولقد دخلت على الفتـــا ة الخدر في اليوم المطيـر

ثم يصف مفاتن فتاته وصفاتها الجسمية • فقد جمعت المحاسن الكثيرة ، وهي تختال في لبـــاس

١- حماسة أبي تمام ج ٢/ ١٠٢ • وحماسة صفوة الأدب ج ١/ ١٥٥ ، والحماسة البصرية أج / ٢١٩ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرير الأبيض وغير الأبيض ، ويصف لهوه معها فقد دفعها ومشت مشي القطاة في خفتها وسرعتها اذا قصدت الغدير ٠

الكاعب الحسناء تسحر فل بالدمقس وبالحرير

فدفعتها فتدافعت مشي القطاة الى الغدير

وهي مدللة تهتم بفارسها ، وتسأل عن حاله وعن سبب سقمه :

فدنت وقالت يا منخل ما بجسمك من حرور

فيرد عليها مجيبا أنه ما غير حالتي ، وأضعف جسمي الا ما داخلني من حبك وغرامك ، فاتركي هذا القول ، وسيرى في يسرة توافق حالي وارحميني على ما يحدث بي :

ماشف جسمي غيرحب لك فاهدئي عني وسيرى

ثم يؤكد محبته وطول الالفة بينه وبينها :

وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيرى

ترتبط الخمرة بالعشق والفروسية عند المنخل ، فبعد أن قاتل ولها مع من يحب ، طلب الخمرة وشرب :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير

وتراه - بعد أن أخذه السكر - ذليلا مستعبدا بالحب طالبا الخلاص من أسرالحب ، يقول مخاطبا هند بنت النعمان بن المنذر بن ماء السماء :

يا هند من لمتيم يا هند اللعاني الاسير

يلاحظ من الابيات السابقه أن المنخل يجمع رجال قومه حين يتحدث عن الفروسية ، ويخص نفسه حين يتحدث عن الحب ومغامرات العشق ٠

وهذه صفة في طبع الفارس الجاهلي المحب ، فهو لايريد أن يشاركه أحد فيحبه ، ولا يشكو صباباته ، وعذابات قلبه الا لمن يحب ، ولعل المرأة الجاهلية هي الاخرى حريصة على مثل هذا التوجه ،والفارس الجاهلي لايقضي جل وقته عند النساء يتلهى بذكرهن ، ويشبب بهن ، بل تراه يصول ويجول على صهوات الخيول دفاعا عن حمى محبوبته ، وتراه حين يؤوب الى الديار يصبح ذليلا محبا باكيا ٠ فالاخنس بن شهاب التغلبي أمسى في بلاد بائل الاطلال عن ديار الاحبة وهي لاتجيبه ٠ وقد ذكرته هذه الاطلال بديار ابنة حطان التي وصفها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأنها في الدثور والعفاء مثل العنوان المنمّق في الرّق ، يقول : (١)

فمن يك أمسى في بلاد مُقامُـــه ... يسائل أطلالا بها لا تجـاوبُ

فلابنة حِطان بن قيس منـــازلٌ ... كما نمّق العنوانَ في الرق كاتبُ

ومنازل أحبته خلت من أهلها فصارت مساكن للنعام ترعى فيها غير خائفة من أحد وهي في مشيهـا مثل الجوارى التي تمشي على مهل بالعشي لما على رؤوسهن من الحطـب :

تَمَشّي بها حول النعام كأنهـــا ... إماءٌ تُزَجّي بالعشيّ حواطـب

ويصف وقوفه بديار الأحبة لأخذ حظّه من البكاء . فثمة حرارة خالطت جسمه وقلبه مثل حرارة حمـى خيبر من الوجد والتذكار ، ثم يخاطب خليليه ويطلب منهما أن يبكيا معـه :

وقفت بها أبكي وأشعر سُخْنَـة ... كما اعتاد محموما بخيبر طالـب

خليلي : عوجاء من نجاء شملـة ... وذو شطب لا يجتويه المصاحـب

ثم ينتقل الى الحديث عن الاعداد للحرب ، والى الفخر بقومه فيقول :

لا ترى عندنا الاّ الخيل تختلف حول بيوتنا لا تسعها المرابط لكثرتها .

وهو يريد بذلك أنهم أصحاب غارات ، وهم أصحاب عزة لا يبتنون حاجزا بينهم وبين أعدائهم ، وانما يكونون حيث الخصب والغلبة على العدو . وفوارس هذه الخيل شجعان مقاديم من بني تغلـب وهم أدرى بضرب الاعداء فلا يضربون الاّ رئيس القوم :

ترى رائداتِ الخيل حول بيوتنـــا ... كمعزى الحجاز أعوزتها الزرائـبُ

ونحن أناس لا حجاز بأرضنـــا ... مع الغيث ما نلفى ومن هو غائـبُ

فوارسها من تغلبِ ابنةِ وائـــل ... حماةِ كماةٍ ليس فيهم أشائـبُ

وهم لا يبالون بقصر سيوفهم عن تناولها الاعداء ، فان سرعة خطاهم اليهم تقرب الاعداء منهـم فيضاربونهم ، ويفتخر في نهاية قصيدته بقومه . والجاهلي يطلب ممن يحب أن تختار فارسـا مقاتلا يبطش بالاعداء اذا هلك ، وأن يكون من تهوى سيدا لا مملوكا ، وفي ذلك يقول حجر بـن خالد الثعلبـي : (٢)

واذا هَلكتُ فلا تريدى عاجـزا ... غمّا ولا بَرْما ولا معـزالا

واستبدلى ختنا لاهلك مثلَـه ... يعطي الجزيل ويقتل الابطـالا

غير الجدير بأن تكون لقوحـه ... ربّا عليه ولا الفصيل عيـلا

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٢٤١ ، وصنوة الأدب ج ٢/٢٨٣ .

٢- حماسة أبي تمام ج ١/٣٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : البطولة في العصر الإسلامي :

بعد أن عرض الفصل البطولة في العصر الجاهلي ، وبيّن أهم قضاياها ، وصورها ، والظروف المختلفة التي ساعدت على تشكيلها من اجتماعية تتمثل في العصبيّات القبليّة ، والأخذ بالثأر ، والدفاع عن القبيلة ، والولاء لها ، وسياسية تتمثل في الصراع بين القبائل ، لإبراز أهمية القبيلة بين القبائل ، وتزعمها السلطة دون غيرها ، واقتصادية تتمثل في الغزو من أجل الحصول على مصادر الماء والغذاء ، وغير ذلك . وبعد أن أظهر الفصل الصفات العامة التي توخاها المجتمع الجاهلي في البطل ، وأبرز موقف البطل من قضايا الناس العامة ، سيعرض الفصل في القسم الثاني منه البطولة في العصر الإسلامي ، وسيبيّن أهم قضاياها ، وصورها ، والظروف التي ولدت فيها ، والتحولات التي طرأت عليها .

لا يستطيع البحث أن يجزم بالتحول الجذري في صورة البطل من الجاهلية إلى الإسلام في حدود عقد أو عقدين من الزمان ، ولا بالتحول الفكري والقيمي والسلوكي أيضا ، مما جعل الصورة تنزع في اتجاهين مختلفين : يتمثل الأول منهما في امتداد صورة البطل من الجاهلية إلى ما بعد الإسلام بعقود . وقد ظلت الصورة تستمد قيمها من المجتمع الجاهلي ، فاستمرت العصبيّات القبليّة والنزاعات ، وأيام العرب ، وقد وثّقها الشعراء توثيقا موفقا . ويتمثل الثاني في خلق صورة جديدة للبطل مستمدة من وحي الدين الإسلامي الحنيف ، وقيمه السمحة . مما حدا بالبحث إلى الفصل بين الاتجاهين لغايات درسيّة .

وسيكتفي الاتجاه الأول بالحديث عن صورة البطل في أيام العرب في الإسلام ، وما رافقها من نزاعات وعصبيّات ، وعن دور الشعر في إنكاء هذا الاتجاه .

أ - صورة البطل في أيام العرب في الإسلام:

ظلت العصبية القبلية - في الأغلب - المحور الرئيسي الذي تدور حوله المقطوعات الشعرية ، والقصائد في كتب الحماسة . فالافتخار بالنفس والقبيلة ، وإبراز شأنها ، والحديث عن أهم الأبطال ، وإنجازاتهم عوامل بارزة في شعر أيام العرب .

وقد ظلت صور البطولة بعد الإسلام - ضمن هذا الاتجاه - قريبة إلى حد كبير من صورها في الجاهلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأبو الغول الطهوى يصف فوارس قومه بأنهم متمرّسون في الحروب ، ومزاولتها يقول (١) :

فدت نفسي وما ملكت يميني ... فوارسَ صدّقت فيهم ظنوني

ويصفهم بأنهم لا يسأمون منها ولا يهابونها وان اشتد أمرها :

فوارسَ لا يملّون المنايا ... اذا دارت رحى الحرب الزبون (٢)

ثم بدأ يعدد مناقبهم . فوصفهم بالعدل والقصد في الأمور ، وهم يكافئون المحسن على احسانه ، وان أساء اليهم مسيء قابلوه بمثل اساءته . وهذه الصفة تخالف ما جاء به الدين الاسلامي الذى يحض على التسامح والصفح عن المسيء :

ولا يجزون من حسن بسيّ ... ولا يجزون من غلظٍ بليّن

ولا تَبلى بسالتُهم وان هم ... مَلَوّا بالحرب حينا بعد حين

هم منعوا حمى الوقبى (٣) بضرب ... يُؤلّف بين أشتات المَنون

فَنَكّب عنهم دَرْءَ الأماني ... وداووا بالجنون من الجنون

ولا يرعون أكناف الهوينى ... اذا حلّوا ولا أرض الهدون

وتبدو صورة البطل في مقطوعة جعفر بن علبة الحارثي امتدادا لصورة البطل المقاتل في الجاهلية فهو يرى في الحرب أمرين : اما الصبر على القتال ، واما الاسر والذلة ، يقول (٤) :

فقالوا لنا : ثنتان لا بد منهما ... صدورُ رماح أُشرعت أُوسلاسل

فيجيب بأن ذلك الخيار بين هاتين الاثنتين لا يكون الاّ بعد كرة على الخصوم تفادهم مصرّعين :

فقلنا لهم تلكم اذن بعد كرة ... تغادر صرعى نوْوها متخاذل

وقومه أكثر حرصا على القتال لأنهم ان حادوا عنها داهمهم الموت، وواجهوا العار ، ولم يعيشوا

١- حماسة أبي تمام ج ١/٢٧٠ والتذكرة السعدية ص ٥٤.

٢- الزبون : من زبن ، يقال : زبنت الناقة حالبها أى دفعته ، اللسان ، مادة زبن .

٣- الوقبى : ماء لبني مازن ، اللسان ، مادة وقب ، وهو يوم من أيام شيبان على بني مازن في الجاهلية
(مجمع الامثال ج ٤/١٦) .

٤- حماسة أبي تمام ، ج ١/٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زمنا طويلا :

ولم ندر ان جفنا [١] من الموت جيضة كم العمر باق والمدى متطاول

ثم يستعرض قوة قومه ، فاذا ما استبقوا الى مأزق في الحرب وسعته لهم سيوف مصقولة بايمانهم :

اذا ما ابتدرنا مأزقا فرجتْ لنا بأيماننا بيضٌ جلتها الصياقل

لهم صدر سيفي يومَ بطحاءَ سحبلٍ ولي منه ما ضُمت عليه الانامل

يستنتج من هذه الأبيات أن الشاعر يتفاخر بأيام قومه في الجاهلية مما يعزز الرأى القائل بوجود العصبية القبلية في الاسلام عند بعض القبائل وقال جعفر بن علبة أيضا : [٢]

لا يكشف الغمّاءَ الا ابن حرّة يرى غمرات الموت ثم يزورها

نقاسمهم أسيافنا شر قسمة ففينا غواشيها وفيهم صدورها

وثمة مقطوعة ثالثة لجعفر بن علبة يبيّن فيها ما كان من أيام ووقائع بين الحارثيين والعقيليين وفيها يتحدث عن بطولته ، وأهميته في قومه ، يقول [٣] :

ألا لا أبالي بعد يوم بسحبل اذا لم أعذب أن يجيء حماميا

تركت بجنبيْ سحبل وتلاعه مُراقَ دم لا يبرح الدهرَ ثاويا

ويصف بشامة بن حزن النهشلي قومه بأنهم شجعان كأولاد الحرب ، فلا يخافون منها ، وقد باشروها مرة بعد مرة ، فلهم تجربتها ، والسيوف والرماح هيأدوات اشعالها وافرامها ، وأن قومه بأجمعهم أصحابها ، وقومه هم مسعروحرب وموقدها يقول [٤]

ولقد غضبت لخندفولقيسها لمّا ونى عن نصرها خذالها

دافعتُ عن أعراضها فمنعتها ولديّ في أمثالها أمثالها

اني امرؤ أُسِمُ القصائد للعدا ان القصائد شرّها اغفالها

قومي بنو الحرب العَوان بجمعهم والمشرفية والقنا إشعالها

ما زال معروفا لمرة في الوغى عَلّ القنا وعليهم إنهالها

من عهدعاد كان معروفا لنا أسر الملوك وقتلها وقتالها

١- جاش : عدل ، اللسان ، مادة جيض .

٢- حماسة أبي تمام ج ١/ ٥٠، والحماسة البصرية أ ج ١/ ١٥٠، والتذكرة السعدية ص ٥٧.

٣- حماسة أبي تمام ج ١/ ٣٣٤.

٤- حماسة أبي تمام ج ١/ ٣٧٢، والتذكرة السعدية ص ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبدو العصبية أيضا في قصيدة اياس بن مالك بن عبدالله بن خيبرى الطائي ، وهي من شعر أيام العرب في الاسلام ، وقد قالها فيما وقع بين ابن عامر الحرورى الخنفي من جهة وبين الطائيين وبني أسد وبني معن من جهة أخرى • وتبدو القيم الجاهلية واضحة فيها يقول (١) :

سمونا الى جيش الحرورى بعدما تناذره أعرابهم والمهاجر

وقد ساروا الى الجيش المتحزبين بجمع صارت الاكم موطأة لهم حتى أنهم وضعوا حوافر خيلهم على جبال سلمى وما حوله من الهضاب ، فكأنها ساجدة لهذا الجمع :

بجمع تظل الاكم ساجدة له وأعلام سلمى والهضاب النوادر

وحين جعلوهم على مرأى من أبصارهم وأدركوهم - وقد أسرعت بهم دوابهم التي لحقها التعب أثخنوا فيهم الجراح ، وسلبوهم ، وقد عد الشاعر تلك الوقعة من أهم المواقع لشدة التقتيل التي حصل فيها :

فلما ادركناهم وقد قلّصت بهم الى الحي خوضٌ كالحنيّ ضوامر

انخنا اليهم مثلهن وزادنا جيادُ السيوف والرماح الخواطر

فلم أر يوما كان أكثر سالبا ومستلبا سرباله لا يناكر

وأكثر منا بافعا يبتغي العُلا يضارب قرنا دارعا وهو حاسر

فما كَلَّت الأيدي ولا انأطر (٢) القنا ولا عثرت منا الجدود العواثر

وحتى تتعزز النظرة الى العصبية الجاهلية يحسن بنا ان نورد مقطوعة قبيصة بن جابر • فقد شدته العصبية القبلية الجاهلية ، والولاء للقبيلة وتغنّى بها ، وتفاخر ببطولات قومه • وقد مارس الأمور ووقف على حقيقتها كأنه أحد المعمّرين في الدنيا لكثرة تجاربه ، يقول : (٣)

وعاجمت الأمور وعاجمتني كأني كنت في الامم الخوالي

وقومه ليسوا أبناء حرب ضعيفة قليلة الشر والأذى ولكنهم بنو حرب عوان يتكرر فيها القتال مرة بعد مرة ، وهم يتصرفون فيها كيف يشاؤون لكثرتهم في كل مكان :

١- حماسة أبي تمام ج ٢/١٥٥ • والحماسة البصرية أ ج ١/٢٠٧ •

٢- أنأطر : انعطف وتثنّى ، اللسان ، مادة أطر •

٣- حماسة أبي تمام ج ٢/٢٣٤ ، والتذكرة السعدية ص ١٣٣ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلسنا من بني جدّاء بكـــر ولكنّا بنو جد النعـــــال
تَفرّى بيضُها عنّا فكنـــــا بني الأجلاد منها والرمال
لنا الحِصْنان من أجأ وسلمى وشرقياهما غيرَ انتحـــــال
وتيماء التي من عهد عـــاد حميناها بأطراف العوالي

ولا يكتفي الشاعر بابراز مظاهر القوة والشجاعة في قومه بل تراه ناصحا لهم وحكيمـــا ، في حين يظهر مخازي عدوهم وسوآته ، ويلحق بهم العار . وهذه قيم ترفّع عنها الاسلام ونبذها . وتظل هذه القيم خاضعة لعادات وأحقاد موروثة من الجاهلية . والثأر من هذه العادات فجُرَيْبَة بن الأشْيَم يفدي فوارسه المتسّمين بسمات الشجاعة تحت غبار الحرب لانهم أدركوا ثأر من قتل منهـــــم ، وكشفوا سوأة أعدائهم ، يقول : (١)

فدى لفوارسيّ المُعْلَمِيـــــــ ن تحت العجاجة خالي وعـــم
هم كشفوا عيبة العائبيـــــن من العار أوجههم كالحمـــــم

ويحاول أن يشدد من أزرهم حاثا اياهم على الصبر قائلا : اذا نزلت بك حوادث الدهر فلا تضعف ، وقاومه بالصبر ما قاومك بالمصائب ، ولا تهب الدهر ولا تكن منه بمنزلة الذى به مرض عجز عـــن مداواته ، فيأس من حياته ، فأخفى أثره وكتمه وهو منه خائف :

اذا الدهر عضّتك أنيابُـــه لدى الشر فأزم به ما أزم
ولا تُلْفِ في شره هائبـــــا كأنك فيه مُسِر السَّقـــم

وبعد أن يزرع في رجاله الثقة ، ويشحذ عزمهم يستعد للقتال . فقد دعا خصومهم للبراز ، فلـــم يبرزوا . وكان دعاؤهم الى المبارزة والمنازلة أشد عليهم من وقع سهامنا ، وطعن رماحنا لأنهـــم جلبوا على أنفسهم العار والذم :

عرضنا نَزَال فلم ينزلـــــوا وكانت نَزَال عليهم أطـم

وقد نهى الاسلام عن المفاخرة بالانساب ، لانها تثير الضغائن والفتن بين الناس ، وتزيد فـــي تقطيع صلات الرحم بينهم ، وتنمي الاحقاد والتباغض ، غير أن فريقا من الشعراء قد أفلح فـــي الدعوة الى العصبيات القبلية التي ذكرناها سابقا ، ولا بأس من ايراد مقطوعة أخرى للتأكيد على هذا الأمر ، يقول زيادة الحارثـــي : (٢)

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٢٧٢ .والتذكرة السعدية ص ١٤١ . ٢- حماسة أبي تمام ج ١/٢٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم أر قوما مثلنا خيرَ قومهـــم ... أقل به منّا على قومهم فخـــرا
وما تزدهينا الكبرياء عليهـــم ... اذا كلّمونا أن نكلمهم تـــــزرا
ونحن بنو ماء السماء فلا نـــرى ... لانفسنا من دون مملكة قصـــرا

والبداوة أقرب في قيمها الى الجاهلية منها الى الاسلام لقوله تعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقـــا وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) [١] . فاذا كانت الآية القرآنيـــة قد وصفتهم بهذا الوصف ، فليس غريبا ولا مستهجنا أن يظل التفاخر بالقبيلة قائما ، والانقـــاص من شأن القبائل الاخرى مشروعا ، تمليه طبيعة الصحراء . فحريث بن عناب النبهاني من شعراء الدولة الاموية ، بيد أنه بدوي ممعن في البداوة . فهو يرى أن البطل هو من يأخذ بالثـــــأر من عدوه ، يقول : [٢]

تعالوا أفاخركم أأعيا وفقعـــس ... الى المجد أدنى أم عشيرة حاتـــم
الى حكم من قيس عيلان فيصـــل ... وآخر من حيي ربيعة عالـــــم
ضربناكم حتى اذا قام ميلكـــم ... ضربنا العدا عنكم ببيض صـــوارم
فحلوا بأكنافي وأكناف معشـــرى ... أكن حرزكم في المأقط [٣] المتلاحم

وقال يحي بن منصور في هذا المعنى [٤] :

وجدنا أبانا كان حل ببلـــدة ... سوى بين قيس ، قيسِ عيلان والفزر
فلمّا نأت عنا العشيرةُ كلّهـــا ... أنخنا فحالفنا السيوف على الدهـــر
فما أسلمتنا عند يوم كريهـــة ... ولا نحن أغضينا الجفون على وتـــر

ورغم أن الاسلام قد نهى عن الاخذ بالثأر لقوله - عز وجل - (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليّـــه سلطانا فلا يسرف في القتل ، انه كان منصورا) [٥] . الاّ أن هذا الأمر ظل قائما . وقد عدّه بعـــض الشعراء صورة من صور البطولة ، وأن التغاضي عنه يعد منقصة ومذمة ، وفي ذلك تقول ابنة بَهْـدل ابن قَرْفَة الطائي محرضة قومها على الأخذ بثأر مالك قائلة : أليس في بني حصن غيرة ودفـــــاع ، وطلاب تراث ينتصر له وهذا تحضيض على طلب الدم تقول : [٦]

١- سورة التوبة آية ٩٧ .
٢- حماسة أبي تمام ج ١/٢٤٦ .
٣- المأقط : الضيق ، اللسان ، مادة أقط .
٤- حماسة أبي تمام ج ١/٣١٠ .
٥- سورة الاسراء اية ٣٣ .
٦- حماسة أبي تمام ج ١/٢٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في بني حصن من ابن كريمـــة من القوم طُلاب التراث غشمشـــم

ثم تعود ثانية تطالب قومها بالأخذ بالثأر . ولكنها تخصص رجلا بصفة معينة يقتل رجـــلا برجـل لم يكن له نظير فيكون في دمه وفاء بدمه .

فيقتل خيراً بامرىء لم يكن لســـه كَبواء ولكن لا تكايل [١] بالـــدم

ويلح المسور بن زبادة الحارثي على طلب الثأر ولو بعد حين فيقول [٢] :

فان لم أنل ثأرى من اليوم أو غـــدا بني عمنا فالدهر ذو متطـــول

فلا يدعني قومي ليوم كريهـــــة لئن لم أعجل ضربة أو أعجّـــل

أنختم علينا كلكل لحرب مـــــرة فنحن منيخوها عليكم بكلكـــل

ولا يختلف سعد بن ناشب عمن سبقه ، فهو يقرر من بداية قصيدته أنه سيمحو العار الذى لحـــق به جراء ما تعرض له من غدر ، ووسيلته في ذلك سيفه ، يقول [٣] :

سأغسل عني العار بالسيف جالبا علي قضاءَ الله ما كان جالبـــا

وهو يحاول أن يتناسى داره ، وسيجعل هدمها حاجبا وواقيا لعرضه من العار الباقي اذا رأيتهـــا دار هوان ، ويقل في عينه انفاق المال القديم عند ادراك المطلـــوب :

وأُذهَل عن دارى وأجعل هدمهـــــا لعرضي من باقي المذمة حاجبـــا

ويصغر في عيني تلادي اذا انثنـــت يميني بادراك الذى كنت طالبـــا

ويخاطب بلال بن أبي بردة قائلا : ان تهدموا دارى غدرا ، وأنا غائب ، فلا أبالي بذلك ، ولا أغضب لأنها دار رجل كريم لا يبالي بالعواقب :

فان تهدموا بالغدر داري فانهـــا تراث كريم لا يبالي العواقبـــا

ثم يصف نفسه بأنه ملازم للشدائد مستبد برأيه لا يتخذ رفيقا فيما يقصده من فظائع الامور بـــــل يكتفي بشجاعته عن غيـــره :

أخي غمرات لا يريد على الـــذي يهم به من مفظع الأمر صاحبـــا

الى آخر القصيدة [٤] . وقد نالت شهرة كبيرة فجرت على ألسنة الناس وتناقلوها .

---

١. التكايل والمكايلة : أن يأخذ الرجل بثأره من رجل مخصوص ولكن الاسلام أبطل هذا الامر، فلا يقتل بدل المقتول الا واحد فقط . اللسان مادة كيل.

٢. حماسة أبي تمام ج١ /٢٣٩، والحماسة البصرية ، ج١ /٢١٧ وقد نسبها الى عبدالرحمن بن زيدالعدوى.

٣. حماسة أبي تمام ج١ /٩٦ والتذكرة السعدية ص٦٠.

٤. المعمرون السابعون ج١ /٩٧، وص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ألهبت أيام العرب ألسنة الشعراء ، وأذكت العصبية . فالقيسية واليمانيـــة في نزاع مرير أوجدته بواعث سياسية غنية عن التعريف . والأمويون يواجهون غضب ال البيـــت والزبيريين .

والشعر وقود هذه النزاعات والخصومات . وموقعة مرج راهط من أيام العرب المشهورة وفيها يقول عمرو بن مخلاة الكلبي : (١)

ويوم ترى الرايات فيه كأنهـــا ... حوائم طير مستديرٌ وواقـــع
أصابت رماحُ القوم بشرا وثابتـــا ... وَحَرّنا وكل للعشيرة فاجـــع
طعنّا زيادا في أسنة وهو مدبـــر ... وثورا أصابته السيوف القواطـع
وأدرك همّاما بأبيض صـــارم ... فتى من بني عمرو طُوال مشايـع
وقد شهد الصّفيّن عمرو بن مُحْـــرز ... فضاق عليه المرج والمرج واسـع
فمن يك قد لاقى من الموت غِبطـة ... فكان لقيس فيه خاصٍ وجـادع

وفيها يقول زفر بن الحارث الكلابـــي : (٢)

أفي الله أمّا بحدل وابنُ بَحْـــدل ... فيحيى وأما ابن الزبير فيقتـل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونـــه ... ولمّا يكن يومٌ أغرُ محجـــل
ولمّا يكن للمشرفية فوقكـــم ... شُعاع كقرن الشمس حين ترجـل

ولا يعدم القارىء بعض صور البطولة المتمثلة في انصاف الخصوم .

وهذا أمر قل أن يجود به الشعر العربي ، فقد أنصف زفر بن الحارث الكلابي خصومه في موقعـــة مرج راهط . فهم - كما يقول - أكثر صبرا ، وأكثر جلدا في المعارك ، أما النبال فأبت أن تتكســـر والتغلبيون أشداء لا يهابون ، فقد أكثروا في بني كلاب القتل ، يقول (٣) :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمـــةً ... لياليَ لاقينا جُذام وحميـــرا
فلمّا قرعنا النبع بالنبع بعضُـــه ... ببعض أبت عيدانه أن تَكَسّـــرا
ولمّا لقينا فتية تغلبيّـــة ... يقودون جردا للمنية ضُمّـَــرا
سقيناهم كأسا سَقَوْنا بمثلنـــا ... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

١- حماسة أبي تمام ج ١٩٥/٢ ، وحماسة ابن الشجرى ج ١٧٢/١ .

٢- حماسة أبي تمام ج ١٩٧/٢ . ٣- حماسة أبي تمام ج ١٥٠/١ ، والحماسة البصرية أ ج ١ / ١٨١ ، والتذكرة السعدية ص ٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبقى هذا الاتجاه بما يحمله من قيم جاهلية ، وعصبيّات قبليّة ونزاعات - بـــت الاسلام فيها - يحمل بعض القيم الاسلامية . وقد يلتمس البحث لأصحاب هذا الاتجاه من الشعراء العذر فيمـــا تمثلوا من ألفاظ الجاهليّين ، وفيما حملته الفاظهم من صور ومعان - ان في الفروسية أو الرثـــاء أو التفاخر ، وذلك لان بعضهم أهل بادية ، وهم أكثر بعدا عن القيم الاسلامية في الاغلب - مـــن غيرهم ولان بعضهم الآخر رأى في الالفاظ الجاهلية ومعانيها ، وصورها شواهد أكثر تأثيرا فـــي النفس ، وأشد وقعـــا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - صورة البطل من منظور اسلامي :

وتتمثل صورة البطل من وجهة النظر الاسلامية في استجلاء الملامح الجديدة له ممثلة في نزوعه الى الدين الاسلامي الحنيف في كل أمر من أموره ٠ فولاؤه لله ، وجهاده في سبيله وصراعه مع ملة الكفر من أجل خلق مجتمع اسلامي متعاضد يقوم بنيانه على أسس من المحبة والتراحم والتعاطف منطلقا من القرآن الكريم دستورا ، ومن السنة النبوية الشريفة هدى ونبراسا ٠ فقد حوّل الاسلام الناس من أمة محتربة يأكل بعضها بعضا ، ويفتك بعضها ببعض كيفما اتفق الى امة يشدّ بعضها أزر بعض ، وحولهم من عبدة أصنام وأوثان الى عبادة الله وحده عز وجل ، ووحدهم بعد أن كانوا متفرقين ٠

وألغى الاسلام العصبيات القبلية عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية (١) ٠

وثمة دليل آخر على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم العصبية يتمثل في قوله عليه الصلاة والسلام لابي ذر الغفاري " انك امرؤ فيك جاهلية " (٢)

وصور البطولة كثيرة متعددة ، فثمة البطولة المقاتلة ، وفيها صور لأبطال المسلمين الذين وقفوا ينافحون عن العقيدة بالنفوس والأموال ٠ فقد مجّد الشعراء الأبطال ، وفخروا بهم وأظهروا مناقبهم وخصالهم ، ورثوا من استشهد منهم ، وثمة بطولة الكرم والجود ، وبطولة الصبر على الشدائد ، وبطولة المروءة والخلق ، وبطولة العشق ٠

١- المصدر السابق ج ٤/٣٣٢ ، رقم الحديث ٥١٢٠ ٠

٢- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار احياء التراث ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ ، ج ١/٧١ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : البطل المقاتـــل :

وقد شغلت الايام والغزوات التي حدثت بين المسلمين وأهل الشرك اهتمام الشعراء فراحوا يتغنون بالانتصارات على الكفار ، ويفخرون بأبطال المسلمين حملة الرسالة . فقـــد تغنى كعب بن مالك في يوم بدر بانتصارات المسلمين بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلـــم على جموع الكفار من قريش ، وقد بيّن في بدايتها أن المسلمين يعبدون الله وحده ، وأنهـــم يطمعون في جناته كما وعدهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول (١) :

ألا هل أتى غسان في نأي دارهـــا وأخبرُ شيء بالامور عليمُهـــا
بان قد رمتّنا عن قسي ضوامـــرٌ معد معاجيرها وحليمهـــا
لأنّا عبدنا الله لم نَرْجُ غيـــرَه رجاءَ الجنان إذ أتانا زعيمهـــا

ثم يبيّن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معزز في قومه وهو من أصل طيب وحسب أصيل :

نبي له في قومه إرثُ عِـــزّةٍ وأعراقُ صدقٍ هذبتها أرومُهـــا (٢)

ثم يصف لقاء المسلمين بالكفار فذكر أنهم ساروا اليهم ، والتقوا بهم كأنهم الاسود الضاريـــة فأوقعوا فيهم القتلى والجرحـــى :

فساروا وسرنا فالتقينا كأننـــا أسود لقاء لا يُرجّى كليمهـــا
ضربناهم حتى هوى في مَكرّنـــا لِمَنْخَرَ سوءٍ من لؤي عظيمهـــا

ووصف قوة المسلمين في أحد ، فهم أيضا أسود في قوتهم ، يقول (٣) :

سائل قُرَيْشاً غداة السفح من أحـــد ماذا لَقِينا وما لاقوا من الهـــرب
كنّا الأسود وكانوا النَّمْر اذ زحفـــوا ما إنْ نراقب من آل ولا نســـب
فكم تركنا بهم من سيد بطـــل حامي الذمار كريمِ الجد والحسب

وينتقل الى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو شهاب ، ووجهه نور ، وله فضل علـــى الشهـــب :

فينا الرسول شِهاب ثم يتبعـــه نورٌ مضيء له فضل على الشهـــب

وفي هذا البيت اشارة الى أهمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو نور في وسط ظلم يتخبـــط فيها المشركون ، وهذا النور يضيء السبل لاتباعه المؤمنيـــن .

١- حماسة صفوة الأدب ج ١/٠٦ ٢-الاروم : جمع أرومة وهي الاصل ، اللسان ، مادة أرم
٣- حماسة صفوة الأدب ج ١/٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الحريش بن هلال القريعي مادحا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالد بن الوليد في غزوة حنين مبيّنا قوة المسلمين وبأسهم في القتال • وتبدو القيم الاسلامية السمحة في مقطوعته واضحة جلية • فقد تأدب الشاعر بأدب الاسلام ، وتخرج في مدرسة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فقدّم النبي وخالدا على نفسه ، يقول (١) :

شهدن مع النبي مسوّمات حنينا وهي دامية الحوامي
ووقعة خالد شهدت وحكّت سنابكُها على البلد الحرام

ثم يصف أنهم لا يولّون الادبار ، بل يواجهون عدوهم وجها لوجه وتحكّي عن ذلك بقوله :

نُعرّض للسيوف اذا التقينا وجوها لا تُعَرّضُ لِلطّام

ويصف بعد ذلك بطولته • فهو دائم الاستعداد للقتال ،فجواده لا يهدأ ، وسيفه قاطع :

ولست بخالع عني ثيابي اذا هرّ الكماة ولا أرامي
ولكنّي يجول المهر تحتي الى الغارات بالعضب الحسام

ومن أبطال المسلمين الذين حرص الشعراء على تمجيد بطولاتهم الضحاك بن سفيان بن عدى الكلبي الذي أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية من سراياه • فقد مدحه العباس بن مرداس السّلمي فبيّن أنه رجل قوى ، تام السلاح ، متمرس في استخدامها ، يقول (٢) :

رجل به ذرب السلاح كأنه لمّا تكنّفه ، العدو براكا

والضحاك رجل مؤمن فهو حريص على ارضاء الله تعالى ، فقتاله في سبيل الله :

يغشي ذوي النسب القريب وانما يبغي رضى الرحمن ثم رضاكا
أُنبّيك أني قد رأيت مكرّه تحت العجاجة يدفع الإشراكا
طورا يعانق باليدين وتارة يغرى الجماجم صارما فتّاكا
يغشي به هام الكماة ولو ترى فيه الذي عاينت كان شفاكا

ثم يفتخر ببني سليم ، ويصف قوتهم ، وشدة فتكم بالاعداء فيقول :

وبنو سليم معنقون أمامه ضربا وطعنا في العدو دِراكا
يمشون تحت لوائه فكأنهم أسد العرين أردْنَ ثم عراكا
لا يرتجون من القريب قرابة الا لطاعة ربهم وهواكا

١- حماسة أبي تمام ج ١/١٣٣، والتذكرة السعدية ص ٧٤ ٢-حماسة صفوة الأدب ج ١/١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذى مشاهدنا التي كانت لنـــــا معروفة وولّينا مولاكـــــا

فبنو سليم كغيرهم يقاتلون في سبيل الله . فهم يريدون طاعته ورضاه ورضى الرسول الكريم عليـــه الصلاة والسلام .

والبطل المسلم لا يبالي بنتيجة المعركة ، وذلك لأنه يضع في حساباته احـــــــدى الحسنيين : اما النصر، واما الشهادة ، ولذا كان بعض الابطال يشيرون صراحة الى ذكر الجنـــــة والنار التي وعد الله عباده المخلصين الصابرين وفي ذلك يقول عبدالله بن رواحة الانصاري (١) :

أقسمت يا نفس لتنزلنّـــــــه كارهةً أو لتطاو عنّـــــه

مالي أراك تكرهين الجنّـــــة قد طالما قد كنت مطمئنة

فالجنة كما نرى هي هم المسلم الأول والأخير ، فهو حريص على ذكرها ، وتذكير أبنائه بها ، يقـول العديل بن الفرخ العجلي مذكرا ابنيه بالجنة ،ومحذرهما من النـــار : (٢)

أما ترهبان النار في ابني أبيكمـــا ولا ترجوان الله في جنة الخلـد

ويقول قطرى بن الفجاءة : (٣)

رأت فتية باعوا الاله نفوسهـــــم بجنات عدن عنده ونعيـــــم

نجد أنه متأثر بالقرآن في هذا الموضـــــع .

وترى البطل المسلم يطلب الشفاعة من رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام والمغفرة يوم القيامـة، يقـــــول (٤) :

فاغفر عفا الله عما أنت واهبـــــه يوم القيامة اذ تهدى لك الظفـــر

ويؤكد سواد بن غزية الانصاري حرص البطل على خوفه من الاخرة بأن يتوجه الى الرسول الكريـــــم طالبا الشفاعة أيضا لدخول الجنة ، يقول : (٥)

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعـــــة بمغن فتيلا عن سواد بن قـــارب

ويهم البطل المسلم الى جانب قضية الخوف من الجنة والنار ـ حسن الثناء والمديح ، والذكر الحسن يقول ابن عنقاء الفزارى (٦) :

فقلت له : لا تبك عينك انمـــــا يكون غدا حسنُ الثناء لمن صبـــر

١ـ حماسة البحترى ص٢٠ .
٢ـ حماسة ابن الشجرى ج ٢/٢٥٥.
٣ـ المصدر السابق ج ١/٢٢٢.
٤ ـ حماسة صفوة الأدب ج ١/٣١.
٥ـ المصدر السابق ج ١/٢٢٣.
٦ـ حماسة ابن الشجرى ج ١/٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول أبو محجن الثقفي [١] :

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته وسائلي القوم ما فعلي وما خلقي

ولم يكن الاسلام ليحظر على البطل أن يتغنى ببطولته أو بطولة قومه ما دامت المفاخرة لا تخرج عن القيم الاسلامية . فالشعر الحماسي يزيد الابطال اصرارا وقوة . فالاعرج المعنيّ في تغنّيه ببطولته يجسد القيم الاسلامية في الفروسية والقتال ، فتراه أول من يتقدم الى الحرب ، ويسرع الى لقاء الاعداء . وليس جبانا ضعيفا يتكل عند التجالد على غيره ، وتراه غير جازع ، ولا هيّاب من قرب الاجل ، ولم تضعفه النوائب والهموم ، يقول مرتجزا : [٢]

أنا أبو برزة اذ جد الوهل خلقت غير زُمَّل [٣] ولا وَكَل

ذا قوة وذا شباب مقتبل لا جزع اليوم على قرب الاجل

الموت عندنا أحلى من العسل نحن بني ضبة أصحاب الجمل

ردّوا علينا شيخنا ثم بجل

والبطل المسلم دائم الاستعداد للحرب ، فهو دائما مشمّر لها ، ولا يظهر الشكوى ولا يتذمّر ولكنه صلب ذو عزيمة قوية . فهدبة بن خشرم يبيّن أن المقاتل الشديد هو الذي يواجه الامور بحزم ، ولا يتنحّى جانبا اذا اشتدت الامور عليه ، يقول [٤] :

وليس أخو الحرب الشديدة بالذي اذا زبنته جاء للسلم أخضعا

ولكن أخو الحزم الحديدُ سلاحُه اذا حملته فوق حال تشجّعا

أخو الحرب لا ينأد للحرب متنه ولا يظهر الشكوى اذا كان موجعا

والبطل المقاتل في الاسلام له حقوق وعليه واجبات ، ففي ساحات الوغى تراه أسدا فتّاكا لا يخاف أحدا ، وفي الليل تراه ذليلا ، وفي هذا اشارة الى أن المقاتل المسلم يحسب حساب زوجه وحقوقها عليه وهذا من أدب الاسلام ، يقول عُمَيْر بن الحُباب السُّلَمي [٥] :

لو أن ليل فوارسي كنهارهم كملوا فلم يك فيهم أصحاب

١- حماسة ابن الشجرى ج ١/٣٤٠

٢- حماسة أبي تمام ج ١/٢٨٠

٣- الزمّل : الضعيف ، اللسان ، مادة زمل .

٤- حماسة البحترى ص ٤٠

٥- الوحشيات ص ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا النهار فهم أسود خفية [١] والليل بيض خرّد أتراب

ومن أحاديث البطولة وقصص الفروسية ما حدث لابي محجن الثقفي في موقعة القادسية اذ حبسه سعد بن أبي وقاص . فطلب أبو محجن الى زوج سعد أن تخلّي سبيله ليقاتل الى جانب المسلمين ففعلت ، وأطلقت سراحه ، فقاتل قتالا شديدا . وقد جسّد هذه البطولة الفذة التي قام بها بأبيات تنضح حماسة . وهو لا يقول ذلك مباشرة ، بل يطلب من زوج سعد أن تسأل القوم عن أخبار بطولته ، وألّا تسألهم عن المال وكثرته ، فهذه الأمور عنده من عرض الدنيا لا يوليها اهتمامه يقول [٢] :

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته وسائلي القوم عن مجدي وعن خلقي

ثم يصف بطولته ، فهو يعمل سنانه في الخصم حتى يرتوى منه ، ويطعنه طعنة تحدث جراحا بليغة فيه :

أُعطي السّنان غداةَ الروع حُصّته وعامل الرمح أرويه من العَلَق

وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض تنفي المسابير [٣] بالإزباد والفَهَق [٤]

ويعود مرة أخرى للتفاخر بنفسه ، ويجعل الناس هم الذين يكبرون فيه همته ، ويمتدحون فيه بطولته :

قد يعلم القوم أني من سُراتهُم اذا سما بصر الرعديدة الفَرِقِ

ومن صفاته الحميدة أنه جواد كريم ، وعفيف النفس :

وقد أجود وما مالي بذي فَنَع [٥] وقد أكرّ وراء المحجر البرق

عفّ الايالة عما لست نائله وان ظلمت شديد الغيظ والحنق

قد يكثر المال يوما بعد قلته ويكتسي العود بعد اليُبس بالورق

فقد ختم أبياته بحكمة حسنة منسجمة مع الابيات الاخرى . فالمال القليل لا بد أن يكثر يوما ما وكذلك العود فلا بد أن يورق بعد عريه . وهذه الحكمة تشير الى أن أبا محجن يترفع عن صغائر الأمور الى ما هو أسمى من ذلك ، فلا يقلقه أن يكون قليل المال فهو ليس من مطامحه .

١- الخفية : غيضة ملتفة يتخذها الاسد عرينه ، اللسان ، مادة خفا .

٢- الوحشيات ص ١٦٩ ، وحماسة ابن الشجرى ج ١/٢٣٤ .والحماسة البصرية أج ١/٣٣ . والتذكرة السعدية ص ١٥٤ .

٣- المسابير : مفردها مسبار وهو ما يقاس به عمق الجرح ، يقال :مسبر الجرح أى نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره ، تاج العروس ، مادة سبر .

٤ - الفهق :الامتلاء،اللسان ،مادة فهق

٥- الفنع : ذو سعة ، اللسان ، مادة فنع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظل القادسية معلما بارزا متميزا في حياة المسلمين حرص الشعراء على تسجيلـــــه والتغني به بما أحدثه من تغيير في خريطة الدولة الاسلامية ، وذلـك بعد أن تغلب المسلمون على أكبر قوة عسكرية منافسة هي الفرس • وممن تغنوا ببطولاتهم في هذه الموقعة الكبيرة عروة بن زيد الخيـل ابن مهلهل الطائي • فقد كان فارسا مغوارا لايهاب الاعداء ، يقاتل والدماء تنزف من جراحـــــه ويجندل الفرسان فارسا بعد فارس يقـول : (١)

برزت لأهل القادسية معلمـــا ... وما كل من يخشى الكريهة يعلـم
ويوما بأكناف النخيلة قبلهـــا ... شهدت فلم أبرح أدمّى وأكلـــم
وأرديت منهم فارسا بعد فـــارس ... وما كل من يلقى الفوارس يسلـم
وأيقنت يوم الدّيلميّين أننـــي ... متى ينصرف وجهي عن القوم يُهزموا
فما رمت حتى مزقوا برماحهـــم ... قبائي ،وحتى بلّ أقْمُصِيَ الـــدم
محافظة اني امرؤ ذو حفيظـــة ... اذا لم أجد مستأخرا أتقـــدم

ومن الشعراء الذين وقفوا بحزم الى جانب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في غزواته حسـان بن ثابت الانصاري • فوقف يحمس الجند بقصائده ، ويرفع من معنوياتهم ، ويرد على الخصوم ، ويقلـل من شأنهم • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتدح الشعر الجيد ، ويقرّه • فاتخذ من حســان شاعرا يدافع عن الاسلام والمسلمين • فقد قال مادحا الانصار وبطولتهم مبيّنا أنهم ذوو قوة وبطـش • فاذا ما حاربوا أوقعوا في عدوهم القتل ، واذا ما أرادوا أن يعطوا أحدا نفعوه وأعطوه ، يقـول (٢) :

قوم اذا حاربوا ضرّوا عدوهـــم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعـوا

ويصفهم بأنهم أصحاب حلم وكـــرم :

لا يجهلون وان حاولت جهلهـــم ... في فضل أحلامهم عن ذاك متســع
لا يبخلون على جار بفضلهـــم ... ولا يمسهم من مُطْعِم طبـــع

ويشبههم وهم في ساحات القتال بأنهم أسود قوية ، وهم لا يفزعون ان أصابوا عدوا لهم ، ولا تخـور عزائمهم ان أصيبوا بسـوء :

كأنهم في الوغى والموت مكتنـــع ... أسد بخَفّانَ (٣) في أرساغها فَدَع

١- حماسة ابن الشجري، ج ١/ ٧٤
٢- المصدر السابق، ج ١/ ٣٦٢.
٣- خفان : موضع قرب الكوفة ، وقيل هو فوق القادسية (معجم البلدان ، مادة خفان)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا فُزّعٌ ان أصابوا من عدوهـــــمُ وان أُصيبوا فلا خُور ولا جُـــزَعُ
فان في حربهم فاحذر عداوتهـــم سمّا يداف عليه الحَلب والسَّلَعُ
أكرم بقوم رسول الله شيعتهـــم اذا تفرّقت الاهواء والشيـــع

وقال العباس بن مِرداس السُّلَمي يصف بلاء بني سليـم : (١)

اذكر بلاء سليم في مواطنهـــنا وفي سليم لأهل الفخر مفتخـــر
هُمُ بنو الحرب والموت الذعاف اذا لاقى الكتائب منهم قادة صُبُـــر
الضاربون رجال الشرك ضاحيـــة ببطن مكة والارواح تبتـــدر
حتى تَوَلّوْا وقتلاهم كأنهـــــمُ نخل بظاهرة البطحاء منقعـــر

فالعباس متأثر بالقرآن الكريم في البيت الاخير يقول عز وجل (كأنهم أعجاز نخل منقعـــر) (٢)

ويرى الابطال أن العيش بعزة وكرامة ، والتضحية بالنفس أعلى درجات البطولـــــة وأسماها ، وفي هذا المعنى يقول الحسين بن علي رضي الله عنه (٣) :

سأمضي وما بالموت عار على الفتـــى اذا مانوى حقا وجاهد مسلمـــا
وآسى الرجال الصالحين بنفســـه وفارق مخذولا وجانب مجرمـــا
فان عشت لم أرغم وان مت لم أُلَـــمْ كفى بك ذلا أن تعيش وترغمـــا

وقال آخر في هذا المعنـــى : (٤)

لله درّ معاشر نالوا الغنـــــى بصفائح هندية ورمـــــاح
ليس المروءة أن تبيت معانقـــا وتظل معتكفا على الاقـداح
ما للرجال وللتنعم انّمـــــا خلقوا ليوم كريهة وكفـــاح

ويرى محمد بن حازم الباهلي أن الموت في ساحات الوغى بعزّ واباء ، خير من أن يمنّ عليه رجـــل نذل بسومه الهوان ، يقول (٥):

١- حماسة ابن الشجرى ج ١/٠٣٦٦
٢- سورة القمر آية ٠٢٠
٣- حماسة الظرفاء ج ١/٠٦٦
٤- المصدر السابق ج ١/٠٦٧
٥- المصدر السابق ج ١/٠٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَلْموت أيسرُ عنـــدى بين القنا والأسنـــة
والخيل تجرى سِراعـــا مُقَرَّطـات الأعنّـــة
من أن يكون لنـــذل عليّ فضل ومِنّـــة

وقد هالت انتصارات المسلمين على أقوى دولتين من دول الشرك هما : فارس وبيزنطة النـــاس وأحدثت أثرا فيهم . فالنابغة الجعدى يكاد يصرخ غير مصدق ما يحدث فيقول (١) :

يا أيها الناس هل ترون الـــى فارس بادت وأنفها رغمـــا
أمسوا عبيدا يرعون شاءكُـــمُ كأنما كان ملكهم حلمـــا

ومن الأبطال من لا يبالي بالأهوال والاخطار ، بل يقدم على الموت غير مبال ، ومن هؤلاء موسى بـــن جابر الذى يحرض أصحابه على القتال ، وعلى اشعال نارها ، ويحثهم على الثبات ، يقول : (٢)

وقلت لزيد لا تترتـــر فانهم يرون المنايا دون قتلك أو قتلـي

ويخاطبه قائلا : ان سالموا فسالم وان أبوا فعدة الحرب مثلك أو مثلـي :

فان وضعوا حربا فضعها وان أبـــوا فعرضة عمّ الحرب مثلُك أو مثلـــي
وان رفعوا الحرب العوان التي ترى فَشُبَّ وقود الحرب بالحطب الجـزل

وفي مقطوعة أخرى تراه يجود بنفس غالية عزيزة لا يبذل مثلها دفاعا عن الشرف . فهو يرى أن الموت أسهل شيء في جانب ما يرتكبه من الاخطار والاهوال في حماية الحقيقة يقـول (٣) :

ألم تريا أني حميت حقيقتـــي وباشرت حد الموت والموت دونهـا
وَجُدتُ بنفس لا يُجاد بمثلهـــا وقلت اطمئني حين ساءت ظنونهـا

والفارس المسلم زاهد في الحياة براها عرضا زائلا ، مقبل على الموت ، طمعا في الآخرة ، وليس لـه من متاع الدنيا الا درع وسيف صقيل ، ورمح وحصان وهي أدواته في القتال . ومثل هذه الامور غايـــة المسلم ذى الايمان الراسخ والعقل المستنير . وقد جسّد أبو الابيض العبسي هذه القضايا فقال : (٤)

ألا ليت شعرى هل يقولن فـــوارس وقد حان منهم يوم ذاك فقـــول
تركنا ولم نَجْنُن من الطير لحمـــه أبا الابيض العبسي وهو قتيـــل
وذى أمل يرجو تراثي وان مـــا يصير له مني غدا لقليـــل

١- حماسة الظرفاء ، ج ٢/٠٦٨

٢- حماسة أبي تمام ج ١/٠٣٤٤

٣ - حماسة أبي تمام ج ١/٣٤٦، والتذكرة السعدية ص ١٠٠

٤ - حماسة أبي تمام ج ٢/٠٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومالي مال غيرُ درعٍ ومغفـــــرٍ وأبيضُ من ماء الحديد صقيـــل
وأسمرُ خطيٌّ القناة مثقّـــــف بهاديه اني للخليل وصـــول

وقال أبو حُزَابة مادحا عقبة بن زهير وواصفا اياه بانه لم يضعف ولم يجبن ٠ فقد نازل جمعا من الترك وهزمهم ، ولم يتقهقر ، يقول (١) :

من كان أقحم أو خامت حقيقتُـــه عند الحفاظ فلم يقدم على القَحَـم
فعقبة بن زهير يوم نازلـــه جمع من الترك لم يحجم ولم يَخِـم
مشمر للمنايا عن شنـــواه اذا ما الوغد أسبل ثوبيه على القـدم
خاض الردى والعدى قدما بِمُنْصُلِـــه والموت تَعْلِك ثني الموت باللُّجُـم

ويقول سالم بن وابصة في هذا المعنى (٢) :

عليك بالقصد فيما أنت فاعلـــه ان التخلق يأتي دونه الخُلُـــق
وموقفٍ مثلِ حد السيف قمت بـــه أحمي الذمار وترميني به الحَـدَق
فما زَلِقْت ولا أبديت فاحشـــة اذا الرجال على أمثالها زَلِقـوا

ورسم أبو تمام للمعتصم صورة حسنة ٠ فقد جمع فيه كل الصفات التي يتمتع بها القائد المسلـم ٠ فهو المحامي عن الدين والاعراض ، والارض ٠ فالسيف أصدق مما يقوله المنجمون في كتبهم ٠ فهـو الحد الفاصل بين الكفر والايمان ، وكنى عن ذلك بالجد واللعب ، يقـول (٣) :

السيف أصدق إنباء من الكتـب في حده الحد بين الجدّ واللعـب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فـي متونهم جلاء الشك والريـب

ويصف فتح عمورية بأنه فتح أكبر من تحيط به القصائد الشعرية والخطـب :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط بـه نظم من الشعر أو نثر من الخطـب
فتح تفتّح أبواب السماء لـه وتبرز الارض في أثوابها القشـب

وهذا الفتح لا يأتي عبثا لولا وجود بطل مدبر ، يعرف كيف يسوس الأمور فهو يعتصم باللـه، ويرتغب فيـه :

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٢٢٢٠

٢- حماسة أبي تمام ج ٢/٢٣٦، والتذكرة السعدية ص ١٣٥٠

٣- حماسة صفوة الأدب ج ١/١٥٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تدبير معتصم بالله منتقـــــم لله مرتقب في الله مرتغـــب
ومطعم النصر لم تكهم أسنّتـــه يوما ولا حجبت عن روح محتجب

ويصف قوته ، وشدة بطشه فيقـــول :

لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغـــدا من نفسه وحدها في جحفل لجـــب
أجبته معلنا بالسيف منصلتـــــا ولو أجبت بغير السيف لم تجـــب
حتى تركت عمود الشرك منعفـــرا ولم تعرّج على الأوتاد والطنـــب
ان الاسود أسود الغاب همّتهـــــا يوم الكريهة في المسلوب لاالسلب

ولم تقل الصورة التي رسمها البحترى لمحمد بن سعيد الثغرى حسنا وجودة . فقد رسم البحتـــرى لهذا القائد صورة للمقاتل المتحفز الذى لا يغمض له جفن ، ولا تلين له قناة . فانك تلقـــاه وسيفه يقطر دما ، وسنانه مخضب بالدماء . وهو بطل يواجه الموت بشجاعة . فقد فـــرّق جموع الاعداء في " يوم بابك " بفعل سلاحه الحاد المضاء ، يقول (١) :

متيقظ العزمات أصبح للعـــدى حتفا يبيد وللعُفاة ربيعـــا
تلقاه يقطر سيفُه وسنانُـــه وبناتُ راحته ندى وتجيعـــا
لله درّك يوم بابك فارســـا بطلا لأبواب الحُتوف قَروعـا
لمّا أتاك يقود جيشا ارعنـــا يمشي عليه كثافة وجموعـــا
وزعتَهم بين الأسنة والظبـــا حتى أبدتَ جموعهم توزيعـــا
في مَعْرَكٍ ضَنِكٍ تخال به القنـــا بين الضلوع اذاانحنين ضلوعا

والصور التي رسمها المتنبي لسيف الدولة الحمداني ، والمغيث بن العجلي ، وعلي بن محمد بـــن سيّار التميمي ، وعلي بن ابراهيم التنوخي وغيرهم تظل ضربا من الفضول والتزيد ، وضربا مـــن القول لا يصل في منتهاه الى مقاصد المتنبي وبلاغته . وقدخلدت قصائد المتنبي بطولات سيـــف الدولة بأحسن ما يكون التخليد ، وذلك لأن المتنبي قد ملك زمام اللغة ، وملك البيان العربـــي والمعاني اللطيفة ، فضلا عن ثقافة واسعة لم يبلغها أحد من معاصريه . فصوره مفزعة تخيف الأعداء وكلماته تنضح قوة وبأسا ، وكأنها تقاتل الى جانب سيف الدولة لقوتها ، وترابطها ، يقول (٢) :

١- حماسة صفوة الأدب ، ج ١/٢٠٢.
٢- المصدر السابق ج ١/٢١٦ ، ٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل السيوف اذا طال الضِّراب بهـــا ... يمسّها غيرّ سيف الدولة السأم

لو كلّت الخيل حتى لا تَحَمّلـــه ... تحمّلته الى أعدائه الهمم

أين البطاريق والحلف الذى حلفوا ... بمفرق الملك والزعم الذى زعموا

ولى صوارمه إكذابَ قولهم ... فهنّ ألسنة أفواهها القمم

نواطقٌ مخبراتٌ في جماجمهم ... عنه بما جهلوا فيه وما علموا

فسيوف سيف الدولة تخبر الأعداء بما علموا منه من اقدامه وشجاعته ، وصبره في الحرب ، وما جهلوا منه لأنهم لم يعرفوا ما عنده من الشجاعة تمام المعرفة ، وقصائد أبي تمام وقصائد البحترى وقصائد المتنبي غنيّة بالمعاني الاسلامية ، والقيم الدينية التي تبيّن عمق ثقافاتهم.

وفي قصيدة أخرى يبيّن المتنبي أن سيف الدولة قد أعد السيف المغمور لرأس البطل يضربه به ، ويصرفه ويمضيه عليه ويستعمله ويتخذه آلة يدبرها ، ويبطش على حسب ارادته بها فابان أن السيف - وان وافقه في الاسم - فهو مقصر عنه في حقيقة الحكم . ويبيّن أن أعداءه يعتصمون منه بالجبال والرمال والأوعار ، وتلك مواضع الحجل والقطا . ومساكنها ، يقول [١] :

انظر اذا اجتمع السيفان في رَهَج ... الى اختلافهما في الخلق والعمل

هذا المُعِدّ لريب الدهر مُنْصَلِتا ... أعد هذا الرأس الفارس البطل

فالعرب منه مع الكدرىّ طائرة ... والروم طائرة منه مع الحجل

وما الفرار الى الأجبال من أسد ... تمشي النعام به في معقل الوعل

جاز الدروب الى ما خلف خرشنة ... وزال عنها وذاك الروع لم يزل

والقصيدة طويلة غنية بصور البطولة التي رسمها المتنبي لسيف الدولة . [٢]

وتتعزز صورة سيف الدولة في قصيدة أبي فراس الحمداني الميميّة . فقد جعل منه بطلا مقاتلا لا يروعه الموت . فهو يضحي بنفسه في سبيل الله ، وهو بذّال للمال ، وهذه الصفات التي يتحلى بها سيف الدولة هي صفات القائد المسلم ، يقول [٣] :

أشدّة ما أراه منك أم كرم ... تجود بالنفس والارواح تعتلم

يا باذل النفس والاموال مبتسما ... أما يَهولك لا موتٌ ولا عَدَم

١- حماسة صفوة الأدب ج ١/٢١٩، ٢٢٠.
٢- المصدر السابق ، والديوان.
٣- المصدر السابق ج ١/٢٧٠، ٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد ظننتك بين الجحفلين ترى ... أن السلامة من وقع القنا تصم

نشدتك الله لا تسح بنفس علا ... حياة صاحبها تحيا بها الأمم

هي الشجاعة الا أنها سرف ... وكل فضلك لا قصد ولا أمم

والقصيدة طويلة [١].

وقصائد أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني في وصف شجاعة سيف الدولة كثيرة جدا ، لكن المقام لا يتسع لذكرها ، ويكتفي الفصل بهذه الشواهد الدالة .

أما من أراد التوسعة فيستطيع التعمق ودراسة القصائد في الدواوين الشعرية .

١- حماسة صفوة الأدب ج ١/ ٢٧٠، ٢٧١، والديوان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيـــا البطـــل المرثـــي :

ولم ينس الشعراء الأبطال الذين قضوا نحبهم دفاعا عن الاسلام والمسلمين ، فكان لهؤلاء نصيب من الذكر الحسن ، والسيرة الطيبة ، مما أوصلهم الى مراتب الخلود بأعمالهم الصالحـــــة الجليلة . ومن هؤلاء الخليفة العادل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فهو رمز من رموز البطولـــة الاسلامية ، والحديث عنه - وقد ملأت سيرته الآفاق - يعد ضربا من التزيّد والفضـــول .

وقد خلّده الشعراء في شعرهم ، وذكره خصومه بخير ، وشهدوا له بعدله ، وحكمته وسداد رأيه . وتظل قصائد الشعر - مهما بلغت - عاجزة عن ايفاء الخليفة الفاروق حقه . فقد رثاه الشمـــاخ وبيّن ما أحدثه استشهاده في نفوس الناس من أثر . فقد أظلمت الأرض بعد وفاته . وهذه صورة موفقة فقد جعل الشاعر عمر بن الخطاب نورا . فلما قضى خبا هذا النور . يقول (١) :

جزى الله خيرا من أمير وباركـــــت ... يدُ الله في ذاك الأديم الممـزّق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامـــــة ... ليدرك ما قدّمت بالأمس يُسْبَـق
قضيتَ أمورا ثم غادرتَ بعدهـــــا ... بوائجَ في أكمامها لم تُفَتّـــق
أبعد قتيل بالمدينة أظلمـــــت ... له الارض تهتز العِضاهُ بأسْـوُق
تظل الحَصان البكر يلقى جنينهـــا ... نثا خبر فوق المطي معلّـــق
وما كنت أخشى أن تكون وفاتـــه ... بكفّي سَبَنْتي ازرقِ العين مطرق

أما عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فقد أقسمت الآ تترك البكاء على زوجها وألاّ يمـسّ جلدها ماء تغتسل به من الغبار حزنا على فقده ، تقـول (٢) :

آليت لا تنفك عيني حزينـــــة ... عليك ولا ينفك جلدك أغبـرا

ثم تصف شجاعته وقوته ، فقد كان اذا أشرعت في الحرب الأسنّة الى الفرسان خاضها فلا يرجـــع حتى يترك الموت شديدا ، ويسفك دماء كثيرة ، وليس يعدله أحد في صبره وقوته ، وحمايته القوم :

١- حماسة أبي تمام ج ٣/١٠٧ .
والحماسة البصرية ب ج ١/١٩٦ .

٢- حماسة أبي تمام ج ٣/١١٧ ، والحماسة البصرية ج ١/٢٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلله عينا من رأى مثله فتـــــــى أكرّ وأحمى في الهياج وأصبـــــــرا
اذا أشرعت فيه الأسنة خاضهـــــــا الى الموت حتى يترك الموت أحمـــرا

ويحرص الشاعر المسلم على أن يظل على وفائه لأصحابه الذين استشهدوا في سوح القتال فيرثيهم معددا مناقبهم ، وخصالهم الحميدة . فقد رثى عبدة بن الطيب قيس بن عاصم مبيّنـــــا أن هلاكه ليس هلاك أي أحد من الناس ، لكنه موت وهلاك لقبيلته ، لانه كان رجل القبيلة وواحدهـــا . ويبدأ مقطوعته بالسلام عليه والترحم فيقول : (١)

عليك سلام الله قيس بن عاصـــــم ورحمته ما شاء أن يترحمـــــا
تحيّة من غادرته غرض الـــــردى اذا زار عن شحط بلادك سلّمـــا
فما كان قيس هلكه هلك واحـــــد ولكنّه بنيانُ قوم تهدمـــــا

وقال في هذا المعنى محمد بن بشير الخارجي (٢) :

نعم الفتى فُجِعَتْ به اخوانـــــه يوم البقيع حوادثُ الأيّـــام

ثم يصف كرم المرثي فيبيّن أن داره واسعة الفناء لا تضيق بأضيافه ، وهو مع هذا كريم حسن التدبيـــــر في منزلـــــه :

سهلُ الفناء اذا حَلَلْتَ ببابـــــه طَلْقُ اليدين مُؤدَّبُ الخُدّام

وهو لكرمه وكماله لا يفضل شقيقه على صديقه ، فلا يمكن لاحد أن يفرق بينهما :

واذا رأيت صديقه وشقيقـــــه لم تدر أيهما ذوو الأرحـــــام

تتمثل في المقطوعتين السابقتين كثير من القيم الاسلامية الحسنة في مجال الرثاء وقد رثى مـــروان ابن ابي حفصه معن بن زائدة الشيباني فبيّن أنه تـــرك مكارم كثيرة لا تفنى ، يقول (٣) :

مضى لسبيله معن وأبقـــــى مكارم لن تَبيد ولن تُنـــــالا

وكان معن ـ كما وصفه مروان ـ قويا يحمي القوم ، وكان كريما ، وكان الناس يقصدونه في كل شي الـــى آخر يوم في حياتـــه :

١ـ حماسة أبي تمام ج ٢/٢٨٥.

٢ـ حماسة أبي تمام ج ٢/٣٠١، والحماسة البصرية ب ج ١ ، ٢٤٤.

٣ـ حماسة ابن الشجري ج ١/٣٣٢، والحماسة البصرية ب ج ١ /٢٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هوى الجبل الذ ى كانت نـــــــزار تهد من العدوّ به الجبـــالا
فان يعلو البلاد به خشـــــــوع فقد كانت تطول به اختيـــالا
ولم يك طالب المعروف ينـــــوى الى غير ابن زائدةَ ارتحـــالا
وكان الناسُ كلّهمُ لمعـــــــن الى أن زار حضرته عيـــالا
ثوى من كان يحمل كلّ ثِقْـــــل ويسبق فيض راحته السـؤالا
مضى لسبيله من كنت ترجـــــو به عثرات دهرك أن تُقـــالا

وقد جعل الشاعر الشمس تلبس جلالا أسود حدادا على معـن ، فكأنها أصيبـــت بالكسوف فأظلمت الدنيـا :

كأن الشمس يوم أصيب معـــن من الاظلام مُلْبِسَةٌ جـلالا

ويبيّن الشاعر أهمية معن ٠ فالقوم يحارون أين يذهبون بعد معن ولا سيما بعدما انقطع مصـــدر العطاء بموتـه :

أقمنا باليمامة بعد معـــن مقاما لا نريد به زمـــالا
وقلنا :أين نذهب بعد معـــن وقد ذهب النوال فلا نـوالا
فما بلغت أكفّ ذوى العطايـــا يمينا من يديهِ ولا شمـالا

ويطرح أبو تمام في رائيته المشهورة " كذا فليجل الخطب " التي يرثي بها محمد بن حميد الطائي فلسفته عن الموت والحياة ، وخلود الأبطال في قصائده وفي نفوس الناس ٠ وهذه الفلسفة نابعـة من فكر اسلامي راسخ في نفسه ، ومن ايمان بالقضاء والقدر فضلا عن اجادته تشكيل الصورة، يقول (١)

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمـر فليس لعين لم يفض ماؤها عـذر
توفيت الآمال بعد محمـــد وأصبح مشغولا عن السفر السفـر

ويبيّن أبو تمام أن محمدا لم يمت ميتة عادية بل مات في ساحات القتال :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتـة تقوم مقام النصر اذ فاته النصـر
وما مات حتى مات مضرب سيفـه من الضرب واعتلت عليه القناالسمر
وقد كان فوت الموت سهلا فـردّه اليه الحفاظُ المرّ والخُلُقُ الوعـر
فأثبت في مستنقع الموت رجلـه وقال لها : من تحت أخْمُصِك الحشر

١- حماسة ابن الشجرى ج ١/ ٣٤٠، وحماسة صفوة الأدب ج ٢/ ٣٠٥، والحماسة البصريةب ج ١/ ٢٣٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمرثي ذو أهمية كبيرة في قومه ، فقد شبهه الشاعر بقمر وقد أحاطت به النجوم :

كأن بني نبهان يوم وفاتـــــه نجوم سماء خرّ من بينها البـــدر

فتى سلبته الخيلُ وهو لها حمـى وبَزّته نارُ الحرب وهي لها جمـــر

ثم يترحم عليه في نهاية القصيدة ويتمنى لقبره السقيا :

سقى الغيث غيثا وارت الارض شخصَه وان لم يكن فيه سحاب ولا قطـر

ومن صور البطولة البطولة في شعر الرثاء ما قالها سَلَمة الجُعْفي في رثاء أخيه فذكـــر بعض خصاله الحميدة • فقد كان شجاعا مقداما وفارسا لا يشق له غبار ويدعو الشاعر في أول مقطوعته بالويل على نفسه بسبب صبرها وجلدها وعدم ابداء الحزن والجزع على فارس قضى • ولذا تراه يلوم نفسه على هذا الفعل يقول : (١)

أقوم لنفسي في الخلاء ألومهـــا لك الويلُ ما هذا التجلد والصبـــر

ألم تعلمي أنّ لستُ ما عشت لاقيـا أخي إذ أتى من دون أوصاله القبـــر

وكنت أرى كالموت من بين ليلـــة فكيف ببين كان ميعاده الحشـــر

ومما خفف وجده وقلقه أنه ذاهب في أثره ، وان طال به العمـــر :

وهوّن وجدى أنني سوف أغتـــدى على إثْره يوما وان نُفّس العمـــر

ويبرز بعض صفات هذا المرثي • فقد كان يجيب دعوة الداعي ، والمحتاج فيذبح للأضياف ، وكـان يتقرب الى أصدقائه اذا أيسر ، ولكنه اذا افتقر ابتعد حتى لا يشعر أحد بـــه :

فتى كان يعطي السيف في الروع حقـه اذا ثوب الداعي وتشقى به الجُـزّر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقـــه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقـــر

ففي هذه المقطوعة تبدو القيم الاسلامية واضحة كل الوضوح • فالشاعر ـ كما ذكر الفضل ـ صبور متجلد مؤمن بأن الموت حق على كل الناس ، مما هون مصابه بأخيـــه •

١ـ حماسة أبي تمام ج ٣/٩٧ ، والحماسة البصريـــة ب ج ١/٣٧ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثـا : البطـــل الكريـــم :

لعل أهم ما يميز صورة البطل الكريم في العصر الاسلامي هو نزوعها الى الخير والتصـــدق والبذل نزعة اسلامية خالصة قائمة على أسس وقواعد ثابتة واضحة بيّنها القرآن الكريم والســـنـــة النبويّة الشريفة ، في حين نزع الشاعر الجاهلي في تشكيل صورة الكرم منزعا انسانيا تحكمـــه الفطـــرة .

والاشارات والدلالات الواردة في شـعر الكرم والجود هي اشارات اسلامية مما ستوضحـــه القصائد والمقطوعات الشعريـــة .

فمن الصفات الحميدة التي يتحلى بها البطل المسلم الكريم احترام الضيف فهو ينـــزل ضيفه منزلا يليق به ، وينحر له فيطعمه . وهذه خصال تربى عليها الأبطال المسلمون . ولا يختلـــف الوقت الذي يذبح فيه البطل ويجود به على المحتاج والضيف عن الوقت الذي يفعل فيه الجاهلـــي الفعل نفسه ، فهو يتخير زمنا فيه عسرة وجود وقحط ، أو ليلة باردة شاتية ، كأن تكون احـــدى ليالي جمادى بحيث لا يستطيع الكلب أن يبصر أعمدة البيت ويستنبح هذا الكلب حتى يسمعـــه المدلج والتائه ليـــلا .

وقد تبدت هذه المعاني في قصيدة مرة بن محكان التميمي ، الذي يحث زوجه علـــى اعداد القرب والطعام للأضياف ، يقـول [1] :

يا ربة البيت قومي غير صاغـرة	ضمّي اليك رحال القوم والقربـــا
في ليلة من جمادى ذاتِ أندية	لا يُبْصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غيرَ واحدة	حتى يَلُفّ على خيشومه الذنبـــا

ومشاورة الزوجة في أمر الأضياف أمر حرص عليه بعض الشعراء ، فابن محكان يستشير زوجه حـــول المكان المناسب للضيفان ويطرح عليها عدة أماكـــن :

ماذا ترين ؟ أندنيهم لارحلنـــا	في جانب البيت ؟أم نبني لهم قُبَبا ؟
لِيُرْمِل الزاد معني بحاجتـــه	من كان يكره ذمّا أو يقي حسبـــا

١- حماسة أبي تمام ج ٤/٢٢٣ .والحماسة البصرية ب ج ٢/٢٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقمت مستنبطا سيفي فأعرض لـــي ... مثل المُجادل كوم بُرّكت عُصَبَـــا

فصادف السيف منها ساق مُتْلِيَـــة ... جَلْسٍ فصادف عنه ساقها عطبـــا

زيّافة بنت زياف مذكّـــرة ... لمّا نعوها لراعي سرحنا انتحبـــا

وجرت العادة أن يطعم الجواد ضيفه قبل أولاده :

وقلت لمّا غدوا أُوصي قعيدتَنَـــا ... غَدّي بنيك فلن تَلْقِيهم حَقَبَـــا

ثم يفتخر بنفسه بعد كل هذا وبأخواله فهو ينتمي اليهم :

انـي ابن محكان أخوالي بنو مطـــر ... أُنْمَى اليهم وكانوا معشـرا نُجُبـا

ويرتبط استنباح الكلاب عند الشعراء بايقاد النيران ، فاشعالها علامة تهدى المدلجين في الظلماء الى دار الرجل الكريم ، يقول حَمّاس بن ثامل (١) :

ومستنبحٍ في لُجّ ليل دعوتـــه ... بمشبوبة في رأس صمد مقابـــل

وقلت له أقبل وانك راشـــد ... وان على النار الندى وابن ثامل

ويرتبط استنباح الكلاب بايقاد النار في الليلة الباردة ، يقول أحدهم (٢) :

ومستنبحٍ تهوى مساقط رأسـه ... الى كل شخص فهو للسمع أصْوَر (٣)

يُصَفِّقه أنف من الريح بـــارد ... ونكباءُ ليل من جمادى وصرصـر

حبيب الى كلب الكريم مُناخـــه ... بغيض الى الكوماء والكلب أبصر

حضأت له ناري فأبصر ضوء هـــا ... وما كاد لولا حضأة النار يبصـر

فلما أضاءت شخصه قلت : مرحبـا ... هلم وللمّالين بالنار أبشـروا

فجاء ومحمود القرى يستفـــزه ... اليها وداعي الليل بالصبح يصفر

ففي الأبيات اشارات الى كثير من السجايا الاسلامية كالترحيب بالضيف ، وانزاله منزلة رفيعة مكرما .

١- حماسة أبي تمام ج

٢- حماسة أبي تمام ج ١٨/٤

٣- الأصور : المائل ، اللسان ، مادة صور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة عادات أحبتها العرب منها أن اكرام الضيف حق سواء كان الضيف قريبا أو غريبا وأن الجواد يظل موجّبا ضيفه حتى يفارق القبيلة • وفي ذلك يقول مضرس بن ربعي : (١)

اني لأدعو الضيف بالضوء بعدما ... كما الأرض نضاحُ الجليد وجامده

لأكرمه ان الكرامة حقه ... ومثلانِ عندى قربه وتباعده

أبيت أُعشّيه السَّديف وانني ... بما نال حتى يترك الحي حامده

وتبدو الصورة أكثر وضوحا ، وأكثر عمقا في مقطوعة النمرى : منصور بن الزبرقان من شعراء العصر العباسي • فقد جعل ضيفه يغالب السرى وتغالبه عن نفسه ويصارعها عنها ويدفعها، يقول(٢) :

وداعٍ دعا بعد الهدوء كأنما ... يقاتل أهوال السرى وتقاتله

وهذه الحال من مقارعة المخاطر لا بد أن تجبر صاحبها على الاستغاثة بالناس • وقد بدا الشاعر منطقيا في طرحه اذ لا بد أن تصبح حال المرء على هذا النحو في مثل هذه الظروف فرب مناد نادى لمن يؤويه ويطعمه بعد سكون الليل ونوم الناس وهو في أشد حال حتى كأنه يتقاتل مع السرى نادى وهو في هذه الحالة التي تشبه الجنون ، وما كان به من جنون ، وانما فعل ذلك رجاء أن يشفق عليه من يسمعه فيخلصه ما فيه ، وحينما سمع الرجل صوته نادى جهته بصوت رجل كريم الأصل طيب الأخلاق ، فاستحمل جميع الأسباب التي توصله الى بيته بأن أضرم النار زيادة ليشتد نورها فيراه بسببه ، وأخرج كلبه لينبح فيسمع صوته فيهتدى اليه :

دعا بائسا شِبْهَ الجنون وما به ... جنونٌ ولكن كَيْدَ أمر يحاوله

فلمّا سمعت الصوت ناديت نحوه ... وأخرجت كلبي وهو في البيت داخله

ويرسم الشاعر صورة أخرى في جانب آخر وهو ردّ فعل الضيف فقد كبر الله وطمأن قلبه الذى كان غارقا في الهموم :

فلمّا رآني كبّر الله وحده ... وبشر قلبا كان جمّا بلابله

وقد رحب به ، وأخبره بأنه اهتدى الى غايته :

فقلت له :أهلا وسهلا ومرحبا ... رَشِدْت ولم أقعد اليه أسائله

١- حماسة أبي تمام ج ٤/٢٢٥.

٢- المصدر السابق ج ٤/٢٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن رحّب به لفترة بسيطة ، لم يسأله فيها من أين جاء والى أين يذهب ، قام الى جماعة من كرائم الابل كان ادخرها لما يجب عليه من حق النازلين به من الأضياف ، وحمل سيفا اذا لمس أسفل غمده الأرض خططها ، وعلّمها ، وحمائل هذا السيف لم تطل عليه لأن قامته طويلة وطول القامة ممّا تمتدح به العرب :

وقمت الى بَرْك هجان أُعدّه ... لوجبة حق نازل أنا فاعله

بأبيضَ خطّت فعله حيث أدركت ... من الأرض لم تخطل عليّ حمائله

فجال قليلا واتقاني بخيره ... سناما وأملاه من النيّ كاهله

بقرم هجان مصعب كان فحلها ... طويل القرى لم يَعْدُ أن شُقّ بازله

فخر وظيفَ القرم في نصف ساقه ... وذاك عقال لا ينشّط عاقله

ويبيّن أن هذه الأفعال الحميدة ليست مستحدثة فيهم ، وانما ورثها من أبيه ، وهو بدوره ورثها عن آبائه :

بذلك أوصاني أبي وبمثله ... كذلك أوصاه قديما أوائله

والشواهد على نزوع الأبطال هذا المنزع في التعامل مع الضيفان كثيرة في كتب الحماسة ، ولا سيما في باب الأضياف والمديح عند أبي تمام .

وقد يختلف البطل الكريم مع زوجه في هذي السبيل . فهي تحاول جاهدة منع زوجها من اطعام الفقير والمحتاج ، وتعدّ فعله ضربا من الاسراف والتبذير في غير ما وجه حق . وزوجها لا يلقي لها بالا ، لأنه يرى الأمر على غير ما تراه . فالبخل والامساك - في تقديره - يورثان المرء الذم . وفي ذلك يقول سَوادة اليربوعي [١] :

ألا بكرت مَيٌّ عليّ تلومني ... تقول : ألا أهلكت من أنت عائله

ذريني فان البخل لا يُخلدالفتى ... ولا يُهلك المعروفُ من هو فاعله

فسوادة يخاطب زوجته خطابا لا غلظة فيه ، خطاب المتأدب ذى الخلق الاسلامي الحسن ، ويقول يزيد بن الجهم الهلالي [٢] :

١- حماسة أبي تمام ج ٤/ ٢٥١.

٢- المصدر السابق ٤/ ٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أمرت بالبخل أمّ محمـــــد ... فقلت لها : حُثّي على البخل أحمـدا

فاني امرؤ عودت نفسي عـــــادة ... وكل امرىء جارٍ على ما تعـــــودا

أحين بدا في الرأس شيباوأقبلـــت ... الي بنو عيلان مثني وموحـــــدا

رجوت سِقاطي واعتلالي ونبوتـــي ... وراءكِ عني طالقا وارحلي غـــــدا

فيزيد بن الجهم لم يرض عن فعل زوجه التي أرادت سقوطه واعتلاله وبعده عن الطالبين عطـــاءه ولم يوافقها ما يصنعه من الكرم ، ورأى أن يطلقها وأن ترحل عنه ، فذلك أهون عليه من قـــول تتقولـــه .

وممن قال في هذا المعنى عبدالله بن الحشرح ، فقد استعجلت أم سلم عليه باللـــوم لانه يبذل ويعطي ، ويتمنى لو أنها تمتنع عن اللوم ، لأن لومها اياه يزيده اصرارا على العطـــاء وقد بيّن أن ما يبذله من المال الذي ورثه عن آبائه صونا وحفظا للعرض ليس اسرافا ولا تبذيـــرا وفسادا ، يقـــول : (١)

ألا بكرت تلومك أم سلـــــم ... وغيرُ اللوم أدنى للســـــداد

وما بذلي تِلادي دون عرضـــي ... باسراف أميمَ ولا فســـــاد

ويصف نفسه بذالا للمال قائلا : اقسم بأبيك أني لا أعاشر الصديق وأعطيه مكاشرتي مانعا عنه مالـي ولكني رجل أجرى في البذل والجود جرى الفرس الجواد ، ولا أفعل ذلك الّا لحفظ شرفي ، ومراعـاة مكارم آبائـي :

فلا وأبيك ما أعطـي صديقـي ... مكاشرتي وأمنعه تـــلادي

ولكنّي امرؤ عوّدت نفســـي ... على علّاتها جَرْيَ الجـــواد

محافظةً على حسبي وارعـــى ... مساعي آل وَرْدٍ والرَّقـــاد

ويقول رجل من بني سعـــد (٢) :

ألا بكرت أم الكلاب تلومنـــي ... تقول : ألا قد أبكأ الدرَّ حالبـــه

تقول :ألا أهلكت مالك ضلّـــة ... وهل ضلة أن ينفق المال كاسبـــه

ويكمل الكرم ويزينه الخلق والمروءة ، وهما صفتان مستحبتان . فمؤاخاة الكرام ، وحمدها ، واتيـان

١- حماسة أبي تمام ج ٤/٢٥٧ ٢- المصدر السابق ج ٤/٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهل الفضل بالمروءة ، وصلتهم ، ومصاحبتهم من الأمور التي حرص الكرام عليها ، وفي ذلك يقول عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب : (١)

واذا صاحبت فاصحبْ ماجدا ذا عفاف وحياء وكرم

قوله للشيء : لا ، ان قلب :لا واذا قلت :نعم، قال :نعم

وتتبدى في دالية المقنع الكندى المشهورة صورة البطل المثال في الكرم والجود ، وعفة النفس، والتسامح والصفح والحفاظ على صلة الرحم والأقارب ، والحفاظ على حقوق قومه ومكتساتهم . وقد جوّد في قصيدته مما جعلها أكثر علوقا في النفس ، وأكثر وقعا . فقد عاتبه قومه بسبب ديونه الكثيرة ولم يعلموا أن هذه الأعباء التي يتكلّفها تكسبهم الحمد والثناء لأنه يبذلها في أمور الخير . وقد صان ببذل هذه الأموال أعراضهم ، ووقى مهجهم من حوادث يصعب زوالها ، يقول (٢) :

يعاتبني في الدين قومي وانما ديونيَ في أشياءَ تكسبهم حمدا

أَسدُّ به ما قد أخلوا وضيعوا ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا

ويبيّن أنه مما بذله من المال ما كان فيّ اطعام الاضياف وفي فرس قوى كريم جعله نصب عينه ، وأكبر همّه ، وفي عبد جعله خادما له في تدبير شؤونه :

وفي جفنة ما يُغْلَق الباب دونها مكلّلةً لحما مدفقة ثَرّدا

وفي فرس نهد عتيق جعلته حجابا لبيتي ثم أخدمته عبدا

وأما الخلاف الذى نشب بينه وبين أبناء عمومته فسببه تباين الطباع . فخليقة المقنع تحمله على فعل الخيرات ، فهي تباين أخلاق أقاربه مباينة شديدة :

وان الذى بيني وبين بني أبي وبين بني عمّي لمختلف جدا

ورغم هذا التباين ، وهذا الرفض من أقاربه الاّ أنه يصفح ويتسامح ، فان نمّوا عليه ، لم يقابلهم بمثل ما فعلوا ، فهو يداريهم ويواصلهم ، وان حسدوه وهدموا شرفه سعى في بناء شرفهم ، وان فعلوا في غيبة خلاف رضاه فلا يفعل معهم سوى ما يرضيهم ، وان مالوا الى تحريفه عن الصواب مال الى ارشادهم اليه ، وان ارادوا به شرا أراد بهم خيرا . وهذه صفات الرجل المسلم الذى يصفح

١- حماسة البحترى ، ص ٠٧٦

٢- حماسة أبي تمام ج ١٧١/٣، وحماسة البحترى ص ٣٨٠ ، والحماسة البصرية أج ١٧٦/١ ، والتذكرة السعدية ص ٠٢٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن زلّات الآخرين ، يقـول :

فان أكلوا لحمي وفرت لحومهـــم وان هدموا مجدى بنيت لهم مجـدا

وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهـم وان هم غووا غيبي هويت لهم رشـدا

وان زجروا طيرا بنحس تمرّ بـي زجرت لهم طيرا تمرّ بهم سعـدا

والى جانب ذلك كله فهو لا يحقد عليهم ، فرئيس القوم -كما يقول- لا ينبغي له أن يحقد علـى أحـد :

ولا أحمل الحقد القديم عليهـم وليس رئيس القوم من يحمل الحقـدا

ويتجلى كرمه وجوده في بذله المال لهم ، فكلما ازداد مالا ازداد بذلا ، ولكنه ان قلّ ماله لا يميـل اليهم طالبا عطاء ولا صلة :

لهم جل مالي ان تتابع لي غنـى وان قلّ مالي لم أكلفهم رفـدا

ويظهر تواضع المقنع الكندى في خدمته ضيفه بنفسه كخدمة العبد لسيّدة ، وهو لا يفضل نفسه على العبد ، وانما يتساوى معه ، وهذه خصلة من الخصال التي حث الاسلام عليها :

واني لعبدالضيف ما دام نـازلا وما شيمة لي غيرها تشبه العبـدا

والمقنع الكندى متأثر بالقرآن الكريم ، ومتمثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم" لا فرق بيـن أبيض وأسود الاّ بالتقوى " . وقد رأى التربويون وأهل الأدب والبلاغة في هذه القصيدة كل الصفـات والخصال الحميدة فدرّسوها للناشئة والمتعلمين والمتأدبين لنفاستهـا .

ولم يقتصر الشعراء على تسجيل بطولات أجواد المسلمين وهم في الأحياء بل سجّلـوا بطولاتهم وهم في الموتى أيضا . وقد نزعوا في هذا الى قيم اسلامية خالصة أهمها الدعوة الـى الكف عن البكاء والدعوة الى التجلد والصبر ، لأن الموت حق على الناس غنيّهم وفقيرهم ، وتتبدى هـذه القيم في مقطوعة الحريث بن زيد الخيل . فقد بيّن أن المرثي أوس بن خالد كان ملجأ القوم عنـد الجدب ، وانقطاع نزول المطر ، يقـول :[1]

ألا بكر الناعي بأوس بن خالـد أخي الشتوة الغبراء والزمن المحـل

فان يقتلوا بالغدر أوسا فانني تركت أبا سفيان ملتزم الرحـل

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٣٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وواجب المسلم أن يخفف عن أهل الميت مصابهم. لذا فان الشاعر يعزى أم أوس طالبا منها ألاّ تجزع ، وانما أن تتجلد لأن الموت يصيب كل الناس على اختلافهم :

فلا تجزعي يا أم أوس فانه ... تصيب المنايا كل حاف وذي فعل

ولو الأسى ما عشت في الناس ساعة ... ولكن اذا ما شئت جاوبني مثلي

والمرثي - وان غيّب في القبر - خالد في نفوس الناس بكرمه وجوده في وقت يحل القحط والجدب بالناس ، وثواب الكريم عند الله - في زمن الجدب - أعظم وأكبر . ينضاف الى هذه الخصال خصال أخرى تكمل صورة البطل الكريم المرثي منها الشجاعة والثبات عند المكروه ، وأخذ الحق من مغتصبه ورده الى صاحبه . وقد وقف العجير السلولي على بعض هذه الخصال ، حين رثى ابن عمه فبيّن أنه كان ملجأ للأضياف حتى صار كالأب لهم في ليلة تهب الصبا عند طلوع شمس يومها مدفونا بمر . وقد حزنوا لفقده فما عارضه خصم الاّ وأرداه ببأسه القوى ، يقول [١] :

تركنا أباالأضياف في ليلة الصّبا ... بمر ومردى كل خصم يجادله

وابن عمه الملقب بأبي الأضياف رجل كريم عظيم ، فكان اذا حلّ في حيّ أصابه القحط أسرع القحط الى الخروج منه لعلمه أنه قاتله ، وهو فتى شجاع ثابت عند المكروه تام الخلق غير ضعيف ، ولا متخشع ولا مسترخي العروق والاعصاب ، فهو كامل القوة .

تركنا فتى قد أيقن الجوع أنه ... اذا ما ثوى في أرحل القوم قاتله

فتى قدّ قدّ السيف لا متضائل ... ولا رَهِل لَبّاته وأباجله

واذا ما اجتهد أعجبك اجتهاده ، وان مزح ألهاك مزاحه ، ينضاف الى ذلك أنه معين للناس ، فهو يأخذ بيدك اذا كنت مظلوما ، ويعينك اذا كنت ظالما :

اذا جد عند الجد أرضاك جده ... وذو باطل ان شئت ألهاك باطله

يسرّك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حَمّلْتَه فهو حامله

واذا نزل الأضياف بساحته يسيء خلقه على خدمه وأصحابه حتى ترتفع القدور على النار تعجيلا لقراهم :

اذا نزل الاضياف كان عَذُوّرا ... على الحيّ حتى تَسْتَقِلّ مراجله

ورثى محمد بن بشير الخارجي رجلا يدعى سائبا ، وكان كريما يقصده طلاب المعروف ، وكان اذا لا ذبه

١- حماسة أبي تمام ج٢/٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحدهم ، وأقام ببابه لم تزده الاقامة الا محبة فيه غير مبغض لعيشه، ولم يخرج عنده الّا مقضّي الحاجة غير خائب ، يقول (١) :

طلبتُ ولم أدرك بوجهي وليتني ... قعدت فلم أبغ الندى بعد سائب

ولو لجأ العاني الى رَحْل سائب ... ثوى غيرَ قالٍ أو غدا غيرَ خائب

أقول وما يدري أناس غدوا به ... الى اللحد ماذا أدرجوا في السبائب

ويختم هذه المقطوعة بحكمة يبدو فيها متأثرا بالقرآن الكريم وهي أن المرء مهما طال العمر به لا بد أن يرد الموت ، يقول :

وكل امرىء يوما سيركب كارها ... على النعش أعناق العدا والأقارب

ويعجب الحسين بن مطير - وهو يرثي معن بن زائدة - من مواراة القبر له ، وكيف وسع ذلك الجود المتدفق الذي شمل الارض كلها ، وهو حفرة صغيرة عنه ، ويبيّن الشاعر أن معنا قد ترك من الذكر الحسن ما أبقاه حيا في نفوس الناس ، وهذه خصال الانسان المسلم ، يقول : (٢)

ألمّا على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مَرْبعا ثم مربعا

فيا قبر معن أنت أول حفرة ... من الأرض خُطّت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جودَه ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجودوالجودميت ... ولوكان حيّا ضقت حتى تصدعا

ومعن فتى حيّ بذكر جوده لأنه ترك ما أبقاه حيّا على طول الدهر كالسيل الذي اذا ذهب ترك الأرض معمورة بالنبات ، وحين مضى مضى الجود معه :

فتى عِيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولمّا مضى معن مضى الجود فانقضى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال أشجع السلمي في هذا المعنى : (٣)

أنعى فتى الجود الى الجود ... ما مثلُ من أنعى بموجود

أنعى فتى مصّ الثرى بعده ... بقية الماء من العود

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٣٠٢.

٢- حماسة أبي تمام ج ٢/٣٩٠، وحماسة ابن الشجري ج ١/٣٩١،والحماسة البصرية ب ج ١/٢٠٩.

٣- حماسة أبي تمام ج ٢/٣٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعـــا : البطل الصبـــور :

لعل أهـم ما يميز البطل المسلم الصبور هو ايمانه بالله ورسوله ... والقضاء والقـــدر، وأن مردّ كلّ شيء الى الله . فالمسلم يحمد الله في السّراء والضّراء .

والصبر على الشدائد في أيام القتال صورة متميزة من صور البطولة ، وقد تبدّى ذلك فـي مقطوعة شاعر من شعراء بني أسد في يوم اليمامة وذلك حين ناجى نفسه وخاطبها طالبا منها الصبـر اذ الوقت وقت الصبر ، وليس ثمة مكان للاشفاق ، وانما **طلب** من النفس أن تصبر في ذلك الوقت لأن مـن يثبت في الحرب الى **انكشاف** الحال ، وانجلاء الغمة فقد أعطاها حقها ، يقول (١):

أقول لنفسي حين خود رألهـــا (٢) مكانك لمّا تشفقي حين مشفـــق

مكانك حتى تنظرى عم تنجلـــي عماية هذا العارض المتألـــق

ويقول جزء بن ضرار في هذا المعنى (٣) :

وَحُدّثت قومي أحدث الدهر فيهـــم وعهدهُمُ بالحادثات قريـــب

فان يك حقا ما أتاني فانهـــــم كِرام اذا ما النائبات تنـــوب

وتتبدى صورة البطل الصبور جلية واضحة في قصيدة ابراهيم بن كنيف النبهاني . اذ تبدو فيها القيم الاسلامية التي تحث على الصبر أكثر وضوحا . فصروف الأيام وتقلّبها ، وتغيّر الزمان من حال الـى حال مدعاة للصبر والشاعر النبهاني وطّن نفسه على الصبر لأنه للرجل الكريم أحسن وأولى مـــن التخشع فيما لا يحسن الخضوع فيه . ويبيّن أنه لو كان في الجزع منفعة لما كان يحسن ، وكـــان الصبر أحسن منه ، يقـول (٤) :

تعزّ فان الصبر بالحرّ أجمـــل وليس على رَيْب الزمان معـــوّل

فلو كان يغني أن يُرى المرء جازعا لحادثة أو كان يغني التذلّـــل

١- حماسة أبي تمام ج ١/٣٤٣.

٢- الرأل : فرخ النعام ، اللسان ، مادة رأل .

٣- حماسة أبي تمام ج ١/٣٢٥.

٤- حماسة أبي تمام ج ١/٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكان التعزّي عند كلّ مصيبة ونائبة بالحر أولى وأجمل

وقد ترسّخت في نفس الشاعر فكرة الحياة الفانية ، وأن ليس لأحد أن يجاوز ما قدّره الله عليه :

فكيف وكلّ ليس يعدو حِمامه وما لامرىء عمّا قضى الله مَزْحل

فما ليّنت منّا قناةً صليبة ببؤس ونعمى والحوادث تفعل

وقد غلبت الحكمة على هذه القصيدة فبدت أكثر جودة .

ويرتبط الصبر بالحكمة والنصح ، ويبدو ذلك جليّا في مقطوعة محمد بن بشير الخارجي اذ يقول : (١)

ان الأمور اذا انسدّت مسالكها فالصبر يفتق منها كلّ ما ارتتجا (٢)

لا تيأسنّ وان طالت مُطالَبة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرّة زلجا

ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربّما كان بالتكدير ممتزجا

خامسا : البطل الحليم :

لعلّ اثبات تقدمة لصور البطولة هذه يعدّ ضربا من الفضول ، وحسب البحث أن يلج الى القضايا التي تناولتها المقطوعات الشعرية ، ويعرض الشواهد الشعرية الدّالة مراعيا مناقشة القضايا ومحاورتها . ويعذر في هذا المقام الفصل بين الصور اذ تتداخل جميعا في الشعر ، ونادر أن تجد مقطوعة شعرية تتناول قضية من قضايا المروءة والخلق والصفح وعزة النفس والاباء منفصلة فالعفّة وعزة النفس فضيلتان حثّ عليهما الاسلام ، ورغّب فيهما . وقد تبدّتا واضحتين في مقطوعة عقيل بن علّفة المرّى فهو لا يكلم جاراته ، ولا يتحدث اليهن وأزواجهن غائبون عن بيوتهم ، ولا يحدر عن بيت جاره ونفسه تدعوه الى ريبة كما تدعو طالب الماء الى وروده يقول (٣) :

ولست بسائل جارات بيتي أغيّابٌ رجالك أم شهود

ولست بصادر عن بيت جاري صدور العير غمّره الورود

١- حماسة أبي تمام ج ٣/١٦٦ . والحماسة البحرية ب ج ٢/٢، والتذكرة السعدية ص ٢٨٥ .

٢- ارتتجا : انغلقا ، اللسان ، مادة رتج . ٣- حماسة أبي تمام ج ١/٣٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا مُلْقٍ لذي الودعات سوطـــي ألاعبه وريبته أريـــــد

ويحرص من حسن اسلامه على نزع الضغائن والأحقاد ، وصغائر الأمور لأنها تورث المرء سوء الخلق وسوء العاقبة ، فتراه يصفح عمّن أساء اليه ، ويؤانسه ، ويواسيه بأن يعطيه المال ، ويعرض عن زلّاته حتى تظل أواصر المودة قائمة بينهما . وقد قيل في هذه المحمدة شعر كثير يتعذر اثباته كاملا . وحسب الدارس أن يقلّب بابي الحماسة والأدب ففيهما توسعة ، ويكتفي الفصل ببعض الشواهد الدّالة المعنية .فمحمدبن عبدالله الأزدي - على سبيل التمثل - لا ينفر ابن عمّه اذا انحرف عنه مهاجرا لي ومشى على جانب من المؤانسة ولا أنمم استيحاشه ، وان بلغتني الدواهي عنه ، ولكنه يعينه ، ويعطيه من ماله ما يرضيه ، ويعرض عن زلّاته وهفواته حتى تردّه الى الاسباب التي تبعث على تجدّد المودة ، وتدعو الى المحبة ، يقول : (١)

لا أدفع ابن العمّ يمشي على شفا وان بَلَغتني من أذاه الجنادع

ولكن أُواسيه وأنسى ذنوبه لترجعه يوما اليّ الرواجع

ويتجلّى صفح المسلم عن أخيه في الاحسان اليه وان أساء الصنيع ، يقول معن بن أوس : (٢)

وان سؤتني يوما صفحت الى غد ليعقب يوما منك آخر مقبل

واني على أشياء منك تَريبني قديما لذو صفح على ذاك مجمل

وفي الأرض ان رَثّتْ حبالك واصل وفي الأرض عن دار القلى مُتَحَوَّل

ففي الأبيات حكم بالغة تصدر عن مجرب عركته الأيام ، وترتبط الحكمة بالصفح وهما صفتان مترابطتان في الأغلب ، ويتبدى هذا الربط في أبيات سالم بن وابصة اذ يقول : (٣)

اذا شئت أن تُدعى كريما مكرّما أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرّا

اذا ما أتت من صاحب لك زلّةٌ فكن أنت محتالا لزلته عذرا

غِنى النفس ما يكفيك من سد خُلّة فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

وتبدو ميميّة معن بن أوس المشهورة أكثر غناء بقيمها الاسلامية الحميدة . فقد جمعت فضائل كثيرة كالصبر والحلم والصفح وعفة النفس ، فضلا عن غنائها بالحكم اللطيفة يقول

١- حماسة أبي تمام ج ١/ ٣٨٠، وحماسة البحتري ص ٣٩٠ ، والحماسة السعدية ص ٢٩٨.

٢- حماسة أبي تمام ج ٣/ ١٣٢.

٣- حماسةأبي تمام ج ٣/ ١٤٥، والتذكرة السعدية ص ٢٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهـا [١] :

وذى رحم قلّمت أظفار ضغنـــه ... بحلميَ عنه وهو ليس له حلـــم
يحاول رغمي لا يحاول غيـــره ... وكالموت عندي أن يحل به الرغم
وان أعفُ عنه أُغضِ عينا على قـذى ... وليس له بالصفح عن ذنبه علـــم
وان انتصر منه أكن مثل رائـــش ... سهام عدو يُستهاض به العظـــم
ويشتم عرضي في المُغَيَّب جاهـدا ... فليس له عندي هوان ولا شتـــم
ويسعى اذا أبني ليهدم صالحـــي ... وليس الذي بيني كمن شأنه الهدم

الى أن يقـول :

فأبرأت غلّ الصدر منه توسّعـــا ... بحلمي كما يشفي بالأدوية الكلـم
وأطفأت نار الحرب بيني وبينـه ... فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلـم

والوفاء للأصحاب سمة أخرى من سمات البطل صاحب المروءة والخلق ، وكذلك تقديم المعـــروف لهم ، يقول يحيي بن زيـاد : [٢]

أقدّم معروفي الى كلّ طالـــب ... وَيُعرف في يوم اللقاء تقدمـــي
وأرهنَ نفسي بالوفاء لصاحبـــي ... فمن دون غدري أن تُغَيَّبَ أعظمي

وثمة الانصاف واعطاء الحق للضعيف ، وأخذه من القوى ، يقول أوس بن تميم : [٣]

ألم تعلمي أمّ الجلاس بأننـــا ... كرام لدى وقع السيوف الصـوارم
وانّا لنعطي الحقّ منّا وانننـــا ... لنأخذه من كل أبلج ظالـــم

ويقول المخبّل السعدى في هذا المعنى : [٤]

وانّا لنعطي النصف من لو نقيمـه ... أقرّ ونأبى نخوة المتظلّـــم

وتتبدى صورة المؤمن المطمئنة نفسه الى الخير ، المؤمنة بالله مفرجا للكروب ، والمؤمنة بالقضـــاء والقدر في أبيات عبدالله بن الزبير اذ يقـول [٥] :

١- حماسة البحترى ص ٣٨٢ ، ٣٨٣.
٢- المصدر السابق ص ٢١٧.
٣- المصدر السابق ص ٢٤٤.
٤- المصدر السابق ص ٢٤٣
٥- حماسة أبي تمام ج ٣/١٦٤. وحماسة البحترى ص ١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا جعل الله قلبي حين ينزل بـي ... همّ تضيّفني ضيفا ولا حرجـا
لا أحسب الشر جارا لا يفارقنـي ... ولا أُحُزّ على ما فاتني الودجا
ولا تراني على ما فات مكتئبـا ... ولا تراني الى ما قِيد مبتهجا
وما نزلت من المكروه منزلـة ... الاّ وَثِقْت بأن ألقى لها فرجا

وتمثل قصيدة يزيد بن الحكم الثقفي في وعظ ابنه بدر صورة البطل الحكيم تمثيلا موفقا . فقد لاقت هذه القصيدة استحسان أهل الأدب ، وشيوخ العلم والمربين ، فحرصوا على تحفيظها ، وتدريسها للناشئة لنفاستها ، يقول منها [١] :

يا بدر والأمثال يضـ ... ربها لذى اللب الحكيم
دم للخليل بـودّه ... ما خير ودّ لا يـدوم
واعرف لجارك حقّـه ... والحقّ يعرفه الكريـم
واعلم بأن الضيف يـو ... ما سوف يحمد أو يلـوم

ويعلمه في القصيدة قضايا كثيرة منها أن الناس نوعان : المحمود والمذموم ، ويوصه بأخذ العلم وعدم الاعتداء على الناس ، وحسن التعامل مع الناس ، والاعداد للحرب وغير ذلك ، والقصيدة ذائعة يمكن للدّارس أن يعود اليها كاملة في حماسة أبي تمام [٢] فهي حافلة بالقيم الاجتماعية الكثيرة التي تكشف عن عمق ثقافة صاحبها ، وكثرة تجاربه في الحياة .

والقصائد والمقطوعات التي تتحدث عن الحلم والحكمة كثيرة ولا يتسع المقام هنا لايرادها . منها قصيدة محمد بن أبي شحاذ الضبي [٣]، ومقطوعة سالم بن وابصه [٤] ، وأخرى لمضّرس بن ربعي [٥]، ورابعة لحسان بن ثابت الأنصارى [٦].

١- حماسة أبي تمام ج ٣/١٧٩ .
٢- المصدر السابق ج ٣/١٨٠ .
٣- حماسة أبي تمام ج ٣/١٨٤ ، والتذكرة السعدية ص ٢٩٥ .
٤- حماسة أبي تمام ج ٣/١٥٦ .
٥- المصدر السابق ج ٣/١٧٤ .
٦- المصدر السابق ج ٤/٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادسا : البطل العاشق :

قلّ أن يرتبط شعر العشق بالفروسية في العصر الاسلامي في كتب الحماسة ، اذ لم يلق أصحاب كتب الحماسة بالا لمثل هذا الربط ، فخلت من مقطوعات شعرية تربط بينهما الا من ثلاث مقطوعات : الأولى لوضّاح بن اسماعيل بن كلال الذى أفصح عن حبه لمعشوقته أثيلا • فقد مال قلبه اليها والى رؤيتها ، وحال خيالها بينه وبين نومه فبقي مترقبا هذا الخيال ، يقول (١) :

صبا قلبي ومال اليك ميلا ... وأرّقني خيالك يا أثيلا

ومحبوبته يمانية تجود بإلمام خيالها فاذا ألمّت أبدت دقيق محاسنها ممّا حوته العيون والأنف والاسنان والفم ، وسترت جليل محاسنها كالساعد والمعصم ، والفخذ والساق :

يَمانِية تَلمّ بنا فتُبدي ... دقيقَ محاسن وَتُكن غَيلا

ويتباهى الفارس العاشق أمام محبوبته ، فهو يحب أن تسمع عن بطولاته وشجاعته :

فإنك لو رأيت الخيل تعدو ... عوابس يتخذن النقع ذيلا

يخاطبها قائلا : لو رأيت هذه الخيل لرأيت على ظهورها أبطالا كالجن يأتون العدو من حيث لا يعلمون ، ويفيدون منهم الغنائم ، ويفيتونهم من أن ينالوا مثلها :

رأيت على متون الخيل جنّا ... تفيد مغانما وتفيت نبلا

والثانية لجعفر بن علبة الحارثي الذى قال قصيدته وهو في السجن يخاطب محبوبته ، ويؤكد لها أنه بطل قوى شديد • وأنه ليس خائفا من قيد أو موت ، فهواه مع الركبان المتجّهين الى اليمن وبدنه مأسور مقيد في مكة يقول : (٢)

هواي مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب وجثماني بمكة موثق

وهو يتعجب كيف قطعت المسافات الطويلة ، واجتازت حواجز السجن ووصلت الى مكاني مع أن باب السجن مغلق :

عجبت لمسراها وأنّى تخلّصت ... اليّ وباب السجن دوني مغلق

ألمت فحيت ثم قامت فودّعت ... فلما تولّت كادت النفس تزهق

١- حماسة أبي تمام ج ١٩٢/٢، والتذكرة السعدية ص ١١٥٠

٢- حماسة أبي تمام ج ٥١/١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوجه اليها خطابا واثقا يقول فيه : لا تظني أني تكلّفت الخشوع بعدكم لشيء عارض ، ولا أنـــي أخاف من الموت ، ولا أن نفسي يستخفها تهديد القوم الذين حبست لاجلهم ، ولا أنـي ضجـــرتت بالمشي في القيد . فهو يصف نفسه بالصبر على ما يلقاه من الشدائـد :

فلا تحسبي أنّي تخشّعت بعدكـم ... لشيء ولا أنّي من الموت أفـرق

ولا أن نفسي يزد هيبها وعيدكـــم ... ولا أنني بالمشي في القيدأفُـرَق

ولكن عرتني من هواك صبابـــة ... كما كنت ألقى منك اذ أنا مطلـق

ولكن الذى جعله على هذه الحال ما اعتراه في الهوى من عظيم شوق ، وجهد وصبابة كما كان يقاسي وهو مطلـق ،

أما المقطوعة الثالثة فهي لأبي عطاء السندى التي يقول فيها [١] :

ذكرتك والخطي يخطر بيننـــا : ... وقد نَهلت منّا المثقّفة السمـرُ

فوالله لا أدري وأنّي لصـــادق ... أداءٌ عراني من صبابك أم سحـرُ

فان كان سحرفاعذريني على الهـوى ... وان كان داء غيرّه فلك العـذرُ

وقد سار في هذه المقطوعة على نهج الشعراء السابقين ، فبدا متأثرا بعنترة العبسي . ومعنـــى الأبيات واضـــح .

وقد خلص الفصل - بعد أن عرض صور البطولة ، وحاول استجلاء جوانبها - الـــى النتائج التاليـــة :-

أولا : ان الرغبة في الوصول الى أعلى مراتب المجد ومكارم الأخلاق هدفان يسعى اليهمـــا الأبطال . فهم السبّاقون الى ذلك ، وهم المبرزون في كل ناد . وأن السيادة تظل فيهـم لا ينتزعها منهم أحد ، ولا يطاولهم فيها دخيل . وان هلك فيهم سيد حل مكانه سيد اخـر وفي ذلك يقـول السموأل : [٢]

١-

٢- حماسة أبي تمام ج ١/٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا سيّد مناخلا قام سيّـــــد قؤول لما قال الكرام معـــــوّل

وقد ظلّ هذا المعنى يزين قصائد الشعراء ، ومقطوعاتهم حتى صار ظاهرة من ظواهر الاعتزاز ، وصـــورة من صور الفخر ، يقول بشامة بن حزن النهشلي (١) :

وليس يهلك منّا سيّد أبـــــدا إلّا افتلينا غلاما سيّدا فينـــــا

ويقـــول أبو الطَّمْحان القينـــي : (٢)

وإني من القوم الذين هُمُ هُـــمُ إذا مات منهم سيّد قام صاحبـــه

وقد تردد مثل هذا المعنى عند جل الشعراء ولا سيما الفرسان لاعتقادهم بأن استكمال صورة البطـــل ، والحرص على استمرار وجوده في كيان القبيلة يشكلان النظرة الواعية الشاملة للإطار البطولي . وبقـــاء البطل حيّا في الوجود الإنساني يعني استمرار المجد ، والقدرة والعطاء التي تعد من مقومات حيـــاة القبيلـــة .

ثانيـــا : أما بذل النفوس في الحرب ، وإرخاصها ، فكانت في أعراف الفرسان حقيقة تلازمهم فـــي حياتهم مهما عظمت التضحيات . ولعل حرص الأبطال على تخليد الذكر الحسن فـــي نفوس الناس دفعهم إلى مثل هذه التضحيات ، ولا سيما عند اشتداد الأزمات يقـــول بشامة النهشلـــي (٣) :

إنّا لَنَرْخِص يوم الروع أنفسنـــا ولونُسامُ بها في الأمن أُغلينـــا

فالتوجه نحو الأعداء في الحرب ، وعدم الإعراض عنهم درس من دروس الحرب ، والثبات في الميدان ، ومواجهة الخصم ، والإيمان المطلق بالحق في كل قضية ، والإحساس بالدفاع عنهـــا ، والشعور بوحدة المصير خصال حميدة تنشدها الأمة في أبطالهـــا .

وقد حاول الشعراء ترسيخ مفاهيم البطولة المتمثلة في مقارعة الخصوم ، وتجـــاوز المواقف السهلة إلى المواقف الحاسمة ، وحاولوا رسم صورة واضحة المعالم تتوافر فيها عناصـــر الفروسية والنجدة ، والتضحية والجرأة ، والمروءة والكرم والعفّة والوفاء والصبر ، وكل الفضائل التـــي آمن بها المجتمع ، ودعا إلى التمسك بها ، لأنها تنبع من كيان الإنسان ، وتعيش في أعماقـــه

١- حماسة أبي تمام ج ١/٤٨، والتذكرة السعدية ص ٤٤.

٢- الحماسة البصرية ج ١/١٦١.

٣- حماسة أبي تمام ج ١/٤٨ ، والتذكرة السعدية ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر في قيمه وتقاليده ، وتتكامل صورة البطل حين يجسد معاني الكرم ، فيقرى الجائع ، ويفك العاني ، ويطعم المحتاج ، ويدفع الأذى عن كل مستجير ، ويدفع الظلم عن المظلوم ، ويعيد الحق الى أصحابه ، ولا يخون عهدا ، ولا يقطع وصلا ، ولا ينكث وعدا • ينضاف الى ذلك كله تحلّي الأبطال بالصبر في وقت الشدة ، واظهار رباطة الجأش في المحن والخطوب والنوازل • فهذه صفات أحبها الناس في أبطالهم ، ولذلك فقد كانت صورة الهزيمة والفرار من الميدان ، والبخل والامتناع عن تلبية نداء المحتاج ، والهجاء بكل صوره الرديئة ، وقطع صلات الرحم من الصور التي يأنفها الأبطال ، وينفرون بها ، ويخشون أن يوسموا بها لأنها تحمل معنى الذل وتوصل أصحابها الى المهانة •

ثالثا : وتمثل صور البطولة أيضا جانبا اخلاقيا واجتماعيا • فعروة بن الورد وحاتم الطائي وسوار بن المضرب ، وربيعة بن مقروم - على سبيل التمثل - يمثلون توجهات اجتماعية - فضلا عن توجهاتهم البطولية - تجسدت في نزوع الامة الى الخلود ، وتطلعها الى استيعاب الأسس العميقة للترابط الاجتماعي من أجل خلق شبكة علاقات جديدة في مجتمع متحاب • ومثل هؤلاء كان عمرو بن كلثوم ، ودريد بن الصمة ، وعامر بن الطفيل وعمرو بن معد يكرب الزبيدى ، والسموأل والحارث بن ظالم المرى ، وكل الابطال الذين حملوا شعار البطولة ، وصورة من صور ممارستها ، واتجاها من اتجاهات وجودها فحاتم الطائي رمز من رموز الكرم ، والسموأل أنموذج من نماذج الوفاء ، ورمز من رموز الدفاع عنه ، وظل موقفه - وهو يحتفظ بأدرع امرىء القيس رغم ما تعرض له من القسوة يوحي بالحرص على هذه القيمة النبيلة التي خلّدته •

رابعا : وقد ساهم الشعر - الى حد كبير في توضيح صور البطولة التي تمثل بها الشعراء وهم يستطيعون الموت من أجل الحياة ، وظل الشعر حافزا يدفع الأبطال الى القتال • فطبيعة التعبير ، وقوته ، واختيار الصور الأكثر وقعا جعلا القصيدة تأخذ طريقها الى الانتشار ، وتجد صداها في النفوس ، فجرت على الألسنة حاملة مجد الامة وتراثها وعمّقت في النفس بواعث الاعتزاز والفخار •

خامسا : وقد حرص البطل الجاهلي على أن يظل البناء القبلي قائما في كل الظروف • فالانتماء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للقبيلة ، والولاء لها أمران قال فيهما الشعر قولا بيّنا ، يقول دريد بن الصمة في هذا المقام (١) :

وهل أنا الاّ من عزيّة ان غوت غويت وان ترشد غزيّة أرشد

وحرص البطل كذلك على المفاخرة بالأنساب واعلاء شأنه .

سادسا : أمّا الاسلام فقد أقرّ بعضا من الصفات التي كانت في الجاهلية ، كالفروسية ، والجرأة والاقدام ، والكرم ، والصبر ، والحلم ، والمراءة ، وعزة النفس ، وغيرها ، مع اختلاف في التوجهات التي كان يصدر عنها الشعر في الاسلام سواء أكانت فكرية أم سلوكية أم قيمية . فقد وجّه الاسلام الشعر - حين عرض صور البطولة تلك - وجهة سليمة ، فألغى العصبيّات القبلية ، وأبطل الثأر ، وحارب التفاخر بالأنساب والأحساب وجعل ولاء الانسان لله ، وجعل البطل يصدر في كل حركاته ، وسكناته عن ايمان بالله وحده وقتل فيه حميّة الجاهلية ، ونخوتها ، أحل محلها سداد الرأى ، ورجاحة العقل ، وحسن التدبير ، وجعل جهاده في سبيل الله ، واضعا أمام عينيه احدى الحسنيين : اما الموت فالشهادة ، وامّا النصر بالعزة والكرامة .

١- حماسة أبي تمام ج ٣/٤٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثّالث

دراسة فنيّة

أ. الصّورة الشّعريّة
١. نمط البناء اللّغويّ.
٢. الأنماط البلاغيّة.
٣. الطّابع القصصيّ.
٤. الأوزان والقوافي.
ب. مواقف حضاريّة من صورة البطل
١. المرأة.
٢. الخيل.
٣. السّلاح.
جـ. خلاصة الفصل.
خاتمة البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيقدم هذا الفصل دراسة فنية لقضايا البطولة من خلال قضيتين هما : الصورة الشعرية وتتضمن نمط البناء اللغوى ، والأنماط البلاغية ، والطابع القصصي ، والأوزان والقوافي ومواقف حضارية من صورة البطل ، وتتضمن حديثا عن المرأة والخيل والسلاح ، يعقب ذلك خلاصة عامة للفصل ٠

أولا : الصورة الشعرية :

أ ـ نمط البناء اللغوى :

اللغة ـ ما لم ينتظمها سياق أدبي ـ هي مادة خام ، مثلها في ذلك مثل المواد الأخرى فالصانع يأخذ من المواد الكثيرة ما يهمّه في عمله ، لاقامة الشكل الذى يريده بالكيفية التي يريد ٠ وربما شكّل من هذه المواد غير شكل جميل يبهج العين ٠ وكذا اللغة فهي في متناول الناس جميعا ٠ فلغة العامل غير لغة الصانع أو التاجر ، ولغة السوقة من الناس غير لغة الأديب ٠ فكل يوظف اللغة فيما يخدم عمله وصنعته ٠ واللغة التي يصدر عنها الأديب انما هي اعادة خلق التراكيب اللغوية ، لتبدو في أرقى صورها ، وتكون أكثر وقعا في النفس وتأثيرا ٠ وتختلف هذه اللغة من أديب الى آخر ومن موضوع الى آخر ٠ فالثقافة والاستعداد والبيئة الزمانية عوامل مساعدة في تخير الأنماط اللغوية التي يريدها الشاعر أو الكاتب ٠ ينضاف الى ذلك طبيعة الموضوع الذى يطرحه الأديب ، اذ ان لَه تأثيرا واضحا في بناء الالفاظ اللغوية الشعرية ٠ فلغة الحب تختلف عن لغة الحرب ، ولغة الهجاء تختلف عن لغة المديح ٠ ويعني الفصل ـ في هذا المقام ـ بدراسة الأنماط اللغوية ولحمتها ، واتساقها في النص الشعرى وايحائها ، واثرائها صور البطولة ٠

١ـ النمط في ألفاظ البطولة المقاتلة :

الألفاظ التي يستخدمها الشعراء في مجال البطولة المقاتلة لها وقع في النفس متميز انها تدل على القوة والرهبة ٠ يسوقها الشاعر في تراكيب عامرة بالحركة سواء أكانت حركة من العالم الخارجي الى النفس أم العكس : فربيعة بن مقروم الضبي وظف ألفاظا وتراكيب تلائم الموضوع الذي قيلت فيه أبياته التالية : (١)

١ـ حماسة أبي تمام ج ٢/١١٦،وحماسة البحترى ص ٩٢،والتذكرة السعدية ص ١٠٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخوك أخوك من تدنو وترجـــــو ... مودّته وان دعي استجابـــــا

اذا حاربتَ حاربَ من تعـــادى ... وزاد سلاحُه منك اقترابـــــا

وكنت اذا قريني جاذبتـــــــه ... حبالي مات أو تبع الجذابـــا

فان أهلك فذى حنق لظـــــاه ... عليّ تكاد تلتهب التهابـــا

مخضت بدلوه حتى تحسّـــــى ... ذنوب الشرّ ملأى أو قُرابـــا

بمثلي فاشهد النجوى وعالـــن ... بي الأعداء والقوم الغضابـــا

فان الموعديّ يرون دونـــــي ... أسود خفيّة الغلب الرقابـــا

كأن على سواعدهن ورســـــا ... علا لون الأشاجع أو خضابـــا

وخلق بين هذه الألفاظ توليفة جعلها تبدو لوحة جميلة . فقد امتد من العام الى الخاص .فالحرب تحتاج الى الاتحاد ، وسرعة الاستجابة لنداء النصرة ، ثم يتفرد ربيعة بين فرسان قومه ، ويظهر قوته ، وشدة بطشه ، فقد جعل ساحة المعركة هي الفيصل بينه وبين خصومه . فحباله وأسلحتـــه قادرة على الفتك بأشد الفرسان قوة . ووظف كلمات توحي بالقوة مثل " اللظى " و " تلتهب التهابا " و " مخضت بدلوه حتى تحسّى " ، و " القوم الغضابا " و " أسود خفية " وثمة صـــور داخلية عامرة بالحركة تكتنف هذه الأبيات . فالحرب وما فيها من جلبة ورهج ، وأصوات السيوف وضبح الخيول، وكر الفرسان واقدامهم ، وتفليق الهامات ، ومناظر الدماء تغني الصورة ، وتجعلها أكثر حياة وحركة .

وحرص الفند الزماني على رسم صورة قريبة من صورة ربيعة بن مقروم الضبي ، فتخيـــر الألفاظ الدالة على الحرب والمنازلة ، وبين أثرها في الخصوم . فثمة العويل والألم ، واحتـــدام الخيول ، وآثار الدماء على نحورها ، وهي كلها دالة على الفروسية . وقد بدا موفقا حين أصبغ على ألفاظه طابع الحركة . فالموت لا حدود له ، والزمان لا يتوقف عند لحظة معينة ، فهو متحـــرك متقلب يتسع لحركة الانسانية ، يقول :(١)

أبا طعنة ما شيخ كبير يَفن بـــــــال

تقيم المأتم الأعلى على جَهد واعـــوال

ولولا نَبْل عوض في حُظبّاى وأوصالـــــي

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٠١١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لطاعنت صدور الخيل طعنا ليس بالآلـــــي

ولا تبقى صروف الدهر انسانا على حـــــال

تفتيت بها إذكره الشكة أمثالـــــــــي

كجيب الدفنس الورهاء ريعت بعد اجفال

وتتعزز هذه الصورة في مقطوعة عروة بن الورد التي يقول فيهـا (١) :

دعيني أطوّف في البلاد لعلنـــي أفيد غنى فيه لذى الحق محمـــل

أليس عظيما أن تلمّ ملمـــــــة وليس علينا في الحقوق معـــوّل

فان نحن لم نملك دفاعا بحـــادث تلم به الأيام فالموت أجمـــــل

فعروة بن الورد يطوف في عالم ملىء بالحركة . فهو يصادف خلقا كثيرا تربطه بهم علاقـــات اجتماعية معينة ، قد يفيد منها بغنى كثير قد تعود آثاره على الانسان بنفع مادى . والغنـــى يتمثل في العمل الدؤوب والرحلة الشاقة المضنية التي يحاول فيها الحصول على المال لمساعـدة الضعفاء . ويؤكد هذا المعنى في البيت الثاني ، فعدم مواجهة المصائب والشدائد يسلـــم الانسان الى الذل والمهانة ، ويربط هذا الأمر ببيته الثالث " فان نحن لم نملك دفاعا بحـادث تلم به الأيام فالموت أجمل " وصورة الموت عند عروة ليست مفزعة ، بل جاءت هادئة على غيـــر ما ألف الناس من أمر لفظة الموت . وثمة صورة أخرى مقابلة لصورة الموت عند عروة وهي التـــي جاء بها ، رويشد الطائي ، فقد جعل الموت صورة مفزعة ممثلة في نفسه ، يقول (٢) :

وقل لهم بادروا في العذر والتمســوا قبولا يبرئكم اني أنا المــوت

والألفاظ الدالة على الفروسية كثيرة في شعر الحماسة . فثمة ألفاظ الشجاعة كما في قول أبي بـــن حُمام العبسي (٣) :

ولست بهيّاب لمن لا يهابنـــــي ولست أرى للمرء ما لا أرى ليـــا

وقول الحارث بن وعلة الجرمي (٤) :

ألم تعلموا أني تخاف عرامتـــــي وأنّ قناتي لا تلين على الكســر

١- حماسة أبي تمام ج ١٦٣/٣، والتذكرة السعدية ص ٢٨٢.

٢- حماسة أبي تمام ج ١٦٤/١.

٣- حماسة أبي تمام ج ٣٨٩/١.

٤- الوحشيات ص ١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول زيد الخيل الطائي [١] :

وليس أخو الحرب العوان بمن نأى بجانبه ولا السّؤوم المؤكل
ولكن أخوها كل أشعث دارع يعالي السلاح فوق أجرد ناقل

فالفارس - كما صوره الشعر - غير هيّاب ، فقناته صلبة لا تنكسر ، وهو في جانب آخر دائم الاستعداد ، تام السلاح ، فضلا عن اقتنائه جوادا ضامرا قويا . ويقول زيد الخيل في موضع آخر [٢] :

رأتني كأشلاء اللجام ولن ترى أخا الحرب الاّ ساهم الوجه أغبرا
أخا الحرب ان عضّت به الحرب عضّها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
ولا تسأليني واسألي أيّ فارس اذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا

وقد استوحى الشعراء ألفاظهم من أجواء المعارك ، فبينوا شدة وقعها ، وتخيروا لهذا ألفاظا دالة . مما جعل الألفاظ أكثر اتساقا وانضباطا واحكاما . يقول عمرو بن معد يكرب [٣] :

وأقحمت نفسي حين صادفت غرة من القوم حتى قلت : قد عقهر المهر

وتفليق الرؤوس لفظ شاع في شعر الفروسية وهي صورة مفزعة أيضا ، يقول بلعاء بن قيس الكناني [٤] :

غشيّته وهو في جأواء باسلة عضبا أصاب سواء الرأى فانفلقا
بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجّلتها جبنا ولا فرقا

ومن الألفاظ التي حرص الشعراء على ايرادها في مواطن الفروسية لفظة " الطعن " فقد وردت في مواضع كثيرة من الشعر . والطعن كلمة توحي بالقوة مما لها من آثار مادية تخلفها فيمن ابتلي بها ، يقول الفند الزماني [٥] :

أيا طعنة ما شيخ كبير يفن بالِ

أما طعنة قيس بن الخطيم فلها " نفذ لولا الشعاع أضاءها " يقول [٦] :

١- حماسة ابن الشجرى ج ١/٠٦٨

٢- حماسة البحترى ص ٣٨، وحماسة ابن الشجرى ج ١/٠٥٠٠

٣- حماسة ابن الشجرى ج ١/٠٤٢

٤- حماسة أبي تمام ج ١/٠٦١

٥- حماسة أبي تمام ج ٢/٠١١٣ ٦- حماسة أبي تمام ج ١/٠١٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طعنت ابن عبدالقيس طعنة ثائـــر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ويقول حسيل بن سجيح الضبـي [١] :

جعلت لبان الجون للقوم غايـــة من الطعن حتى آض أحمر وارسا

ويقول أحد بني تيم الله بن ثعلبـة [٢] :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادهـــا فطعنت تحت كنانة المتمطـر

ونسطا عن الأبطال عن أبنائنـــا وعلى بصائرنا وان لم تبصـــر

ويصف زاهر أبو كرام طعنته بأنها نجلاء ، يقول [٣] :

فطعنته والخيل في رهج الوغـــى نجلاء تنضح مثل لون الجادى

فذكر ألفاظ الطعن في الشعر المقاتل تدل على الضربة المميتة .ومن ألفاظ الحرب التي شاعت في مقطعات الحماسة اقتحام الموت ، وارخاص النفوس . وقد تعاقب الشعراء على ايراد هذه اللفظة بصور شتى ، تفرضها طبيعة السّياق اللغوى ، يقول عروة بن الورد : [٤]

ولكنّ صعلوكا صحيفة وجهـــه كضوء شهاب القابس المتنـــوّر

مطلاّ على أعدائه يزجرونـــه بساحته زجر المنيح المشهّـــر

فذلك ان يلق المنية يلقهـــا حميدا وان يستغن يوما فأجـدر

ويقول في موضع آخـــر [٥] :

فان نحن لم نملك دفاعا بحـــادث تلم به الأيام فالموت أجمـــل

فهو يؤثر الموت على الحياة اذا كان في بقائه عجز عن مواجهة الشدائد .

ويقول شريح بن قرواش العبسي [٦] :

وما غمرات الموت الاّ نزالك الـ كمي على لحم الكمي المقطـر

ويقبل جنادة بن مالك اليربوعي على الموت ، ويتحداه بقوته ، يقول [٧] :

١- حماسة أبي تمام ج ٢/١٣٥.
٢- المصدر السابق ج ١/١٢٧.
٣- المصدر السابق ج ٢/٢١٣.
٤- المصدر السابق ج ١/٣٩٣.
٥- حماسة أبي تمام ج ٣/١٦٣ ، والتذكرة السعدية ص ٢٨٢.
٦- حماسة أبي تمام ج ١/٣٨٤ ، وحماسة البحترى ص ٩٠
٧- حماسة البحترى ص ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا ما وأينا الموت لم نلف عنـــده هجاجا ولم نهرب ولم نتفـــرق

ولكننا نأتيه حتى نديثـــــــه بأسيافنا من بين ماش ومعنـــق

وموت الرجال من أجل قضية معينة هو حياة للآخرين ، يقول السموأل (١) :

وانّا لقوم ما نرى الموت سبّـــة اذا ما رأته عامر وسلـــــول

يقرب حب الموت آجالنا لنـــا وتكرهه آجالهم فتطـــــول

ويقول بشامة بن حزن في قريب من هذا المعنى (٢) :

انّا لنرخص يوم الروع أنفسنـــا ولو نسام بها في الأمن أغلينـا

ودلالة الموت عند عنترة حقيقية ، فهو يقر بالموت ، وهو كأس يشربه كل الناس . وبدا عنتـــرة موفقا في طرح الموت وتوظيفه ، فجاء هادئا في بيتين ، ومنفعلا في ثالث . وقد جوّد في الربـط بين الأبيات الثلاثة . فهو بعد أن يقرر حقيقة الموت ، يدرك أنه ان داهمه الموت فعليه أن يكون مستعدا أكمل الاستعداد من آلات وأسلحة وغيرها ، يقول (٣) :

بكرت تخوفني الحتوف كأننـــي أصبحت عن غرض الحتوف بمعـــزل

فأجبتها : ان المنية منهـــــل لا بد أن أسقى بذاك المنهـــــل

وقد لقيت الموت يوم لقيتـــه متسربلا والموت لم يتسربســـل

فالطعن والضرب وتفليق الرؤوس ، واقتحام الموت ، وغمرات الموت ، وارخاص النفوس ، والحديد من سيوف ورماح ودروع والكر والفر ، وملازمة ظهور الخيل ، وتشمير الحرب عن ساقها وعضـــت الحرب عضها ألفاظ تشكل المعجم الشعرى الذى تقوم عليه قصيدة الحرب ، وتتشكل منه صـــورة البطـــل .

٢- النمط في شعر الرثـاء :

تبدو الألفاظ التي يستخدمها الشعراء في مواطن الرثاء هادئة حزينة ، تغلب عليهـا الحكمة حينا ، وتكون باكية منفجرة يصاحبها اللطم والندب حينا آخر ، وتكون متوعدة ثائرة حينـا ثالثـا .

١- حماسة أبي تمام ج ١/١٠٧، والحماسة البصرية أج ١/١٤٦ .والتذكرة السعدية ص ٤٧ .

٢- حماسة أبي تمام ج ١/٩٧، والتذكرة السعدية ص ٤٤ .

٣- حماسة البحترى ص ٣، والحماسة البصرية أج ١/٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فدريد بن الصمة لم يساوره قلق أو خوف أو حزن بمقتل أخيه عبدالله بل زاده قـــوة وصبرا ، فجاءت ألفاظه قوية حينا ، وهادئة حينا آخر ٠ ولم يفزع قارئيه أو سامعيه ٠ ويتلمـــس المتتبع لهذه الأبيات رباطة جأش دريد وجلده وهدوءه يقول (١) :

فان يك عبدالله خلّى مكانـــه ... فما كان وقّافا ولا طائش اليـــد

كميش الازار خارج نصف ساقـــه ... بعيد من الآفات طلّاع أنجـــد

قليل التشكّي للمصيبات حافـظ ... من اليوم أعقاب الاحاديث في غد

فليس ثمة ندب أو بكاء أو لطم في أبياته ، وانما سيقت سوقا هادئا تدل على رجاحة عقل صاحبهـــا وحزمه ٠ وأبيات دريد تمور بحركة داخلية دائبة ٠ فعبدالله متفرد بصفات يبزّ بها نظراءه ٠ فهـــو دائم الحركة واليقظة ، تراه في كل مكان يترصد أعداءه ، ويرميهم فتصيب رميته ٠ أما الربيـــــع ابن زياد العبسي ، فقد تخير ألفاظا باكية منفجرة مفزعة ، يقول (٢) :

يجد النساء حواسرا يندبنـــــه ... يلطمن أوجههن بالأسحـــــار

يضربن حرّ وجوههن على فتـــى ... عفّ الشمائل طيّب الأخبـــار

ويلتمس الدّارس العذر للشاعر في سوقه ألفاظ اللطم والندب لأن في تخيره هذه الأنماط اللغويـــة دلالة على عمق الأثر في النفوس وعظم الفاجعة بمقتل البطل أو موتـــه ٠

وتتكرر صورة الندب وصورة النساء البواكي الحواسر في مقطوعة ريطة بنت عاصم اذ تقول (٣) :

وقفت فأبكتني بدار عشيرتـــي ... على رزئهن الباكيات الحواســـر

ولو أن سلمى نالها مثل رزئنـــا ... لهدّت ولكن تحمل الرّزء عامـــر

وثمة ألفاظ الصبر والتجلد في المقطعات الشعرية الجاهلية والاسلامية ٠ وقد أغنت هذه الالفاظ الشعر بدلالاتها النفسية والمعنوية ٠ يقول الجرنفش (٤) :

لله درّ بني حليف معشـــــــرا ... أي امرىء فجعوا به ولربّمـــــا

فجعوا بذي الحسب القليل فأصبحوا ... لا مبلسين ولا ضعافا وجمّـــــا

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٣٠٤، والحماسة البصرية ب ج ١/٢١٧٠

٢- حماسة أبي تمام ج ٣/٣٤، وحماسة البحترى ص ٣٨٠

٣- حماسة أبي تمام ج ٣/١١٥٠

٤- الوحشيّات ص ١٣٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوم اذا الحدث الجليل أصابهـــــم شدّوا دوابر بيضهم فاستحكمـــا

حتى كأن عدوهم مما يـــــــرى من صبرهم حسب المصيبة أنعما

أما عاتكة بنت زيد فقد جعلت موضوع الرثاء قريبا من المدح ، وبدت الشاعرة أكثر جلدا وصبـــرا وقوة ، وهذه صورة غير مألوفة عند نساء العرب في الأغلب فقد حشدت في بيتين جل لـــوازم الفارس المقاتل تام السلاح ، حتى بدا بطلا مثالا · فالكر والفكر وحماية القوم والصبر ، واقتحـــام الموت صفات محببة في البطل ، تقـول (١) :

فلله عينا من رأى مثله فتـــى أكرّ وأحمى في الهياج وأصبـــــرا

اذا أشرعت فيه الأسنة خاضهـــا الى الموت حتى يترك الموت أحمرا

وبدت ألفاظ عبدة بن الطبيب هادئة ساكنة · وقد بدت القيم الاسلامية واضحة فيها · فالرحمـــة والتحية ، وافشاء السلام من الألفاظ التي تبعث في النفس الأمن والسكينة والشاعر لا يطلب ثـأرا ولكنه يسلم أمره الى الله ، يقـول (٢) :

عليك سلام الله قيس بن عاصـــم ورحمته ما شاء أن يترحمـــا

تحية من غادرته غرض الـــــردى اذا زار عن شحط بلادك سلّما

فما كان قيس هلكه هلك واحـــد ولكنه بنيان قوم تهدّمـــا

وممن قال في هذا المعنى أيضا محمد بن بشير الخارجي يقول (٣) :

نعم الفتى فجعت به أخوانـــه يوم البقيع حوادث الأيـــام

سهل الفناء اذا حللت ببابـــه طلق اليدين مؤدب الخـــدّام

واذا رأيت شقيقه وصديقـــه لم تدر أيهما ذوو الأرحـــام

ويغلب على ألفاظ الرثاء الأفعال الماضية مثل مضى وهوى وقضى ، وثوى ، وكان ، ومات وتردّى ، وهذه الأفعال في جلّها تحمل معنى السقوط وكأن الفارس الذى يقضي طود أو هـــرم يتنزل من عليائه ، فضلا عما فيها من معاني التحسر والحزن على فراق هذا الفارس أو ذاك · يقول مروان بن أبي حفصة في رثاء معن بن زائدة الشيباني (٤) :

١- حماسة أبي تمام ج ٢/١١٧٠

٢- حماسة أبي تمام ، ج ٢ ، ٢٨٥٠

٣- حماسة أبي تمام ج ٢/٣٠١، والحماسة البصرية ب ج ١/٢٤٤٠

٤- حماسة ابن الشجرى ج ١/٣٣٣ ، والحماسة البصرية ب ج ١/٢٠٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مضى لسبيله معن وأبقـــى مكارم لن تبيد ولن تنـــــالا

هوى الجبل الذى كانت نزار تهدّمن العدوّ به الجبـــــالا

ثوى من كان يحمل كل ثقـــل ويسبق فيض راحته الســـــؤالا

مضى لسبيله من كنت ترجـو به عثرات دهرك أن تقـــــالا

وتتكرر الأفعال الماضية في مرثية أبي تمام الرائية التي يرثي بها محمد بن حميد الطائي يقول (١) :

توفيت الآمال بعد محمـــــد وأصبح مشغولا عن السَّفر السَّفـــر

تردّى ثياب الموت حُمراً فما أتى لها الليل الاّ وهي من سندس خضر

فتى سلبته الخيل وهو حمى لهـا وبزّته نار الحرب وهي لها جمـــر

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر اذ فاته النصـــر

سقى الغيثُ غيثا وارت الارض شخصه وان لم يكن فيه سحاب ولا قطـــر

وتختلف ألفاظ الرثاء باختلاف طبيعة العصر . فألفاظ الرثاء في الجاهلية أكثر انفعالية فـــي أغلبها ، وتصدر عن عصبية متمثلة في التهديد والوعيد ، وأخذ الثأر من جهة ، وبالتفجع والعويل والبكاء من جهة أخرى . أما ألفاظ الرثاء في الاسلام فقد خلت الى حد كبير من الحدة والانفعالية والتفجع والبكاء ، وأصبحت تصدر عن رؤيا اسلامية متمثلة في الانسان المسلم الذى يؤمـــن بالقضاء والقدر . وأنّ مرد النفوس الى الله وأنه (اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (٢)

وبواعث الحزن في مقطوعات الرثاء صادرة عن الأثر الذى يتركه الفقيد في نفوس الناس ولا سيما اذا كان بطلا أو جوادا كريما . والحزن والأسى على الأبطال أمر مشروع لقوله صلى اللـــه عليه وسلم " تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول الاّ ما يرضي ربنا ، وانّا بك يا ابراهيـــم لمحزونون " (٣) . وقد نهى الاسلام عن الندب والعويل واللطم ، وقدّ الثيـــاب .

٣ ـ النمط في ألفاظ الكرم والجـود :

وثمة ألفاظ يتشكل منها معجم الكرم والجود مثل القدور والحجارة والنيران المتقـــدة

١ـ حماسة ابن الشجري ج ١ / ٣٤٠، وحماسة صفوة الأدب ج ٢/ ٣٠٥، والحماسة البصرية ب ج ١/ ٢٣٦.

٢ـ سورة النحل ، اية ٦١.

٣ـ سنن أبي داود ، ج ٣/ ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستنباح الكلاب ، وآلات النحر والذبح وهذه ألفاظ حسية ، وثمة ألفاظ معنوية منها الحمد والشكر والترحيب بالضيفان ، والثناء على الرجل الكريم ، والدعاء له بالخير العميم.

ويغلب أن يرتبط ذكر النار باستنباح الكلاب ، وفي ذلك يقول أحدهم [١] :

ومستنبح قال الصدى مثل قوله ... حضأت له نارا له حطب جزل

ويقول آخر [٢] :

ومستنبح بعد الهدوء دعوته ... بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا ... بموقد نار محمد من يرودها

وقد حرص أجواد العرب على ايقاد نيرانهم واستنباح كلابهم في ليالي الشتاء الباردة شديدة الظلام ، يقول مرّة بن محكان [٣] :

في ليلة من جمادى ذات أندية ... لا يبصر الكلب من ظلمائها الطّنبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... حتى يلف على خيشومه الذنبا

ويقول منصور بن الزربرقان [٤] :

فأبرزت نارى ثم أثقبت ضوءها ... وأخرجت كلبي وهو في البيت داخله

ومما يحسن ذكره - في هذا المقام - أن صاحب كتاب نشوة الطرب قد عدّد نيران العرب ، فجعلها ستا ، وذكر من بينها نار القرى ، وقال فيها : " ونار القرى يوقدها الجواد الليل كله في ليالي الشتاء ، وغيرها ، ليستدل بها الأضياف " [٥].

وقال صاحب نشوة الطرب في استنباح الكلاب قولا ينقض ما ذهب اليه الفصل . فقد ذكر أن العرب كانوا ينقبون لحي الكلب في السنة الصعبة لئلاّ يسمع الأضياف نباحه [٦].

غير أن الشواهد التي ساقها الفصل تعطي صورة مختلفة عما قصد اليه ابن سعيد. فاستنباح الكلاب أمر حرص عليه أجواد العرب ليدلوا به الضّالين ليلا فيعرفوا أن ثمة كريما مطعما، يدعو الضيفان الى موائده .

١- حماسة أبي تمام ج ٤/١٣٠.

٢- الحماسة البصرية ب ج ٢/٢٤٢.

٣- حماسة أبي تمام ج ٤/١٢٣، والحماسة البصرية ب ج ٢/٢٣٥.

٤- حماسة أبي تمام ج ٤/٢٢٧.

٥- ابن سعيد، نشوة الطرب ج ٢/٨٠٠.

٦- ابن سعيد ،نشوة الطرب ج ٢/٧٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يأتي الشاعر على ذكر النار دون ذكر استنباح الكلاب • يقول يزيد بن حمـــــار السّكونـــي [١] :

انّي حمدت بني شيبان اذ خمـــدت نيران قومي وفيهم شبّت النـــار

٤ـ النمط في ألفاظ الصبر على الشدائـد:

ويتخير الشعراء في مواطن الصبر ألفاظا ذات دلالات معنوية ـ في الأغلب ـ تدعو الى التجلد والصبر منها المواساة والتعزية ، وقلّة المبالاة ، وعدم اليأس ومصدر هذا كله ـ عنـــد شعراء الجاهلية ـ ايمان فطرى ، يقول أعرابي [٢] :

أقول للنفس تأساة وتعزيـــة احدى يدىّ أصابتني ولم تـــرد
كلاهما خلف من فقد صاحبـه هذا أخي حين أدعوه وذا ولـدى

ويقول أحدهـم [٣] :

وكم دهمتني من خطوبكثيـــرة صبرت عليها ثم لم أتخشـــع

أما عند شعراء الاسلام فمردّه ايمان بالله وقضائه وقدره • ويستطيع القارىء أن يتبين عمق ايمانهـــم من مجموعة المفردات التي يتخيرونها في مواطن الصبر ، يقول جزء من ضرار [٤] :

اذا رنقت أخلاق قوم مصيبـــة تَصَفّى لها أخلاقهم وتطيـــب

ويقول ابراهيم بن كُنيف النبهانـــي [٥] :

تعزّ فان الصبر بالحرّ أجمـــل وليس على ريب الزمان معـوّل
فلوكان يغني أن يرى المرء جازعا لحادثة أوكان يغني التذلّـــل
لكان التعزى عندكل مصيبـــة ونائبة بالحرّ أولى وأجمـــل
فكيف وكلّ ليس يعدو حمامـــه وما لامرىء عما قضى الله مزحـل

١ـ حماسة أبي تمام ج ١/٠٢٨٩

٢ـ المصدر السابق ج ١/٠٢٠٥

٣ـ المصدر السابق ج ١/٠٣٥٢

٤ـ المصدر السابق ج ١/٠٣٢٥

٥ـ المصدر السابق ج ١/٠٢٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وان تكن الأيام فينا تبدّلـــــت ببؤس ونعمى الحوادث تفعـــل

فما لينّت منّا قناة صليبـــــة ولا ذللتنا للتي ليست تجمـــل

ولكن رحلناها نفوسا كريمـــــة تحمّل ما لا يستطاع فتحملـــه

وقينا بحسن الصبر منا نفوسنـــا فصحت لنا الأعراض والناس هزّل

فالتذلل والتعزى ، وتبدل الأيام ، والبؤس والنعمى ، وقضاء الله ، والنفوس الكريمة ، وحســـن الصبر والجلد عبارات تكشف عن عمق ايمان صاحبها · وقد غلب الأمل والرجاء في هذه الالفـــاظ على اليأس والقنوط · يقول محمد بن بشير الخارجي [١] :

انّ الامور اذا انسدّت مسالكهـــا فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجـا

لا تيأسن وان طالت مطالبـــة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجـا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجـــا

٥ ـ النمط في ألفاظ المروءة والخلق والخلـم :

والألفاظ الدالة على الحلم والصفح والمروءة قريبة من ألفاظ الصبر والقوة والشجاعـــة · وقد تخير الشعراء ألفاظا موحية دالة تمثلت في العفة والصفح والتسامح وعزة النفـــــــس والأدب والايثار ، والترفع عن صغائر الأمور ، **والالفاظ** الدالة على اجارة الضعيف ، وفك **العانـــي** والحرص على بقاء حبال القربى موصولة ، والعلاقات قائمة · ومن المقطوعات الدالة على الأدب مبنى ، ومعنى قول أحد الفزاريـــن [٢] :

أكنيه حين أناديه لأكرمـــــه ولا ألقّبه والسوءة اللقبـــــا

كذاك أدّبت حتى صار من خلقي أني وجدت ملاك الشيمة الأدبـا

ويتبدى الايثار واضحا في أبيات حاتم الطائي ، فضلا عمّا فيها من أدب جم · فتفضيـــل الصاحب ، وانصافه من الأدب والايثار · وان المقطعة الشعرية التي تخيرها لطيفة اذ تضمنـــت معاني الأدب والخلق والايثار وان لم يصرح بها تصريحا مباشـــرا ، يقول [٣] :

١- حماسة أبي تمام ج ١٦٦/٣، والحماسة البصرية ب ج ٢/٢، والتذكرة السعدية ص ٢٨٥ ·

٢- حماسة أبي تمام ج ١٥٤/٣ ·

٣- حماسة أبي تمام ج ١٦١/٣ ، والتذكرة السعدية ص ٢٨١ ·

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما أنا بالساعي بفضل زمامهـــا لتشرب ماء الحوض قبل الركائـــب
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلهـــا لأبعثها خفّا وأترك صاحبـــي
اذا كنت ربّا للقلوص فلا تـــدع رفيقك يمشي خلفها غير راكـــب
أنخها فأردفه فان حملتكمـــا فذاك وان كان العقاب فعاقـــب

ومن الالفاظ التي حرص الشعراء على توظيفها في مقطوعاتهم الشعرية بذل المعروف ،وصفـــاء الخليفة ، ومنح الود والنصرة ، والحلم ، وكف الاذى . ومما يزد في غناء هذه الالفاظ وجمالهـــا الوقوف على الصور المقابلة لها في المقطوعة الشعرية ، يقول بعض بني أســد (١) :

وأبذل معروفي وتصفو خليقتـــي اذا كدّرت أخلاق كل فتى محـــض
واستنقذ المولى من الامر بعدما يزلّ كما زلّ البعير عن الدّحـــض
وأمنحه مالي وودى ونصرتـــي وان كان محنيّ الضلوع على بغـــض
ويغمره حلمي ولو شئت نالـــه فوارع تبرى العظم عن كلم مـــضّ
وانّي لسهل ما تغير شيمتـــي صروف ليالي الدهر بالفتل والنقض

والحياء وعفة النفس من الالفاظ ذات الايقاع الهادىء في الشعر ، ويغلب أن تأتي متضمنـــة معنى الحكمة ، يقول أحدهـم (٢) :

وأعرض عن مطاعم قد أراهـــا فأتركها وفي بطني انطـــواء
فلا وأبيك ما في العيش خيـــر ولا الدنيا اذا ذهب الحيـــاء
يعيش المرء ما استحيا بخيـــر ويبقى العود ما بقي اللّحـــاء

ويدلل ربيعة بن مقروم الضبي على العلاقات الاجتماعية الحسنة بقوله " ولكني وصلت الحبـــل منه " يقول (٣) :

ولو أني أشاء نقمت منـــــه بشغب أولسان تيّحـــان
ولكني وصلت الحبل منـــــه مواصلة بحبل أبي بيـــان

١- حماسة أبي تمام ج ٣/١٥٩، والحماسة البصرية ب ج ٢/٠٧٩

٢- حماسة أبي تمام ج ٣/٠١٥٧

٣- المصدر السابق ج ٣/٠١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تخير المتلمس في مقطوعته ألفاظا أكثر وقعا في النفس ليدل به على صفحة وحلمه وتسامحه ، يقول (١) :

واو غير أخوالي أرادوا نقيصتي ... جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت الاّ مثل قاطع كفه ... بكفّ له أخرى فأصبح أجذما
يداه أصابت هذه حتف هذه ... فلم تجد الاخرى عليها مقدّما
فلما استقاد الكفّ بالكف لم يجد ... له دركا في أن تبينا فأحجما

وقد بين المتلمس عمق العلاقة بينه وبين أخواله ، وبيّن الأثر المترتب على القطيعة والتباغض بينه وبينهم ، وبدا المتلمس موفقا في بناء مقطوعته ، فمثّل نفسه بأحد كفيه ، ومثل أخواله بالكف الأخرى ، وجوّد في رسم صورة العلاقة هذه . وقد تخيّر لغرضه ألفاظا لطافا .

ويقول محمد بن عبدالله الأزدي في هذا المعنى :

ولا أدفع ابن العم يمشي على شفا ... وان بلغتني من أذاه الجنادع
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه ... لترجعه يوما اليّ الرواجع
وحسبك من ذل وسوء صنيعة ... مناواة ذي القربى وان قيل :قاطع

ويؤلف معن بن أوس في احدى مقطوعاته بين مجموعة من الالفاظ المتناقضة يجمعها في صورة حسنة تبرز صفات البطل السموح . فالاساءة والصفح ، والوصل والقطيعة ، والانصاف ، ودفع الأذى عن القريب ألفاظ اجتمعت في قول معن بن أوس (٢) :

وان سؤتني يوماصفحت الى غد ... ليعقب يوما منك آخر مقبل
كأنك تشفي منك داء مساءتي ... وسخطي وما في ريبتي ما تعجّل
وانّي على أشياء منك تريبني ... قديما لذو صفح على ذاك مجمل
ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني ... يمينك فانظر أي كف تبدل
وفي الأرض ان رثّت حبالك واصل ... وفي الأرض عن داء القلى متحوّل
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران ان كان يعقل

١- الوحشيات ص ١١٢، وحماسة صفوة الأدب ج ١/١٤٧ ، والحماسة البصرية ب ج ١/٠٤١.

٢- حماسة أبي تمام ج ٣/١٣٢ ، وحماسة البحترى ص ٠٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمعن بن أوس متأدب في عتابه ، فلم يغلظ القول ، ولم يقرع ، ولم يخرج على قواعد الذوق والحياء٠ ويدعم ما أورده الفصل في هذه القضية مقطوعة ميميّة لمعن بن أوس أيضا ، وفيها يجعل معن حلمه مقابل سفاهة رحمه ، وعفة لسانه مقابل شتم الآخرين عرضه ، ولينه مقابل قسوة قومه ، ودعوته الى السلم مقابل دعوة قومه الى الحرب ٠ فاطفاء نار الحرب ، وابراء غل الصدر واغضاء العين ، والدعوة للقريب وذى الرحم بالسلامة ، والعفو والعطف ٠ واللين ، وحفظ العهد والود والصفح ، ومحاولة توحيد الأمة ، واعلاء قبتها " ويسعى اذا أبني ليهدم صالحي " كلها ألفاظ موفقة في موضعها مبنى ومعنى ، يقول :(١)

وذى رحم قلّمت أظفار ضغنه	بحلمي عنه وهو ليس له حلم
وان أعف عنه أغض عينا على قذى	وليس له بالصفح عن ذنبه علم
حفظت به ما كان بيني وبينه	وما يستوى حرب الأقارب والسلم
ويسعى اذا أبني ليهدم صالحي	وليس الذى يبني كمن شأنه الهدم
فما زلت في لين له وتعطف	عليه كما تحنو على الولد الأم
وقولي اذا أخشى عليه مصيبة	ألا اسلم فداك الخال والأب والعم
فأبرأت غل الصدر منه توسّعا	بحلمي كما يشفى بالأدوية الكلم
وأطفأت نار الحرب بيني وبينه.	فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

ب ـ الأنماط البلاغيّة :

سيحاول الفصل ـ في هذا المقام ـ أن يوجز ما وسع الفصل ذلك فيتخير أمثلة وشواهد دالة معينة ، وسبب الايجاز يعود الى أن الخوض في مثل هذه الموضوعات ضرب من التزيد فقد طرق هذا الجانب كثيرا ٠ غير أن الفصل سيعرض لهذا القسم من باب استجلاء الجوانب المضيئة في صورة البطل ، وبيان امتداداتها مما يجعلها أكثر كمالا ، وأكثر وضوحا ٠

انّ الفنون البيانية ـ كما ذكرها الجرجاني ـ ذات قدرة على التصوير والتشخيص والتجسيم فالتشبيه ، والاستعارة ، والتمثيل ، والكناية تهدف الى الايضاح ٠ فانك لترى بها الجماد حيّا ناطقا ، والأعجم فصيحا ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية ٠ وتجد

١ـ حماسة البحترى ص ٣٨٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيهات غير معجبة ما لم تكنها ٠ ان شئت أرتك الكثير من المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وان شئت لطّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الاّ الظنون " (١) .

أما ابن الأثير فيرى أن علم البيان هو اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخيّل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عيانا (٢) .

والتشبيهات عمود من أعمدة البيان ، وورودها في المقطعات الشعرية كثير ٠ فقد حرص الشعراء على الاتيان بهذه التشبيهات وذلك لخلق صورة مثال للبطل ٠ فوجه البطل كضوء الشهاب في قول عروة بن الورد (٣) :

ولكنّ صعلوكا صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنوّر

وكتائب الجيش كالأسد في قول باعث بن صريم (٤) :

وكتيبة سفع الوجوه بواسل كالأسد حين تذب عن أشبالها

والفرسان عند ودّاك بن ثميل المازني كالأسود أيضا ، يقول (٥) :

عليها الكماة الغرّ من آل مازن ليوث طعان عند كل طعان

وتشبيه الفارس بالليث أكثر قوة وتأثيرا عند زاهر أبي كرام يقول (٦) :

ومحشّ حرب مقدم متعرّض للموت غير معرّد حيّاد

كالليث لا يثنيه عن اقدامه خوف الردى وقعاقع الايعاد

وشبه أحد شعراء حمير الجيش بالليل المتداخل في بعضه ٠ فالجيش يتداخل خلال رهج المعركة بحركة سريعة مضطربة ، يقول (٧) :

كأنما الأسد في عرينهم ونحن كالليلّ جاش في قتمه

١- عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : تحقيق ج ٠ ريتر ، مطبعة وزارة المعارف استانبول ١٩٥٤ص ٤١٠

٢- ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق د٠ أحمد الحوفي والدكتور بدوى طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، ط١ ، ١٩٥٩، ج ١/١١١٠

٣- حماسة أبي تمام ج ١/٣٩٣٠ ٤ - حماسة أبي تمام ج ٢/١٠٨٠

٥- حماسة أبي تمام ج ١/١٢٢ ، وحماسة صفوة الأدب ج ١/١٢٠ ، والحماسة البصرية ب ج ١ / ١٥٣، والتذكرة السعدية ص ٦٩٠

٦- حماسة أبي تمام ج ٢/٢١٣٠ ٧ - حماسة أبي تمام ج ١/٣١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد سبق هذا التشبيه في غير ما موضع في الشعر . غير أنّ الحال الذى قصده الشاعر في بيته يختلف عن الحال الذى قصده النابغة على سبيل التمثل في قوله " فانك كالليل الذى هو مدركي ، وان خلت أن المنتأى عنك واسع " [١] . فليل النابغة ثقيل عليه ثقل الهم الذى يلازم النابغة ، أما ليل الحميرى هذا فليل يخيف الناس لظلمته ووحشته . فالفرسان كالليل رهبة وقوة . وهذا الأمر يجعل الفصل أكثر ميلا الى القول بجدة هذه الصورة .

ومن الصور التي أغنت الشعر تشبيه الدم الذى يسيل من الأبطال والأفراس بالثوب الأحمر . وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل [٢] :

وما زلت حتى بل صدرى ونحره ... نجيع كهدّاب الدمقس المسيّر

ومن الصور الشعرية الحسنة المستمدة من واقع المعركة تشبيه أثر الرماح في الفارس بشوكة الحائك ، يقول دريد بن الصمة [٣] :

فجئت اليه والرماح تنوشه ... كوقع الصياصي في النسيج الممدّد

وربما قصد دريد بن الصمة تشبيه أثر الرماح في أخيه عبدالله بقرون البقر . فقد ورد في اللسان ما نصه " قيل : شبه الرماح التي تشرع في الفتنة وما يشبهها من سائر السلاح بقرون بقر مجتمعة ، وقيل هي المنارة التي يغزل بها وينسج [٤] . وكلا التشبيهين مقبول . وثمة تشبيه الفرسان بالشهب كما في قول عمرة الخثعمية [٥] :

شهابان منا أوقدا ثم أخمدا ... وكان سنى للمدلجين سناهما

ويتخير الشعراء - في مجال الكرم - تشبيهات ذات ارتباط بأبطالهم . فالكريم - كما يصوره متمّم بن نويرة - ربيع دائم ، يقول [٦] :

له تبع قد يعلم الناس أنه ... على من يداني صيّف وربيع

١- ديوان النابغة الذبياني : جمعه وشرحه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، جانفي ، ١٩٧٦ ص ١٦٨ .

٢- حماسة البحترى ص ٤٦ ، وحماسة ابن الشجرى ج ١/ ٢٢ ، والحماسة البصرية أ ج ١/ ٢٠٩ .

٣- حماسة أبي تمام ج ٢/ ٣٠٤ ، والحماسة البصرية ب ج ١/ ٢١٧ .

٤- لسان العرب مادة نسج .

٥- حماسة أبي تمام ج ٣/ ١١٥ .

٦- المصدر السابق ، ج ٣/ ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جوّد يزيد بن حمار السّكوني حين جعل من يحتمي بآل شيبان كأنه فتيّ من الأوعال في راس جبل عال لا تصل اليه الطيور الجارحة ، يقول [١] :

كأنه صدع في راس شاهقة من دونه لعتاق الطير أوكار

ولعل هذا القول - في موضعه - مما بلغت فيه العرب وجوّدت • ويمدح ربيعة بن مقروم الضبي رجلا يقال له ضمرة من كرام الحيّ ، جعله كالذهب المصفّى ، يقول [٢] :

هجان الحي كالذهب المصفّى صبيحة ديمة يجنيه جان

وقد حسن هذا التشبيه وراق لأنه يفضي الى معان لطيفة في الممدوح • فالذهب المصفى ما ثمن ونفس وصفا وخلص وفي هذا غناء وبيان يزيد في قيمته ، ويحرص الناس على تفضيله على غيره من المعادن •

ومثل المتلمس العلاقة بينه وبين أخواله بيديه ، وأن احداهما ضربت الأخرى ، يقول [٣] :

وما كنت الاّ مثل قاطع كفّه بكفّ له أخرى فأصبح أجذما

يداه أصابت هذه حتف هذه فلم تجد الأخرى عليها مقدّما

وقد جوّد المتلمس في هذا التشبيه الذى يعدّ من الصور الشعرية الجديدة ، ولعل أحدا ممن جاء بعد المتلمس لم يصل الى ما وصل اليه المتلمس من حسن تأت ، وجمال في التمثيل •

والفوارس عند المنخّل اليشكرى مثل لهب النار، يقول [٤] :

وفوارس كأوار حرّ الناس أحلاس الذكور

شدّوا دوابر بيضهم في كل محكمة القتير

والرجل الحلس هو الذى لا يبرح القتال ، وقيل فلان من أحلاس الخيل أى هو في الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس الملازم لظهر الفرس • وفي حديث أبي بكر : قام اليه بنو فزارة فقالوا : يا خليفة رسول الله نحن أحلاس الخيل ، يريدون لزوم ظهورها • فقال :

نعم أنتم أحلاسها ونحن فرسانها • أى أنتم راضتها وساستها ، وتلزمون ظهورها • وفوارس المنخّل

١- حماسة أبي تمام ج ١/٢٨٩ •

٢- المصدر السابق ج ٣/١٣٩ •

٣- الوحشيات ص ١١٢ ، وحماسة صفوة الأدب ج ١/١٤٧ ، والحماسة البصرية ب ج ١/٤١ •

٤- حماسة أبي تمام ، ج ٢/١٠٢ ، وحماسة صفوة الادب ج ١/١٥٥ ، والحماسة البصرية أ ج ١ / ٢١٩ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستعدون للمعركة في كل حين . فقد لبسوا الدروع ، وامتشقوا السيوف، وامتطوا صهوات الخيول فتراهم عليها كالصقور ، يقول [١] :

واستلأموا وتلبّبوا انّ التلبب للمغيـــــــــــر

وعلى الجياد المضمرات فوارس مثل الصقـــــــور

يخرجن من خلل الغبار يجفن بالنعم الكثيـــــر

وجعل عمرو بن معد يكرب قومه نمورا في ساحات القتال ، يلبسون الحديد ، وكل واحد منهـــــم يسرع الى المعركة بما استعد من أدوات القتال ، يقول : [٢]

قومي اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقـــــدّا

كلّ امرىء يجرى الى يوم الهياج بما استعدّا

ويسوق عمير بن الحباب السّلمي صورة موفقة للأبطال . فقد جعلهم في النهار أسودا قوية خفيفة الحركة ، وفي الليل كأنهم النساء الناعمات ، خافضات الصوت ، فهم يميلون الى اللهو ومداعبة نسائهم ليلا ، وهي صورة حسنة ، يقول [٣] :

لو أن ليل فوارسي كنهارهـــــم كملوا فلم يك فيهم أصحـــاب

أما النهار فهم أسود خفيـــــة والليل بيض خرّد أتـــــراب

فالشاعر يتمنى أن يكون الفوارس في الليل كما هم في النهار ، لكنه يدرك أن الاسلام يراعي حق الفارس وواجبه ، فلبدنه عليه حق ، ولأهله وولده عليه حق ، وللجهاد عليه حق .

وقد رسم العباس بن مرداس السّلمي صورة لطيفة موفقة لقتلى **المشركين** ، وفيها اشارة الى قوة بني سليم في القتال . فقد جعلهم نخلا مقطّعا . ويبدو العباس بن مرداس متأثرا بالقرآن الكريم في ايراده عبارة " نخل منقعر " ، ففي التنزيل ورد قوله عز وجل (كأنهم أعجاز نخـــل منقعر) [٤] يقـول [٥] :

الضاربون رجال الشرك ضاحيـــة ببطن مكة والأواح تبتـــدر

حتى تولّوا وقتلاهم كأنهـــــمُ نخل بظاهرة البطحاء منقعر

١- حماسة أبي تمام ج ١٠٣/٢، وحماسة صفوة الادب ج ١٥٥/١، والحماسة البصرية أج ٢١٩/١.

٢- حماسة أبي تمام ج ١٧٠/١، وحماسة البحترى ص ١٩٣، والحماسة البصرية ب ج ٥٠/١.

٣- الوحشيات ص ٨٢ ٤- سورة القمر اية ٢٠ ٥- حماسة ابن الشجرى ج ٣٦٦/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الصورة جديدة في الشعر العربي ٠

أما عبدة بن الطبيب فقد جعل قيس بن عاصم بناء شامخا لأهميته في قومه ، وموته موت للقوم أجمعين ، يقول (١) :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكن بنيان قوم تهدّما

ومما حسن من الصور الشعرية ـ في موضع التشبيه قول مروان بن أبي حفصة في رثاء معن بن زائدة الشيباني ، فقد جعل الشمس تنكسف حزنا على معن ، وكأنها ـ والحال هذه ـ تلبس غطاء يقول (٢) :

كأن الشمس يوم أصيب معن من الاظلام ملبسة جلالا

وثمة صور شعرية للجود والكرم حسنة لطيفة ٠ فقد جعل معن بن أوس الخسارة التي تلحق بالأرحام مماثلة للموت ، يقول (٣) :

يحاول رغمي لا يحاولغيره وكالموت عندى أن يحل به الرغم

ويتبع هذا التشبيه بتشبيه أكثر وقعا في النفس ، وأكثر حسنا يبيّن فيه حرصه على أواصر القربى متواشجة بينه وبين أرحامه يقول (٤) :

وان انتصر منه أكن مثل رائش سهام عدوّ يستهاض بها العظم

ويصّور حنوّه على رحمه بحنو الأم على ولدها ، يقول (٥) :

فما زلت في لين له وتعطف عليه كما تحنو على الولد الأم

والناس في طباعهم وأخلاقهم ـ كما يصورهم يزيد بن الحكم الثقفي ـ كالبنيان ـ فبعضهم ينشأ نشأة طيبة ، وبعضهم ينشأ نشأة خبيثة ، يقول (٦) :

والناس مبتنيان محمود البناية أو ذميم

وجل التشبيهات التي عرضها الفصل تقليدية استقاها الشعراء من البيئات التي يعيشون فيها ٠ وهي

١ـ حماسة أبي تمام ج ٢/٢٨٥٠

٢ـ حماسة ابن الشجرى ج ١/٣٢٣، والحماسة البصرية ب ج ١/٢٠٨٠

٣ـ حماسة البحترى ص ٣٨٢، ٢٨٣٠

٤ـ المصدر السابق ص ٣٨٢، ٢٨٣٠

٥ـ المصدر السابق ص ٣٨٢، ٢٨٣٠

٦ـ حماسة أبي تمام ج ٣/١٧٩، والتذكرة السعدية ص ٢٩٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محدودة ، وموادّهم التي شكلوا منها صورهم محدودة معروفة أيضا ٠

وقد حرص الشعراء على الاتيان بالمعاني الجيدة المنتقاة ، فتخيّروا لها الألفاظ العذبة ذات الأثر الكبير في نفوس الناس ، فحسنت استعاراتهم وكناياتهم ، وصورهم المجازية ، وتفردت صورة البطل بميزات أكثر حسنا في المقطعات الشعرية ٠ فقد كنّى ربيعة بن مقروم عن شجاعته بقوله (١) :

وكنت اذا قربني جاذبتـــه حبالي مات أو تبع الجذابا

وبدا الحارث بن وعلة الجرمي موفقا حين كنّى عن رأب الصدع بجبر العظم ، يقول (٢) :

ما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

وكنّى عن شجاعته بقولة : (٣)

ألم تعلموا أنّي تخاف عرامتي وأن قناتي لا تلين على الكسر

وقد حرص كثير من الشعراء على ذكر كنايات السلاح ، في مقطوعاتهم الشعرية ، وفي ذلك يقول عمرو بن معد يكرب (٤) :

أعددت للحدثان سابغة بغة وعدّاء علندا

ونهدا وذا شطب يقدّ البيض والأبدان قدّا

فالسابغة كناية عن الدرع ، وعلندا كناية عن الحصان الغليظ الشديد ، والنهد كناية عن الفرس الضخم ، والشطب كناية عن السيف القاطع ٠

وكنى سعد بن مالك عن الدرع " بالنثرة الحصداء " في قوله (٥)

والنثرة الحصداء والرمح المكلل والرماح

وكنّى عنه حسيل بن سجيح الضبي بقوله : (٦)

وبيضاء من نسج ابن داود نثرة تخيرتها يوم اللقاء الملابسا

١- حماسة أبي تمام ج ٢/١١٦، وحماسة البحتري ص ٩٢، والتذكرة السعدية ص ١٠٥٠

٢- الوحشيات ص ١٦٧، وحماسة ابن الشجري ج ١/٢٦٤، الحماسة البصرية أ ج ١/٢١١، وحماسة النجفي ص ١٤٠

٣- المصادر السابقة بصفحاتها ٠

٤- حماسة أبي تمام ج ١/١٧٠، وحماسة البحتري ص ١٩٣، والحماسة البصرية ب ج ١/٥٠٠

٥- حماسة أبي تمام ج ٢/٧٣، وحماسة البحتري ص ٤٤، وصفوة الآدب ج ٦/١٥٥٠

٦- حماسة أبي تمام ج ٢/١٣٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكنّى عن الرمح بلفظة " مطرد" وعن السيف بلفظة " عضب " ، يقول [١] :

بمطرّد لدن صحاح كعوبـــــه وذى رونق عضب يقد القوانسا

وعن القوس " بحرميّة " وعن السهام طويلة النّصال " بسلاجم " يقول [٢] :

وحرميّة منسوبة وسلاجـــم خفاف ترى عن حدّها السم قالسا

وقد جوّد الشعراء في تخيرهم الاستعارات ، فقد جعل زيد الخيل الحرب وحشا لشـــدة بطشها ، وضراوتها ، فأسند اليها فعلا على سبيل المجاز ، وهو عض ، يقول [٣] :

أخا الحرب ان عضّت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمّرا

وشخّص عنترة الموت فجعله خصما عنيدا ، يقول [٤] :

ولقد لقيت الموت يوم لقيتـــه متسربلا والموت لم يتسربـــل

وقول الحارث بن هشام القرشي " وشممت ريح الموت " مما حسن وراق ، نظرا لما أحدثه فـــي معطيات الحواس ، فجعل الموت يشم بدلا من أن يرى ، يقول [٥] :

وشممت ريح الموت من تلقائهـــم في مأزق والخيل لم تتبـــدد

وفي هذا مقابلة بين خمود نيران قومه وشبوب نيران بني شيبان .

وحين يدعو الشاعر للرجل الكريم بالخير ، وزيادة العطاء ، يدعو له بأفضل ما تدعـــو العرب ، فيبتعد عن المبتذل من القول، تقديرا لمكانة الكريم ، وفي ذلك يقول العريان بن سهلة الجرمي [٦] :

فقلت له : جادت عليك سحابـــة بنوء يندّى كل فغو وريحـــان

وقلت :سقاك الله خمر سلافـــة بماء سحاب حائر بين مصدان

١- حماسة أبي تمام ج ٢/١٣٥ .
٢- المصدر السابق ج ٢/١٣٥ .
٣- حماسة البحترى ص ٣٨، وحماسة ابن الشجرى ج ١/٥٠٠ .
٤- حماسة البحترى ص ٣، والحماسة البصرية أج ١/٦٢ .
٥- حماسة أبي تمام ج ١/١٨٢، وحماسة البحترى ص ٥٠، والحماسة البصرية أح ١/٩٦ .
٦- حماسة أبي تمام ج ٤/١٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - الطابع القصصي في مقطعات الحماسة :

آثر بعض الشعراء الأسلوب القصصي في بعض مقطوعاتهم ووفقوا في ذلك . والنهج القصصي محبب الى النفس لانه يكشف عن حالة نفسية دقيقة في حياة الابطال في مواقفهم المختلفة . فالبطل يحاور زوجته تارة ، ويحاور ابنته تارة أخرى ، ويحاور صديقه أو ضيفه تارة ثالثة . واللغة التي يتحدث بها أبطالها أقدر على توصيل المعنى المراد ، وأقرب الى النفس ، وتكشف عن عمق العلاقة بين الشخوص أو بعدها . وتفرض طبيعة الموقف الشعرى طريقة الحوار المناسبة . فعنترة العبسي يرد على من تخوفه من اقتحام الصعاب بشيء من القوة يقول (١) :

بكرت تخوّفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها :انّ المنية منهل ... لا بد أن أسقى بذاك المنهل

ويقص علينا عبدالشارق بن عبدالعزى الجهني قصة موقعة خاضها مع قومه قصّا لطيفا يشعر القارىء أنه ملازم هذه الموقعة يعيشها ، ويتفاعل معها . وقد جعل لغتها مستمدة من واقع المعركة يقول (٢) :

فلما أن تلاقينا وثبنا ... جنحنا للكلاكل وارتمينا

فلم لم ندع قوسا وسهما ... مشينا نحوهم ومشوا الينا

شددنا شدة فقتلت منهم ... ثلاثة فتية ورميت قينا

وشدوا مثلها أخرى علينا ... فجرّوا مثلهم ورموا جوينا

فآبوا بالرماح محطّمات ... وأبنا بالسيوف قد انحنينا

ويسوق المفضل النكرى قصة مماثلة ، فيقول (٣) :

. فكم من سيد منا ومنهم ... بذى الطرفاء منطقه شهيق

١- حماسة البحترى ص ٣ ، والحماسة البصرية أج ١ / ٦٢ .

٢- حماسة أبي تمام ج ٢/ ١٧ ، ونسبها البحترى الى سلمة بن الحجاج الجهني ص ٦١ ، وحماسة صفوة الأدب ج ١/ ١٥٢ .

٣- حماسة أبي تمام ج ١/ ٤٩ ، وحماسة البحترى ص ٦٢ ،ونسبها صاحب الحماسة البصرية الى عامر ابن أسحم بن عدى النكرى أج ١/ ١٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأشبعنا الضباع وأشبعوهـــا فراحت كلها تئق يفـــوق
قتلنا الحارث الوضاح منهـــم كأن سواد لمّته العـــذوق
وقد قتلوا همو منّا غلامـــا كريما ما تخونه العـــروق

أما دريد بن الصّمة فقد أذهله خبر مقتل أخيه عبدالله ، فبدا غير مصدق ما يقول الناس ، وأنكـــر عليهم قولهم ، يقول [١]:

تنادوا : فقالوا أردت الخيل فارســا فقلت : أعبدالله ذلكم الــردى
فجئت اليه والرماح تنوشـــه كوقع الصياصي في النسيج الممدد
فطاعنت عنه الخيل حتى تنفســت وحتى علان حالك اللون أســود

وثمّة بائية لحجية بن المضرّب يقصّ قصته مع جاريته التي أرادت ارسال قعب اللبن الى أولاد أخيـــه اليتامى . وقد ساق لنا هذه المقطوعة بأسلوب قصصي مشوق زاد في حسنها يقول [٢]:

لججنا ولجت هذه في التغضـــب ولطّ الحجاب دوننا والتنقـــب
تلوم على مال شفاني مكانـــه اليك فلومي ما بدا لك واغضبي
رأيت اليتامى لا تسد فقورهـــم هدايا لهم في كل قعب مشعّـــب
فقلت لعبدينا أريحا عليهـــم سأجعل بيتي مثل آخر معـــزب
بني أحق أن ينالوا سغابـــة وأن يشربوا رنقا لدى كل مشرب

ويغلب الطابع القصصي أيضا على المقطوعات التي يكون فيها مفاضلة بين طرفين . وقد أجـــاد العريان بن سهلة الجرمي اذ عقد مفاضلة بين رجلين : أحدهما بخيل ، والثاني كريم فبيّن صفات كـــل منهما ، بأسلوب حواري لطيف ، يقول [٣]:

مررت على دار امرىء السود حولـــه لبون كَعَيْدان بحائط بستـــان
فقال : ألا أضحت لبوني كما تـــرى كأن على لبّاتها طين أفـــدان
وقلت : عسى أن يحوى الجيش سربهـا ولا واحد يسعى عليها ولا اثنان
ورحت الى دار امرىء الصدق حولـــه مرابط أفراس وملعب فتيـــان

١- حماسة أبي تمام ج٢/٣٠٤ ، والحماسة البصرية ب ج١/٢١٧.
٢- حماسة أبي تمام ج٣/١٦٨.
٣- حماسة أبي تمام ج٤/١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنحر مئنات يجر حوارهـــــا ... وموضع اخوان الى جنب اخـــوان

فقلت له : اني أتيتك راغبـــــا ... بذعلبة تدمى واني امرؤ عانـــي

فقال : ألا أهلا وسهلا ومرحبـــا ... جعلتك مني حيث أجعل أشجانـي

فقلت له : جادت عليك سحابـــة ... بنوء يندى كل فنو وريحـــان

وقلت : سقاك الله خمـــر سلافـــة ... بماء سحاب حائر بين مصـــدان

وقد يغالب الطابع القصصي شيء من الحدة والمناكفة بين المتحاورين ، فالزوجة لا تحب لزوجهـا أن يكون متقاعسا عن القتال . فزوجة الهذلول بن كعب العنبري تسأل في دهشة وعجب ان كان الرجـل المتقاعس عن القتال هو زوجها ، فيرد عليها طالبا منها ألاّ تتعجل الحكم ، وأن تتبين فعالـــه، يقـــول :(١)

تقول وصكت نحرها بيمينهـــا : ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ؟

فقلت لها :لا تعجلي وتبيّنـــي ... فعالي اذا التفّت عليّ الفوارس

وقد شاعت عبارات الترحيب في المقطعات ، في ثوب قصصي حسن ومن ذلك قول أحدهـم(٢):

فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبـا ... بموقد نار محمد من يرودهـا

وقول العريان بن سهلة الجرمـي(٣):

فقال : ألا أهلا وسهلا ومرحبـا ... جعلتك مني حيث أجعل أشجاني

وصورة البطل في مقطوعة النمري أكثر جلاء وعمقا مما تحدث أثرا طيبا في النفس ، يقول(٤):

وداع دعا بعد الهدوء كأنمـــا ... يقاتل أهوال السرى وتقاتلـــه

دعا بائسا شبه الجنون وما بـــه ... جنون ، ولكن كيد أمر يحاولـه

فلما سمعت الصوت ناديت نحـوه ... بصوت كريم الجد حلو شمائلـه

فأبرزت نارى ثم أثقبت ضوء هـــا ... وأخرجت كلبي وهو في البيت داخله

فلما رآني كبّر الله وحـــده ... وبشر قلبا كان جمّا بلابلـــه

١- حماسة أبي تمام ج٢/٢٢٨ ، وحماسة صفوة الادب ج٢/٢٦٤، والتذكرة السعدية ص ١٣٢.

٢- الحماسة البصرية ب ج٢/٢٤٢.

٣- حماسة أبي تمام ج٤/٢٤٢.

٤- المصدر السابق ج٤/٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبـــــا ... رشدت ولم أقعد اليه أسائلـــه

وقمت الى برك هجان أعـــــدّه ... لوجبة حق نازل أنا فاعلـــــه

بأبيض خطّت فعله حيث أدركـــت ... من الأرض لم تخطل علي حمائله

فجال قليلا واتقاني بخيـــــره ... سناما وأملاه من النيء كاهلـــه

بقرم هجان مصعب كان فحلهـــا ... طويل القرى لم يعد أن شقّ بازلة

فخرّ وظيف القرم في نصف ساقـــه ... وذاك عقال لا ينشّط عاقلـــــه

بذلك أوصاني أبي وبمثلـــــه ... كذلك أوصاه قديما أوائلـــــه

فالنمرى مصور متقن صنعته . فمقطوعته تطرح قصة متسلسلة أولها حديث عن رجل تائه بائـــس ينادى مستنجدا ، فردّ عليه ، ثم أوقد ناره ، وأخرج كلبه ، وهي عادة مستحبة عند العرب ، ثـم رحب بالضيف ترحيبا لائقا ، وهرع الى الابل ينتقي أحسنها ، لتكون طعاما للضيف . وهـــذه القيم متوارثة أوصى بها السلف الخلـف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د - الأوزان والقوافـــي :

ان البحور التي استخدمها شعراء الحماسة هي البحور التقليدية الشائعة في الشعـــر ولمّا كانت الموضوعات والأبواب التي غلبت على كتب الحماسة هي في الحماسة والفروسية ،والكـــرم والجود ، والرثاء ، والصبر ، والصفح والحلم ، فقد عمد الشعراء الى البحور التي تستوعب قـدرا كبيرا من الألفاظ . كالبحر الطويل الذى تكرر في خمس عشرة ومئة مقطوعة شعرية من مجمـــوع المقطوعات التي ساقها البحث شواهد دالة ، فضلا عن حرية تخير الألفاظ التي يسوقها الشاعـــر في مقطوعته فهو يجد نفسه في سعة من الانتقاء والتطواف في ضروب القول . فعروة بن الورد لا يحس بالقيود اللفظية التي تلزمه نهجا محددا ، بل يطرح فكرته طرحا واضحا حسنا ، يقول[١]:

فان نحن لم نملك دفاعا بحـــادث ... تلمّ به الأيام فالموت أجمـــل

ويقول الحارث بن وعلة الجرمي[٢]:

أعود على ذى الجهل والذنب منهم ... بحلمي ، ولو عاقبت غرّقهم بحـرى

وتقول ريطة بنت عاصـــم[٣]:

ولو أنّ سلمى نالها مثل رزئنـــا ... لهدّت ، ولكن تحمل الرزء عامـــر

وثمة البحر الكامل الذى تكرر أربعا وعشرين مرة من مجموع الشواهد الشعرية التي ساقها البحـــث. وهو من البحور الغنائية التي تستوعب مفردات كثيرة كما البحر الطويل ، ولا سيما في مواطـــن الفروسية ، وفي ذلك يقول الأسعر الجعفي[٤]:

ولقد علمت على تجشمي الرّدى ... أن الحصون الخيل لا مدر القـرى

انّي رأيت الخيل عزّا ظاهـــرا ... تنجي من الغمى ويكشفن الـردى

مسحوا لحاهم ، ثم قالوا : سالموا ... يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحى

ويقول عنتـــــرة :[٥]

١- حماسة أبي تمام ج٣/١٦٣، والتذكرة السعدية ص٢٨٢.

٢- الوحشيات ص١٦٧، وحماسة ابن الشجرى ج١/٢٦٤ ، والحماسة البصرية أج١/٢١١ ، وحماسة النجفي ص١٤.

٣- حماسة أبي تمام ج٣/١١٥.

٤- حماسة البحترى ص٩٣.

٥- حماسة البحترى ص٣، والحماسة البصرية أج١/٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها : ان المنية منهل ... لا بد أن أسقى بذاك المنهل
ان يلحقوا أكرر وان يستلحموا ... أشدد وان نزلوا بضنك انزل

وتكرر البحر البسيط عشرين مرة من مجموع الشواهد الشعرية في البحث ، وهو بحر يستوعب مفردات كثيرة أيضا ، يقول بشامة بن حزن[1]:

انّا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نسام بها في الأمن أغلينا
انّي لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الحماة : ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا ... مَنْ فارس خالهم أياه يعنونا

وتكرر البحر الوافر تسع عشرة مرة من مجموع تلك الشواهد الشعرية ، وهو من البحور الغنائية أيضا ، يقول ربيعة بن مقروم:

اذا حاربتَ حاربَ من تعادى ... وزاد سلاحُه منك اقترابا
وكنت اذا قريني جاذبته ... حبالي مات أو تبع الجذابا

ويقول حيّان بن ربيعة الطائي:

لقد علم القبائل أن قومي ... ذوو جد اذ لبس الحديد
وانّا نعم أحلاس القوافي ... اذا استعر التنافر والنشيد

أما البحور الأخرى فلم يحفل الشعراء بها كثيرا ، وأن أيّا منها لم يتكرر سوى ثلاث مرات أو مرتين أو مرة واحدة ، وذلك لأنها لا تستوعب ألفاظا كثيرة ، ولا تتيح للشاعر المجال للتعبير عن فكرته التي يريد .

أما القوافي فقد تنوعت ، وغلب عليها حروف المد واللين أو ما تسمى حروف الاطلاق لانها تساعد على الغناء . ويظهر ذلك جليا في قول ربيعة بن مقروم الضبي:

أخوك أخوك من تدنو وترجو ... مودته وان دعي استجابا

فحرف الروى الباء مطلق في هذا الموضع . وأكثر ما يكون الاطلاق في مقطعات الرثاء ، اذ يعبر الشاعر فيها عن حسراته ، وآلامه ، فيطلق آهاته ، وفي ذلك يقول اياس بن الأرت:

١- حماسة أبي تمام ج١ /٩٧، والتذكرة السعدية ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا رأيت الصبح أقبل وجهـــــه دعوت أبا أوس فما أن تكلمـــــا

ويقول عبدة بن الطبيب:

عليك سلام الله قيس بن عاصـــم ورحمته ما شاء أن يترحمـــــا

ويقول أبو تمـــــام :

فتى كان شربا للعفاة ومرتعـــا فأصبح للهندية البيض مرتعـــا

ويقول مروان بن أبي حفصة:

مضى لسبيله معن وأبقـــــى مكارم لن تبيد ولن تنـــــالا

وتقول عاتكة بنت بن زيد بن عمرو بن نفيل:

فلله عينا من رأى مثله فتـــــى أكرّ وأحمى في الهياج وأصبـــرا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : مواقف حضارية من صورة البطـــل:

ان البطل - مهما تعددت صوره ، ومهما عظمت منزلته - لا يستطيع أن يصل الى قمـــة السيادة ، ومراتب المجد ، بقوته الذاتية ، ومجهوده الفردي ، بل يفعل عوامل أخرى تساعده علـى الوصول الى ما يريد . وهذه العوامل التي تساعد في تشكيل صورة البطل كثيرة. وقد آثر البحـــث أن يتخير ثلاثة منها لها ارتباط وثيق الصلة بالبطل وهي المرأة والخيل والسلاح .

أ - المـــرأة :

العرب أكثر اهتماما بالنساء وحدبا عليهن ، لأنهن أضعف من الرجال ، وأشد حاجـة الى الحب والعطف ، وأكثر لصوقا بالأطفال من الآباء . وقد حرمت العرب على حمايتها من المهانـة والاذلال أيّا كان مصدرهما . فالمرأة عزيزة الجانب ، فضلا عن أن العرب يفدّونها بحياتهم اشعـــارا بأنها أعز انسان عليهم . وغالبا ما كانوا يقرنون بها عزيزا آخر ، أو يفردونها حينـا .

ذكر الدكتور أحمد الحوفي أن الخال وابن اخته قد تبادلا النصرة ، لأن كليهما يعـــــز الآخر ، ويعتز به ، واذا كان الخال يرى في ابن اخته ولده ، فان الولد يرى في خاله أباه ، ويعـــرف حقوقـــه . (١)

فقد ثأر تأبط شرا لخاله ، وأوكل الى ابن أخته أن يثأر له ان قتل، يقول(٢):

ان بالشعب الذي دون سلـــــع لقتيلا دمه ما يطـــــل

خلف العبء علي وولّـــــــى أنا بالعبء له مستقـــل

وراء الثأر مني ابن اخـــــت مصع عقدته ما تحـــــل

وقد يصفح البطل عن مساءة خاله بسبب أمه - المساءة التي لا وتر فيها لأب أو أخ - لأنـــه مؤمن أن في القصاص منه ايلاما لنفسه. وقد مثل المتلمس هذا الامر وجعله كمن يقطع كفه بكف لـــه أخرى ، فأصبح أجذما . يقول المتلمس في صفحه عن أخواله ، وبيان المشاعر التي منعته مـــن

١- الدكتور أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٣ ، ص ١٣٦ .

٢- حماسة أبي تمام ج٢/٣١٣ ، وحماسة صفوة الأدب ج٢/١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصاص منهم يقـــول [١]:

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتـــي ... جعلت لهم فوق العرانين ميسما

وما كنت الاّ مثل قاطع كفّـــه ... بكفّ له أخرى فأصبح أجذما

يداه : أصابت هذه حتف هـــذه ... فلم تجد الأخرى عليها مقدّما

فلما استقاد الكف بالكف لم يجد ... دراكا لها في أن تبين فأجحما

فأطرق اطراق الشجاع ولو يـــرى ... مساغا لنابيه الشجاع لصمّما

وثمة ذكر للزوجة وقد أحب العرب الودود الولود منها . وكان هذا من بواعث ايثارهم الشابة البكر، لأنهم كانوا يفرحون بكثرة الأولاد ، ويعتزون بهم ، ويفاخرون ، ويعيّرون بقلتهم لأن حياتهم القبلية كانت تعتمد على العصبيّة والنصرة ، والحروب ، وفي كثرة العدد عز ومنعة ولا سيما اذا كان رجال القبيلة من الفرسان المعدودين الذين يخشى لقاؤهم ، وفي قلة العدد ضعف واستهانة . ذكر الدكتور أحمد الحوفي أنّ القبيلة كانت تهنأ وتقيم العرس لثلاث : غلام يولد ، وشاعر ينبغ ، وفرس تنتج .[٢]

ويعد عقم المرأة عارا عند عرب الجاهلية ، وقد دافع المسؤل عن قلة عددهم ، فقال[٣]:

تعيّرنا أنا قليل عديدنـــا ... فقلت لها : ان الكرام قليـــل

فما ضرّنا أنا قليل وجارنـــا ... عزيز وجار الأكثرين ذليـــل

أما في الاسلام فقد تغيرت نظرة الناس الى المرأة ، فلم تعد القلة أمرا ذا بال . أما الكثرة فقد ظلت محمودة ، لذا فقد حرص المسلمون على الزواج من النساء الولائد .

أما نظرة الاسلام الى الولد والبنت فقد تغيرت أيضا الاّ من بعض القصص التي تبين مدى محبة الرجال للولد وتفضيله على البنت ، منها قصة أبي حمزة الضبي الذى هجر زوجه حين ولدت له بنتا ، وكان يقبل عند جيرانه ويبيت ، فمرّ بخبائها يوما ، فسمعها تغني لابنتها بقولها :

١- الوحشيات ص ١١٢، وحماسة صفوة الادب ج١ /١٤٧، والحماسة البصرية ب ج١ /٤١.

٢- الدكتور أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ص ١٥٤.

٣- حماسة أبي تمام ج١ /١٠٧، والحماسة البصرية أج١ /١٤٦، والتذكرة السعدية ص٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما لأبي حمزة لا يأتينـــــــا ... يظل في البيت الذى يلينـــا

غضبان ألا نلد البنينـــــــا ... تالله ما ذلك في أيدينـــــا

الى آخر الأبيات ، فثاب الى رشده ، وولج الخباء ، فقبل رأس زوجته ، وقبّل ابنتـه [١]:

وقد حرص الأبطال على اشهاد المرأة على مفاخرهم ، وبطولاتهم ، وقد كلفوا بتوجيـه الخطاب الى الزوجة أو الحبيبة واشهادها على تلك المفاخر ، يقول عروة بن الورد [٢]:

دعيني أطوّف في البلاد لعلّنـــي ... أفيد غنى فيه لذى الحق محمل

أليس عظيما أن تلم ملمّـــــة ... وليس علينا في الحقوق معوّل

فان نحن لم نملك دفاعا بحـــادث ... تلم به الأيام فالموت أجمـــل

ويقول زيد الخيل أيضـا : [٣]

رأتني كأشلاء اللجام ولن تـــــرى ... أخا الحرب الاّ ساهم الوجه أغبـرا

أخا الحرب ان عضّت بها الحرب عضّها ... وان شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

فلاتسأليني واسألي أيّ فـــــارس ... اذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا

ويقول أوس بن حجـر [٤]:

ألم تعلمي أم الجلاس بأنّنـــــي ... كريم لدى وقع السيوف الصـوارم

وانّا لنعطي الحق منّا وانـــــا ... لنأخذه من كل أبلج ظالـــم

وقد يشهد الفارس غير زوجه على فروسيته ، وفي ذلك يخاطب أبو محجن الثقفـي زوج سعد بن أبي وقاص يوم القادسية قائلا : [٥]

لا تسألي الناس عن مالي وكثرتـه ... وسائلي القوم عن مجدى وعن خلقي

١- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، مكتبة المثنى بغداد ط٢، ١٩٦١، ج٤/٤٧.

٢- حماسة أبي تمام ج٣/١٦٣، والتذكرة السعدية ص٢٨٢.

٣- حماسة البحترى ص٣٨، وحماسة ابن الشجرى ج١/٥٠٠.

٤- حماسة البحترى ص٢٤٤.

٥- الوحشيات ص ١٦٩، وحماسة ابن الشجرى ج١/٢٣٤، والحماسة البصرية أج١/٣٣، والتذكرة السعدية ص١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعطي السنان غداة الروع حصتـه وعامل الرمح أرويه من العلـق

وأطعن الطعنة النجلاء عن عـرض تنفي المسابير بالازباد والفهق

ويقول يحي بن زيـاد[١] :

ألم تعلمي يا ربة الخدر أننـي أبيّ اذا رام العدوّ تهضّمـي

أقدم معروفي الى كل طالـب ويعرف في يوم اللقاء تقدّمي

وقد يضطر البطل الى الفرار ، وهو يعلم أن الفرار مخزاة ، ومعرّة ومهانة ، فيحاول أن يسـوغ فراره ، ويلتمس لنفسه المعاذير ، وكثيرا ما يختص الفارس زوجه بأعذاره لأنها الأولى التـي يهمّه أن تشهد له بالشجاعة ، وقوة البأس ، والاقدام ، ويخجله أن تصمه بالجبن والتقاعـس والانكفاء. فقد فرّ أزهر بن هلال التميمي ، فاعتذر لزوجه ، بأنه لم يفر الا بعد أن هزم رجالـه ، وتفرقوا ، فلم يجد من الكياسة والحصافة أن يتقدم وحده ، ففرّ بعد أن أثخن الجراح في أعدائـه ، يقول[٢]:

أعاتك ما ولّيت حتى تبـددت رجالي وحتى لم أجد متقدّمـا

أعاتك اني لم ألم في قتالهـم وقدعض سيفي كبشهم ثم صمما

أعاتك أفناني السلاح ومن يطل مقارعة الأبطال يرجع مكلّمـا

ولعل في ترديد اسم زوجه ثلاثا شعورا بالذنب يلازمه ، فكأنه في هذا يطلب منهـا الصفح والعفو .

والمرأة العربية مهما بلغت شجاعتها وكلفها بالبطولة ، فانها لا بد أن تخاف علـى زوجها - ان كانت زوجا - أو على أبيها - ان كانت ابنة - من الردى ، لئلا تحرم حمايته واعزازه وعشرته ولئلا تترمل ، ويتيتم بنوها . فهي تحاول جاهدة أن تثنيه عن الحرب حينا ، وعن الغارات حينا .

ولا يقتصر تأثير المرأة على البطل في مجال الفروسيه فحسب ، ولكنها تأثير علـى البطل في مجال الكرم . فقد حرصت أشد الحرص على مال الزوج بدافع المشاركة في تبعات الحيـاة، وبدافع شعورها بأن هذا المال لها ولبنيها ولزوجها . وأنها تحقق به مآربها . وأكثر ما تبدو المرأة

١- حماسة البحتري ص١٥٤ .

٢- حماسة البحتري ص١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المقطعات الشعرية - لوّامة زوجها على الاسراف والتبذير ، ويبدو أن الليل كان الظرف الملائم لهذه الملامة لان الرجل حينئذ يخلو الى زوجه ، فتتفرّد به . فهما يتناولان معا شؤون اليوم ، يقول حاتم الطائـي :(١)

وعاذلة هبت بليل تلومنـــي ... كأني اذا أعطيت مالي أضيمهـا
أعاذل ان الجود ليس بمهلكـي ... ولا مخلد النفس الشحيحة لومها
وتذكر أخلاق الفتى وعظامـه ... مغيبة في اللحد بال رميمهـا
ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمهـا

ويقول المثلّم بن رياح المرّي(٢):

بكر العواذل بالسواد يلمننـي ... جهلا يقلن : ألا ترى ما تصنـع
أفنيت مالك في السفاه وانمـا ... أمر السفاهة ما أمرنك أجمـع
وقتود ناجية وضعت بقفـرة ... والطير غاشية العوافي وقـع
انّي مقسم ما ملكت فجاعـل ... أجرا لآخرة ، ودنيا تنفـع

ولبعض الأبطال قصص لطيفة مع نسائهم البخيلات ، من ذلك قصة حجيّة بن المضـرّب مع جاريته . فقد رآها تحمل قعبا فيه لبن ، فسألها أين تذهب به ، فأجابته : أولاد أخيك اليتامـى فأراقه . فلما أراح راعياه الابل ، قال لهما : أريحا هذه الابل على أولاد أخي ففعلا ، فغضبـت امرأته غضبا شديدا ، فقال قصيدته هذه يبيّن فيها غضب زوجته وغيظها ، ويبيّن أنفته وكرمـه ولم يعبأ بغضب زوجته وحنقها ، فهو رجل يحتفظ لنفسه بمقومات الرجولة ، يقول:(٣)

لججنا ولجت هذه في التغضـب ... ولطّ الحجاب دوننا والتجنّـب
تلوم على مال شفاني مكانـه ... اليك فلومي ما بدا لك واغضبـي
رأيت اليتامى لا تسدّ فقورهـم ... هدايا لهم في كل قعب ومشعـب
فقلت لعبدينا أريحا عليهـم ... سأجعل بيتي مثل آخر معـزب
وقلت : خذوها واعلموا أن عمّكـم ... هو اليوم أولى منكم بالتكسـب

١- حماسة أبي تمام ج٤/٣٣٨.

٢- حماسة أبي تمام ٤/١٩٥.

٣- حماسة أبي تمام ج٣/١٦٨، والاغاني ج٢/٣١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنيّ أحق أن ينالوا سغابة ... وأن يشربوا رنقا لدى كل مشرب

وقد صور الشعراء النساء بخيلات أو تحث الرجال على البخل ، وفي ذلك يقول سوادة اليربوعي[١]:

ألا بكرت مني عليّ تلومني ... تقول : ألا أهلكت من أنت عائله

ذريني فان البخل لا يخلد الفتى ... ولا يهلك المعروف من هو فاعله

ويقول يزيد بن الجهم الهلالي[٢]:

لقد أمرت بالبخل أم محمد ... فقلت لها : حثّي على البخل أحمدا

فاني امروٌ عوّدت نفسي عادة ... وكلّ امرىء جار على ما تعوّدا

ويقول عبدالله بن الحشرج[٣]:

ألا بكرت تلومك أم سلم ... وغير اللوم أدنى للسداد

وما بذلي تلادي دون عرضي ... باسراف أميم ولا فساد

ولكني امروٌ عودت نفسي ... على علّاتها جرى الجواد

ويقول رجل من سعد[٤]:

ألا بكرت أم الكلاب تلومني ... تقول : ألا قد أبكأ الدّر حالبه

تقول : ألا أهلكت مالك ضلّة ... وهل ضلّة أن ينفق المال كاسبه

١- حماسة أبي تمام ج٤/٢٥١.

٢- المصدر السابق ج٤/٢٥٠.

٣- المصدر السابق ج٤/٢٥٧.

٤- المصدر السابق ج٤/٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - الخيـل:

حرص العرب على امتداد عصورهم على الخيل ، وحافظوا عليها ، فخلّدوا ذكرهـا وصفاتها في شعرهم . وقد عرف عنهم عنايتهم بها ، وبأنسابها . وقد اهتم بعض العلماء بالخيـل كالأصمعي وأبي عبيدة ، فكتبا كتبا في الخيل وأنسابها .

وقد حظيت المقطعات الشعرية في كتب الحماسة بذكر كثير من أسماء الخيـل ، وبطولاتها التي لم تكن تقل أهمية عن بطولات أصحابها ، فكانت موضع تقدير واعجاب . وقد ذكـر ابن الكلبي في كتاب أنساب الخيل ما يزيد على مئة فرس من أفراس العرب في الجاهلية والاسلام مـع ذكر نسبتها الى أصحابها[١].

ذكر أبو عبيدة في كتاب الخيل أن العرب لم تكن تصون شيئا من أموالها وتكرمه ، كما تصون الخيل وتكرمها ، فهي عدتهم في الحرب ، يدافعون بها عن الحمى والعرض والممتلكـات ، ويطلبون بها ثأرهم ، ويغنمون ويتخذونها معاقل تقيم غارة خصومهم"[٢].

وكان للعرب فيها من التباهي والتفاخر والتنافس ما يدعو الى التأمل . ففي اكرامهـا اكرام للمرء ، وقد يجوع العربي ، ويظل أياما دون قوت يقيته ، غير أنه لا يفعل هذا مع فرسـه ، فاشباعها قبل اشباعه ، ووصل الأمر ببعضهم الى ايثار الخيل على النفس والأهل والولد ، فتـرى الفارس يسقي فرسه المحض ، ويعلفه الشعير ، ويجلله بالأكسية التي تصونه ، وتمنع عنـه أذى الرياح في الشتاء[٣]. وذكر أبو عبيده أن العرب يعيّر بعضهم بعضا باذالة الخيول ، وهزالهـا وسوء صيانتها ، ولم تزل العرب على ذلك من تثمين الخيل ، والرغبة في اتخاذها ، وصيانتهـا على مقاساة مؤونتها مع جدوبة بلادهم ، وشدة حالهم في معيشتهم الى درجة أنهم سمّوها الخير .

١- ابن الكلبي : أنساب الخيل ، تحقيق أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصريـة ص ١٢٩ .

٢- أبو عبيدة : معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ) : كتاب الخيل ، تحقيق الدكتـور محمد عبدالقادر أحمد ، ب.ن. القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص٨٤.

٣- ابو عبيدة : الخيل ص٨٤.

٤- المصدر السابق ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أضيفت الخيل الى أسماء بعض الأبطال ، فقيل زيد الخيل لشدة حبه للخيل وشغفه بها ، وكثرة اقتنائه لها . فقد ذكر له أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ستة أفراس [١].

والفرس عدة الفارس في الحروب ، وقد عظّمها الفرسان ، وأعزوها ، يقول الأسعر الجعفي[٢]:

انّي رأيت الخيل عزّا ظاهرا تنجي من الغمّى ويكشفن السردى

وكانت العرب تعظم الخيل وتعزّها ، وتقرنها بالولد فقد ذكر ابن رشيق في العمدة قال:

" وكانوا لا يهنئون الاّ بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج "[٣].

وكان لقب الفارس يضاف الى فرسه تعظيما واكراما ، فيقال : فارس المزنوق ، والمزنوق هو فرس عامر بن الطفيل ، يقول:[٤]

وقد علم المزنوق أنّي أكرّه على جمعهم كرّ المنيح المشهّر

وقد ورد ذكر الخيل في المقطعات الشعرية في كتب الحماسة كثيرا ، وهي في الاغلب خيل مقاتلة تكمل صورة البطل المقاتل . فهو لا يستغني عنها في صولاته وجولاته .

وقد عرف عن العرب عدم بيعهم الجياد مهما ضاقت بهم السبل ، لأن بيعها مثلبة. وهذا ما يوحي بالثقة الاكيدة التي تغمر قلب العربي ، والاعتقاد الراسخ بحبهم هذا الحيوان الأصيل . وقد جعل هذا الأمر الأسعر الجعفي يثور على اخوته ، ويعرض بهم ، ويلومهم لوما شديدا ، لأنهم باعوا جوادهم الذى هو عدتهم وعتادهم ، يقول[٥]:

باعوا جوادهم لتسمن أمهم ولكي يعود على فراشهم فتى

ثم يبيّن قيمة الخيل ، وأثرها في الحرب :

ولقد علمت على تجنبي السردى أن الحصون الخيل لا مدر القرى

١- الأغاني ج١٧/١٧٣.

٢- حماسة البحترى ص٩٣.

٣- ابن رشيق ، العمده ج١/٦٥.

٤- حماسة البحترى ص٤٦ ، وحماسة ابن الشجرى ج١/٢٢ ، والحماسة البصرية أج١/٣٠٩.

٥- حماسة البحترى ص٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يخرجن من خلل الغبار عوابسا كأصابع المقرور أقعى فاصطلى

اني وجدت الخيل عزا ظاهرا تنجي من الغمّى ويكشفن الردى

فهذه ثورة فارس يهم بأمر عظيم ، وهو الأخذ بثأر أبيه ، ويرى اخوته يهملون فرسهم ، ويشبعون أمهم ، فيتملّكه الغضب ، ويصب لومه عليهم ويعنفهم ، ويسخر منهم ويعرض بأمهم ، وبيّن ما يولي فرسه من اهتمام ، فهي مقدمة على كل عزيز ، وأوضح نظرة العربي المقاتل للخيل ، فهو يعتبرها حصونا مانعة ، لا جدر حجارة.

ويرى زيد الخيل أن المقاتل الحق هو الذى يخوض القتال على جواد ضامر أجرد يقول:(١)

وليس أخو الحرب العوان بمن نأى بجانبه ولا السؤوم المؤاكل

ولكن أخوها كل أشعث دارع يعالي السلاح فوق أجرد ناقل

ويربط زيد الخيل الفروسية بجولات الخيول بين الرماح ، يقول:(٢)

فلا تسأليني واسألي أيّ فارس اذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا

واذا أراد الفارس أن يعبر عن رغبته في ملاقاة الخصم قال : تلاقوا خيلي ، فقد أسند أحد بني تيم الله بن ثعلبة اللقاء الى الخيل ، ولم يسنده الى نفسه ، اشارة منه الى بيان قوة الخيل ومدى تأثيرها في الحرب ، يقول:(٣)

رويد بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان

تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى اذا ما غدت في المأزق المتدان

عليها الكماة الغر من آل مازن ليوث طعان عند كل طعان

وخذلان الجواد صاحبه عادة غير مستحبة عند العرب ، فعامر بن الطفيل يحث جواده على الاقدام فيقول:(٤)

اذا ازورّ من وقع الرماح زجرته وقلت له : ارجع مقبلا غير مدبر

١- حماسة ابن الشجري ج١ /٠٦٨

٢- حماسة البحتري ص٣٨ ، وحماسة ابن الشجري ج١ /٠٥٠٠

٣- حماسة أبي تمام ج١ /١٢٢، وحماسة صفوة الأدب ج١ /١٢٠، والحماسة البصرية بج١ /١٥٣، والتذكرة السعدية ص٠٦٩

٤- حماسة البحتري ص٤٦، وحماسة ابن الشجري ج١ /٢٢، والحماسة البصرية أج١ /٠٣٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقدّم عنترة الخيل على الفوارس ، وبيّن أن الخيل والفوارس قد تبيّنوا موقفه البطولي ، وتضحياته ، وصموده ، يقول[١]:

والخيل تعلم والفوارس أنني فرّقت جمعهم بطعنة فيصل

ويصف قبيصة بن النصراني الجرمي خيله بأنها أفضل خيل ، وأنه لم ير مثلها قوّة يقول[٢]:

لم أر خيلا مثلها يوم أدركت بني شمجي خلف اللهيم على ظهر

وندر أن تخلو مقطوعة شعريةمقاتلة من ذكر الخيل ، وهذا يؤكد ما ذهب اليه البحث من حرص العرب على الخيل ، واكرامها ، والعناية بها . وقد حرص الشعراء على تصوير الخيول عند اشتداد المعركة وهي تقتحم الصفوف غير مبالية مما تلاقي من مصاعب ، يقول العباس بن مرداس السلمي[٣]:

اذا الخيل جالت عن قتيل نكرّها عليهم فما يرجعن الاّ عوابسا

ويفزع المقاتل الى جواده طالبا منه الصبر والجلد في المعركة ، وذلك بحكم الألفة والعلاقة بينهما ، يقول عامر بن الطفيل في ذلك[٤]:

ألست ترى أرماحهم فيّ شرّعا وأنت حصان ماجد العرق فاصبر

وثمةأمور يحسن بالباحث أن يمرّ بها مرورا دون التفصيل فيها ، ومنها تشبيه أصوات الخيل بأصوات الطيور والحيوانات ، فجريبة بن الأشيم جعل صياحها مثل صياح النسور ، يقول[٥]:

اذا الخيل صاحت صياح النسور حززنا شرا سيفها بالجذم

ومنها رسم صورة مثالية للخيل ، فهي جرداء ضامرة ، يقول زفر بن الحارث الكلابي[٦]:

ولمّا لقينا فتية تغلبيّة يقودون جردا للمنية ضمّرا

١- حماسة البحتري ص٣، والحماسة البصرية أج١ /٦٢.

٢- حماسة أبي تمام ج٢/١٦٦.

٣- حماسة أبي تمام ج٢/١٥، وحماسة صفوة الادب ج١ /١٥٣؛والحماسة البصرية أج١ /١٨٦، والتذكرة السعدية ص١٤٤.

٤- حماسة البحتري ص٤٦ ، والحماسة البصرية أج١ /٣٠٨.

٥- حماسة أبي تمام ج٢/ ٢٧٢ ، والحماسة البصرية أج١ /٢٧٤ ،والتذكرة السعدية ص١٤١.

٦- حماسة أبي تمام ج١ /١٥٠، والحماسة البصرية أج١ /١٨١، والتذكرة السعدية :ص٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ - السلاح:

يرتبط ذكر السلاح بذكر الخيل في المقطعات الشعرية ، وقل أن تخلو مقطوعة شعرية من ذكرهما مرتبطين معا .

ويحتاج الفارس - لاستكمال عدة الغلبة ، والظفر بعد قوته الجسمية ، ومرانه على احتمال المشاق ، وخوض المكاره ، وبعد جواده المعرق الضامر - الى شكة تامة يعدها للنائبات ممثلة في سيف عضب ، ورمح لدن ، ودرع سابغة ، وبيض تلمع ، فضلا عن القسيّ والسهام. فالفارس الحق يكون كامل الشكة محتاطا لكل ملمّة ، يقول حسيل بن سجيح الضبي[١]:

بمطرد لدن صحاح كعوبه ... وذي رونق عضب يعض القوانسا

وبيضاء من نسج ابن داود نثره ... تخيّرتها يوم اللقاء الملابسا

وحرمية منسوبة وسلاجم ... خفاف ترى عن حدّها السم قالسا

فعدّته رمح مستقيم لدن يهتز في يده صحاح كعوبه ، وسيف له رونق ، قاطع بتّار يقدّ أعالي الخوذات ودرع بيضاء عريقة في القدم من نسج سليمان بن داود محكمة النسج حتى ترد السهام. وقد تخيّرها يوم النزال ملبسة ، ويتخير قوسا متخذة من شجر الحرم . فهي متينة نادرة وهي منسوبة معروفة الأصل وسهام طوال خفاف تقذف السم.

أما عدة عمرو بن معد يكرب ، فمكونة من درع سابغة ، وجواد قوى ، وسيف شطب، يقول[٢]:

أعددت للحدثان سابغة وعدّاء علندا

نهدا وذا شطب يقدّ البيض والابدان قدّا

ويرى زيد الخيل أن الفارس هو الذى تمرس في فنون القتال بكل أنواع الاسلحة ، يقول[٣]:

وليس أخو الحرب العوان بمن نأى ... بجانبه ولا السؤوم المؤاكل

ولكن أخوها كل أشعث دارع ... يعالي السلاح فوق أجرد ناقل

١- حماسة أبي تمام ج١ /١٣٥ .

٢- المصدر السابق ج١ / ١٧٠ .

٣- حماسة ابن الشجرى ، ج١ /٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا تختلف عدة سعد بن مالك عن عدد الفرسان الآخرين ، فهو يذكر لنا الـــدرع الواسعة المحكمة النسج ، والسيوف والرماح والأسنة ، ويجعلها مكملة للخيل ، يقول [١] :

والحرب لا يبقى لجاحمهـا التخيّل والمـــراح
الاّ الفتى الصبار في النجدات والفرس الوقـاح
والنثرة الحصداء والبيض المكلل والرمـــاح

فالفارس تام السلاح قادر على الصمود في النوازل ، ومواجهة الخصول ، ويبين حيّان بن ربيعة للقبائل أن قومه مقدمون على القتال ، وجادون فيه ، فقد لبسوا عدة القتال • وقد أشهد السيوف على فعلهم وفتكهم ، يقول [٢] :

لقد علم القبائل أنّ قومـــي ذوو جدّ اذا لبس الحديـــد
وانّا نعم أحلاس القوافـــي اذا استعر التنافر والنشيـد
وانّا نضرب الملحاء حتـــى تولّي والسيوف لنا شهـــود

ويظهر في أبيات السموأل بن عادياء مدى تعلق قومه بالسلاح • فهم لا يموتون الاّ في ساحـات القتال • وأن أسيافهم قوية ترهب الأعداء ، فهي لا تغمد الاّ حين تقضي حاجة صاحبها ، يقول [٣] :

تسيل على حد الظبات نفوسنـــا وليس على غير الظبات تسيـل
وأسيافنا في كل شرق ومغـــرب بها من قراع الدارعين فلـــول
معودة الاّ تسيل نصالهـــا فتغمد حتى يستباح قبيـــل

وكانت العرب تقاتل بحمية شديدة ، وقلوب جريئة ، ومهارة فائقة ، ودربة تامة ، وسيـــوف اذا هزّوها لم تكب ، واذا ضربوها لم تنب وكان العربي اذا رأى خصمه قد حاد عن طريقه ، وتجنب ظبة سيفه ، هجم عليه حتى يصله ، وهذا منتهى الشجاعة والبأس ، يقول بشامة بن حزن [٤] :

اذا الكماة تنحّوا أن يصيبهـــم حد الظبات وصلناها بأيدينـــا
ونركب الكره أحيانا فيفرجـــه عند الحفاظ وأسياف تواتينـــا

ويذكر ربيعة بن مقروم الضبي أن قومه خلقوا للحرب ، اذا لبسوا الدروع حسبتهم ســـادة

١- حماسة أبي تمام ج ٢/٧٣، وحماسة البحتري ص ٤٤ ، وحماسة صفوة الأدب ج ١/١٥٥ •
٢- حماسة أبي تمام ج ١/٢٧٨، والتذكرة السعدية ص ٩٦ •
٣- حماسة أبي تمام ج ١/١٠٧، والحماسة البصرية أج ١/١٤٦، والتذكرة السعدية ص ٤٧ •
٤- حماسة أبي تمام ج ١/٩٧، والتذكرة السعدية ص ٤٤ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناس ٠ فقد أقاموا بثغر يخاف الاقامة فيه غيرهم ، وجعلوا السيوف والرماح معاقلهم ، يقول[١] :

بنو الحرب يوما اذا استلأموا ... حسبتهم في الحديد القروما

وثغر مخوف أقمنا به ... يهاب به غيرنا أن يقيما

جعلنا السيوف به والرماح ... معاقلنا والحديد النظيما

ومما يحسن ذكره في هذا المقام أن العرب عندها علم بالسلاح وأوصافه ، وأنواعه ، وحالات استعماله فقد ذكر ابن عبد ربه في العقد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عمرو بن معد يكرب أن يرسل اليه بسيفه المعروف بالصمصامة ، فأرسله اليه ، فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه ، فكتب اليه في ذلك ، فرد عليه : انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ، ولم أبعث اليه بالساعد الذى يضرب به ٠ وسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما عن السلاح ، فقال : يسأل أمير المؤمنين ما بدا له ، قال : ما تقول في الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك فانقصف ٠ قال : فالنبل ؟ قال : منايا تخطيء وتصيب ٠ قال : فما تقول في الدرع ؟ قال : مثقلة للراجل ، متعبة للفارس ، انها لحصن حصين ٠ قال : فما تقول في السيف ؟ قال : هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين ٠ فضربة بالدرة ، وقال : بل لا أم لك ٠ قال أضرعتني اليك [٢].

وفي موضع آخر ذكر صاحب العقد أن الهيثم بن عدىّ قال :

وصف سيف عمرو بن معد يكرب الذى يقال له : الصمصامة لموسى الهادى ، فدعا به، فوضع بين يديه مجرّدا ، ثم قال لحاجبه : ايذن للشعراء ، فلما دخلوا ، أمرهم أن يقولوا فيه ، فقالوا فيه شعرا ٠٠٠ وقد أمر لبعضهم ببدرة لحسن وصفه [٣].

ومما يدل على محبة العرب للسيف كثرة الأسماء الدالة عليه حتى قاربت المئة ٠وهذه الأسماء صفات ، والصفات تكثر للشيء حين تزيد العناية به ،ز والتغني بمحامده ، وآثاره ٠ فقد احتكمت العرب الى السيوف في خصوماتهم ، يقول الشميذر الحارثي [٤] :

١- الحماسة البصرية أج ١/١٥٤، وحماسة البحترى ص ١٨٠٠

٢- ابن عبد ربه الاندلسي : أبو عمر احمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ) :العقد الفريد، شرحه وضبطه أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وابراهيم الأبيارى، مطبعة التأليف والنشر،القاهرة ط٢، ١٦٤٨، ج ١/١٧٩، ١٨٠٠

٣- ابن عبد ربه : العقد ، ج ١/١٨٠٠ ٤ - حماسة أبي تمام ج ١/١١٨،والتذكرة السعدية ص ٧٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكنّ حكم السيف فيكم مسلـــــط فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيـــا

وقد بالغ العرب في امتداح سيوفهم ، فوصفوها بالحدة ، وقوة المضاء والقطع . فالسيـــــوف لحدتها ، وقوة ضربات الفرسان بها تفلق الرؤوس ، يقول بلعاء بن قيس الكنانـــي [١] :

غشيّته وهو في جأواء باسلـــــة عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقـــا

أما الرمح ، فيشك ، ويخرق البدن . وقد جعلها شمعلة بن الأخضر تخرق الأذن . وهذا أشـــــد ايلاما لمن أصابه رمح كهذا ، يقول [٢] :

شككنا بالرماح وهنّ زور صماخي كبشهم حتى استدارا

ويقول دريد بن الصمـة [٣] :

فجئت اليه والرماح تنوشـــه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

وقد جعل زاهر أبو كرّام التميمي أسلحته تساقي الأعداء كؤوس المنايا ، يقول [٤] :

ساقيته كأس الردى بأسنـــــة ذلق مؤللة الشفار حـــــداد

فطعنته والخيل في رهج الوغى نجلاء تنضح مثل لون الجادى

والبطل مهما بلغ من القوة والشجاعة الاّ أنه لا يسلم من ضربة سيف ، أو طعنة رمح وذلك لطـول مقارعته الأبطال في الحـروب .

وقد دلّل أزهر بن هلال التميمي على شدة بلائه ، وطول مدة مقارعته في الحـــــروب بقولـه [٥] :

أعاتك أفناني السلاح ومن يطـــل مقارعة الأبطال يرجع مكلّمـــا

وقد ساق قوله في حكمة لطيفة .

ومما يزيد في اهتمام العرب بالسلاح أنهم شبّهوا أبطالهم بها فريطة بنت عاصم جعلت فرسان قومها كالسيوف الهندية ، تقول [٦] :

١- حماسة أبي تمام ج ١/٦١ .

٢- حماسة أبي تمام ج ٢/١٣٣، والحماسة البصرية أج ١/٣٣٨، والتذكرة السعدية ص ١٨٠ .

٣- حماسة أبي تمام ج ٢/٣٠٤، والحماسة البصرية ب ج ١/٢١٧ .

٤- حماسة أبي تمام ج ٢/٢١٣ .

٥- حماسة البحتري ص ٥١، وحماسة صفوة الأدب ج ٢/١٥٢ .

٦- حماسة أبي تمام ج ٣/١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غدوا كسيوف الهند وراد حومة من الموت أعيا وردهن المصادر

أما عمرو بن كلثوم التغلبي فيرى أن من أسباب بلوغ قومه السيادة ، والمنزلة العليا ، هو شدة مراسهم في القتال ودربتهم في استخدام السلاح استخداما حسنا ، ولا سيما السيوف، يقول (١) :

قراع السيوف بالسيوف أحلّنا بأرض براح ذى أراك وذى أثل

وتتبدى أهمية السلاح في المعركة في قول جعفر بن علبة الحارثي (٢) :

اذا ما ابتدرنا مأزقا فرجّت لنا بأيماننا بيض جلتها الصياقل

وفي قول الحريش بن هلال القريعي (٣) :

نعرّض للسيوف اذا التقينا وجوها لا تعرض للّطام

ويرينا أبو الابيض العبسي مدى تعلّق البطل المسلم بسلاحه ، فهو كل شيء في حياته ، وهو يقول لمن يطمع في ميراثه : انه لن يجد الاّ القليل منه . فليس أبو الأبيض ممن يتكالبون على الدنيا ، والمال . اذ ليس الغنى من شأنه ، ولكنه يفخر أن يكون لديه شكّة كاملة يقاتل بها في سبيل الله ، وجواد قوى ، يقول (٤) :

ومالي مال غير درع ومغفر وأبيض من ماء الحديد صقيل

وأسمر خطيّ القناة مثقف وأبيض عريان السراة طويل

وتشبيه أبي تمام محمدا بن حميد الطائي بالسيف الذى لاقى سيفا آخر أكثر حدة فقطّعه ثم تقطع بعده موفق حسن ، يزيد البحث غناء ويكشف عن أهمية السلاح في القتال ، يقول (٥) :

وما كنت الاّ السيف لاقى ضريبه فقطّعها ، ثم انثنى فتقطّعا

فتى كان شربا للعفاة ومرتعا فاصبح للهنديه البيض مرتعا

وفي موضع اخر يبين ابو تمام أهمية السلاح في يد صاحبه ، فاذا ما انقطع نصله أو نبا حدّه

١- حماسة أبي تمام ج ٣/٥٣، وحماسة صفوة الأدب ج ١/٠٨٨

٢- حماسة أبي تمام ج ١/٤٣، وحماسة صفوة الادب ج ١/٩٦، والتذكرة السعدية ص ٥٦

٣- حماسة أبي تمام ج ١/١٣٣، والتذكرة السعدية ص ٧٤

٤- الوحشيات ص ١٦٩، وحماسة ابن الشجرى ج ١/٢٣٤، والحماسة البصرية أج ١/١٣٣، والتذكرة السعدية ص ١٥٤.

٥- حماسة أبي تمام ج ٣/٦٧، والحماسة البصرية ٧ج ١/٠٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان صاحبه يكون أقرب الى الهلاك ، يقول : (١)

فتى مات بين الضرب والطعن ميتـــــة تقوم مقام النصر اذ فاته النصـــــر

وما مات حتى مات مضرب سيفـــــــه من الضرب واعتلّت عليه القنا السمر

فالعلاقة بين البطل والسلاح حميمة وثيقة الصلة ، حتى ان يحي بن منصور قد حالف السيـــوف حين تخلّت العشيرة عن نصرته ، يقول (٢) :

فلمّا نأت عنا العشيرة كلّهـــــــا أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهـــــــــة ولا نحن أغضبنا الجفون على وتـــر

وتتميز الاسلحة التي يستخدمها الأبطال بالقوة ومتانة المنع ٠ فقد أبت أن تتكسر عند زفـــــر ابن الحارث الكلابي رغم اشتداد القتال يقـول (٣) :

فلما ضربنا النبع بالنبع بعضـــــه ببعض أبت عيدانه أن تكسـرا

ويقول اياس بن مالك الطائي (٤) :

فما كلّت الايدى ولا أنأطرالقنـــــا ولا عثرت منا الجدود العواثـــر

وعلى الرغم من هذا التميّز للاسلحة ٠ الاّ أن عبدالشارق بن عبدالعزى الجهني جعلها تتحطـــم ولعل في هذا دليلا على اشتداد المعركة وصلابة المقاتلين، يقول (٥) :

فلمّا لم ندع قوسا وسهمـــــا مشينا نحوهم ومشوا الينـــا

الى أن يقـــول :

فأبوا بالرماح محطمـــات وأبنا بالسيوف قد انحنينـــا

١- حماسة ابن الشجرى ج ١/ ٣٤٠، وحماسة صفوة الأدب ج ٢/ ٣٠٥، والحماسة البصرية ب ج ١/ ٢٣٦٠

٢- حماسة أبي تمام ص ٣١٠٠

٣- حماسة أبي تمام ج ١/ ١٥٠، واحماسة البصرية أج ١/ ١٨١، والتذكرة السعدية ص ٧٨٠

٣- حماسة أبي تمام ج ٢/ ١٥٥ ، والحماسة البصرية أج ١/ ٢٠٧٠

٥- حماسة أبي تمام ج ٢/ ١٧،وحماسة البحترى ص ٦١،وحماسة صفوة الأدب ج ١/ ١٥٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد، فقد خلص الفصل بعد أن عرض بعض الجوانب الفنية في صورة البطل الـــــى أمور يحسن أن نذكر أهمهـا :

أولا : أن الشعراء حرصوا على رسم صورة البطل بما حسن من ضروب القول ، ودقيق المعاني، فتخيروا اللفظ المناسب، وساقوه في موضعه ، فجاء وقعه مقبولا في النفس ٠

ثانيا : وقد تنبّه الشعراء الى الصور التي يحسن بالبطل أن يتمثلها ، فأعطوا كل صورة حقهـا فألبسوا معاني الفروسيّة حلّة لفظيّة متميزة ، راعوا فيها القوة ، وشدة البأس ، وعظيم التأثير ، وجاؤوا للكرم بألفاظ خاصة بالكرم والجود ، وكذا فعلوا في صور البطولـــة الأخـــرى ٠

ثالثا : خلص الفصل ـ فيما يتعلق بالأنماط البلاغية ـ الى أن هذه الأنماط تقليدية في جلّهـا ٠ وهي مستمدة من البيئة التي يعيشها الشاعر ٠ فوظفوا الأسلحة والخيول والطبيعة فـي تشبيهاتهم ، وكناياتهم واستعاراتهم ، وقد غلب عليها التكرار في جل المقطوعـات الشعرية ٠ وقد أصاب بعض الصور الشعرية شيء من التجديد في العصر الاسلامي ومـا بعده بسبب التأثر بالقرآن الكريم في ألفاظه ، ومعانيه ٠ وبدت القيم الاسلاميـــة السمحة واضحة في بعض المقطوعات الشعرية ، وقد مثّل الفصل بشيء من هـذا ٠

رابعا : وقد أظهر الفصل أن ثمة عوامل ساعدت على خلق البطل المثال منها المرأة التي ظهرت على غير صورة في المقطعات الشعرية : فهي المنبع الذى يستقي منه الأبطال ايمانهم وعزمهم وشجاعتهم في القتال وهي الحصن المنيع الذى يدافع عنه الأبطال ٠ فاذا مـا انتهك واستبيح ، خزي الرجال ، وديست كراماتهم ٠ وهي في مواضع أخرى لوّامة الأبطال على جودهم وكرمهم ، فبدت بخيلة شحيحة ، ومنها الخيل عدة الفارس الأولى ٠ وقد حظيت بنصيب وافر من الذكر في المقطوعات الشعرية ، اذ وصفتها بأحسن ما يكـون الوصف ٠ وقد ارتبطت الخيل في مقطوعات الحماسة بعلاقة حميمة مع فارسها الذى ما انفك يتعهدها ويرعاها لأنها حصنه المنيع أيضا ٠فبقاؤه في ميادين القتال مرهون ببقائها، وحين تذكر الخيل يذكر معها السلاح ، اذ الأغلب أن يذكرا معا في الشعر ٠ والاسهاب في الحديث عن أمر السلاح ضرب من التزيد في هذا المقام ، فقد بسط الفصل الحديث في الأسلحة بسطا وافيا ، فبيّن أنواعها ، وصفاتها ، وقيمتها ، وأثرها في القتال ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمـــــــــــة

بعد أن عرض البحث خلاصات الفصول الثلاثة عرضا وافيا يبقى القول - في هـــــذا المقام - مقتصرا على سطور معدودة يحاول البحث - من خلالها - أن يتحاشى التكرار ، وأن يقـف على قضايا عامة خلص اليها البحث . وأهم هذه القضايا هـــي :

أولا : لعل هذه المقطوعات الشعرية الكثيرة التي زخرت بها كتب الحماسة من أفضل مـــا قالته العرب في مجال البطولة على اختلاف صورها . وبيان ذلك أن كثيرا من هـــذه النصوص الشعرية تردد ذكرها في غير حماسة من الحماسات التي اعتمدها البحـــث لأهميتها ، وشهرتها ، وذيوعها . فمقطوعة لقيط بن يعمر التي يقول فيهـا :

فقلّدوا أمركم لله درّكـــــم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعـا

ورد ذكرها في حماسة ابن الشجرى ، وحماسة الظرفاء ، والحماسة البصرية ، وحماسة النجفـــي . أما مقطوعة الحارث بن وعلة الجرمي الرائية التي يقول أولها - كما ورد في كتب الحماسة :

ما بال من أسعى لأجبر عظمـــه حفاظا وينوى من سفاهته كســرى

فمعروفة مشهورة أيضا ، وتعد من عيون الشعر العربي ، لما تحمله من قيم اجتماعية تتمثـــل في الحرص على الترابط والتحاب بين ذوى الرحم . وقد ورد ذكرها في الحماسة الصغرى ، وحماسة ابن الشجرى ، والحماسة البصرية ، وحماسة النجفي ، ومثلها دالية المقنع الكندى المشهـــورة التي يقول منهـا :

يعاتبني في الدين قومي وانّمـــا ديوني في أشياء تكسبهم حمـــدا

فقد بلغت من الأهمية درجة كبيرة ، فقد أدرجها التربوّيون ، وعلماء العربية في المناهج المدرسية لتكون درسا للناشئة يقبسون منها كثيرا من القيم الاسلامية . وقد ورد ذكرها في حماسة أبي تمـام وحماسة البحترى ، والحماسة البصرية ، والتذكرة السعدية . وثمة ميميّة الحصين بن الحمـــام المرّى المشهورة التي يقول منها :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجـــد لنفسي حياة مثل أن أتقدمـا

فقد ورد ذكرها في حماسة أبي تمام ، وحماسة صفوة الأدب ، والحماسة البصرية ، والتذكرة السعدية،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعد هذه المقطوعة من أحسن ما قالته العرب في الفروسية . فالعربي يأبى الهزيمة ، ويرفض الذل ، ويكره الجبن والعار والتخاذل .

ومثلها سينيّة العباس بن مرداس السلمي التي يقول منها :

فلم أر مثل الحيّ حيّا مصبحا ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا

فقد ورد ذكرها في حماسة أبي تمام ، وحماسة صفوة الأدب ، والحماسة البصرية، والتذكرة السعدية وتصور هذه المقطوعة قوة الفارس العربي ، واقدامه في المعركة ومثل هذه المقطوعات في كتب الحماسة كثير ، وحسب الدارس أن ينظر في حواشي البحث ليتبين كتب الحماسة التي ترتد اليها المقطوعات الشعرية التي دلّل بها البحث .

ثانيا : وثمّة أمر آخر يقدّر البحث أنه جهد في استجلائه ، وتبيينه ، وهو محاولة تلمس السبل الى التعريف ببعض كتب الحماسة التي لم تنل حظا وافرا من العناية والاهتمام، مثل حماسة الجراوى " صفوة الأدب ونخبة أشعار العرب ، وحماسة الشميم الحلبي . فالشّميم معروف بشاعريته ، غير أن كثيرا من الناس لا يعلم عن حماسته شيئا ، وحماسة النجفي التي تعود الى القرن الثالث عشر الهجرى ، وما زالت مخطوطة في حدود ما أعرف ، فضلا عن هذا كله ، فان بعض واضعي كتب الحماسة لم يحظوا باهتمام أصحاب كتب التراجم ، فجهد البحث في الكشف عن بعض ما أغفله الأدباء من حياتهم . ومن هؤلاء أحمد بن عبدالسلام الجراوى ، أو الكورايي كما أثبته ابن خلكان في وفيات الأعيان في أثناء حديثه عن يوسف بن عبدالمؤمن . وقد ورد ذلك في الفصل الأول .

ثالثا : وقد جهد البحث في استجلاء جوانب من حياة بعض الأبطال المغمورين الذين لم ينالوا حقهم من الدرس والبحث ، فأسهمت الدراسة في التعريف بهم مستعينا بالشواهد الشعرية ، والمظان الأصول في سبيل ذلك . ومن هؤلاء حجية بن المضرب ، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن مسور بن مخرمة ، والاسعر الجعفي ، وباعث بن صريم اليشكرى ، والمعقر البارقي ، وحسان بن نشبة العدوى ، ورويشد بن كثير الطائي ، وغيرهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

المصـــادر :

١- القرآن الكريم

٢- الآمدي ، الحسن بن بشر (ت ٣٧١هـ) :المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م٠

٣- ابن الأبار ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ) ، التكملة لكتاب الصلة ، صححه ، وعني بنشره عزت العطار الحسيني ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٦م٠

٤- ابن الأثير ، ضياء الدين (ت ٦٣٧هـ) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د٠ أحمد الحوفي ، ود٠ بدوى طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، ط١ ، ١٩٥٩م٠

٥- ابن الآثير ، عز الدين أبو الحسن علي (ت ٦٣٢هـ) : الكامل في التاريخ ، تحقيق عبدالله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧٠

٦- الأزهرى ، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) : تهذيب اللغة ، حققه ، وقدّم له عبدالسلام هارون ، وراجعه محمد علي النجار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار القومية العربية للطباعة ١٩٦٤م٠

٧- الأصفهاني ، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ) : الأغاني ، أشرف على مراجعته وطبعه الشيخ عبدالله العلايلي ، وموسى سليمان ، وأحمد أبو سعد ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، ط٢ :١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م٠ مصوّر عن دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، والطباعة ، والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ٠

٨- الباخرزى ، نور الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٤٦٧هـ) :دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- البحترى ، أبو عبادة الوليد بن عبيد (٢٨٤هـ) : الحماسة ، ضبطه وعلق حواشيه كمال مصطفى المطبعة الرحمانية ، مصر ، ط١ ، ١٩٢٩م.

١٠- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨هـ) :الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.

١١- البصرى ، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن (٦٥٩هـ) :الحماسة البصرية أ ، تحقيق د. عادل جمال سليمان ، جمهورية مصر العربية ، وزارة الاوقاف ، لجنة احياء التراث الإسلامي .

(ب) تحقيق مختار الدين أحمد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م.

١٢- البغدادى ، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ) : خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب حققه وشرحه عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٧٩م.

١٣- أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) :ديوان الحماسة ، بشرح التبريزى ، علّق عليه وراجعه محمد عبدالمنعم خفاجي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٤- الثعالبي ، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (٤٣١هـ) : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة الحسين التجارية القاهرة ، ١٩٤٧م.

١٥. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) :البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ومكتبة المثنى ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٦١م.

١٦- الجراوى ، أحمد بن عبدالسلام (٦٠٩هـ) : صفوة الأدب ، ونخبة ديوان العرب ، حققه ودرسه محمد علي منيف ، وقدمه الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة لنيل درجة الماجستير ١٤٠٧هـ.

١٧- الجرجاني ، عبدالقادر (ت ٤٧١هـ) : أسرار البلاغة ، تحقيق ج. ريتر ، مطبعة وزارة المعارف استانبول ، ١٩٥٤م.

١٨- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف مجرّدا من الزيادات ، واللواحق من بعده ، وتعليق حواشيه وترتيب الذيول عليه ، وطبعها محمد شرف الدين بالتقايا ، أحد المدرّسين بجامعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استانبول المحميّة ، والمعلم رفعت بيكله الكليسي ، طبع بعناية وكالة المعـــــارف الجليلة في مطبعتها البهية ، ١٣٦٠هـ .

١٩- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) : أ : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار احيـاء التراث بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ م. ب - لسان الميزان ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعـــات، ط٢ ، ١٩٧١م.

٢٠- الحر العاملي ، محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين المشفرى (١١٠٤هـ) : أمل الآمل ، تحقيق أحمد الحسيني ، مكتبة الأندلس ، مطبعة دار الآداب ، بغـداد : ١٣٨٥ هـ .

٢١- الحسيني العاملي ، محسن بن عبدالكريم بن علي بن محمد (ت ١٣٧١هـ) :أعيان الشيعة مطبعة الانصاف ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٦٠م.

٢٢- الحموى ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ) أ - معجم الأدباء ، راجعته وزارة المعارف العمومية ، طبعه منقحة ومضبوطة ، وفيها زيادات ، مكتبة عيسى البابـــي الحلبي ، مصر ، ب .ت .

ب - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥م.

٢٣- الحميرى ، محمد بن عبدالمنعم (ت ٧٢٧هـ) :الروض المعطار ، في خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، مكتبة لبنان ، دار القلم للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٥م.

٢٤- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) : وفيـــات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ب .ت .

٢٥- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدى (ت ٢٧٥هـ) : السنن : تحقيق محمـــد محيي الدين عبدالحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٠م.

٢٦- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى (٣٢١هـ) : جمهرة اللغة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٤٥هـ .

٢٧- الذبياني ، النابغة ، الديوان ، جمعه وشرحه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، جانفي ، ١٩٧٦م

٢٨- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء ، أشرف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على تحقيق الكتاب ، وأخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م٠

٢٩- ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : دار الجيل ، بيروت ط٥ ١٩٨١م٠

٣٠- الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) : أساس البلاغة ، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٥م٠

٣١- ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك (ت ٦٨٥هـ) : أ - الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار المعارف ، القاهرة (١٩) ٠ ب - نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق د٠ نصرت عبدالرحمن مكتبة الاقصى ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٢م٠

٣٢- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ) أ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٤م ، ب - شرح شواهد المغني ، تحقيق محمد محمود من التلاميد التركزى الشنقيطي ، المطبعة البهية ، القاهرة ، ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م ٠ ج - طبقات المفسرين والنحويين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م٠

٣٣- ابن الشجرى ، هبة الله علي بن حمزة العلوى الحسني (ت ٥٤٣هـ) : الحماسة الشجرية تحقيق عبدالمعطي الملوحي ، وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠م٠

٣٤- الصّنعاني ، الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ) : التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة ، وصحاح العربية ، حققه عبدالعليم الطحاوى ، وراجعه عبدالحميد حسن ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠م٠

٣٥- الصفدى : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) : أ - نكت الهميان في نكت العميان طبع بأمر اللجنة التحضيرية للمؤتمر تحت رياسة صاحب السعادة حسين رشدى باشا ووقف على طبعه الاستاذ أحمد زكي بك بالمطبعة الجمالية بمصر ، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١م٠ ب - الوافي بالوفيات ، باعتناء هلموت ريتر ، دار النشر فرانز شتايز بفسبادن ط٢ ، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م٠

٣٦- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ) : أخبار أبي تمام ، حققه وعلّق عليه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خليل محمود عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الاسلام الهندى ، قدم له الدكتور أحمد أمين ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م٠

٣٧- ابن عبد ربه الأندلسي : أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ) : العقد الفريد ، شرحه وضبطه أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وابراهيم الأبيارى ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٤٨م٠

٣٨- العبدلكاني ، عبدالله بن محمد الزوزني (ت ٤٣١هـ) : حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٣م٠

٣٩- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩هـ) :كتاب الخيل ، تحقيق د٠ محمد عبدالقادر أحمد ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦م٠

٤٠- العبيدى ، محمد بن عبدالرحمن بن عبدالمجيد (من رجال القرن الثامن الهجرى) التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، تحقيق عبدالله الجبورى ، مطابع النعمان ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م٠

٤١- ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م٠

٤٢- الفراهيدى ، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) : العين ، تحقيق د٠ ابراهيم السامرائي و د٠ مهدى المخزومي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م٠

٤٣- ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ) : الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٠م٠

٤٤- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ) : انباه الرواة على انباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ط١ ، ١٩٦٩م٠

٤٥- الكتبي : محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) أ - عيون التواريخ تحقيق د٠ فيصل السامر ، ونبيلة عبدالمنعم داود ، وزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية سلسلة كتب التراث (٤٧) ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - فوات الوفيات ، حققه وضبطه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد . مطبعة السعادة بمصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب ٠ت ٠

٤٦- ابن كثير ، أبو الفداء ، الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، دقق أصوله وحققه د٠ أحمد أبو ملحم ، وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م٠

٤٧- ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ) : أنساب الخيل في الجاهلية وأخبارها ، تحقيق أحمد زكي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٦م٠

٤٨- المسعودى : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٧٣م٠

٤٩- معمر ، جميل ، الديوان ، تحقيق د٠ حسين نصار ، دار مصر للطباعة ، ب ٠ت ٠

٥٠- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الافريقي المصرى (ت ٧١١هـ) : لسان العرب ، دار صادر ، ودار بيروت ، ١٩٥٦م٠

٥١- الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم (ت ٥١٨هـ) : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م٠

٥٢- النجفي ، عباس بن محمد بن ياسين القرشي النجفي (ت ١٢٩٩هـ) :الحماسة ، وهي مخطوطة في مكتبة الجامعة الأردنية تحت رقم (٩٠١) وعدد أوراقها ثمان وسبعون٠

٥٣- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالورّاق (ت ٤٣٨هـ) : الفهرست تحقيق رضا تجدد ، مكتبة الأسدى ، ومكتبة طهران ، ١٩٧١م٠

٥٤- ابن هشام ، أبو محمد عبدالله بن جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله الانصارى المصرى (ت ٧٦١هـ) :أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٧٤م٠

٥٥- اليافعي ، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني (ن٧٦٨هـ) : مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، تحقيق عبدالله الجبورى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ومنشورات مؤسسة الاعلم للمطبوعات ، بيروت ، ١٩١٨م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــع

١- د٠ أحمد أحمد بدوى : حياة البحترى وفنّه ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنـــة البيان العربي ، القاهرة ، ب ٠ت ٠

٢- د٠ أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٣م٠

٣- اسماعيل باشا البغدادى :

أ - ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، عني بتصحيحه ، وطبعه علـــى نسخة المؤلف محمد شرف الدين بالتقايا ، والمعلم رفعت بيكلة الكليســي) طبـــع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهيّة ، ١٩٦٤هـ - ١٩٤٥م٠

ب - هدية العارفين أسماء المؤلفين ، وآثار المصنّفين ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهيّة ، استانبول ، ١٩٥١م ، أعادت طبعة بالأوفست منشـورات مكتبة المثنى ، بغداد٠

٤- خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩م٠

٥- طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، راجعـــه وحققه كامل بكرى ، وعبدالوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة الاستقـــلال الكبرى ب ٠ت ٠

٦- عباس ابراهيم : الاعلام بمن حل في مراكش وأغمات من الأعلام ، المطبعة الملكيـــة، الرباط ، ١٩٧٤م٠

٧- عباس العزاوى :

أ - تاريخ الأدب العربي في العراق ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦٢م٠

ب - التعريف بالمؤرخين ، وزارة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٧م٠

٨- عبدالحفيظ منصور : فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس ، خزانة جامع الزيتونة دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ،ز ١٩٦٩م٠

٩- الدكتور عبدالحميد يونـــس :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ - الأسس الفنيّة للنقد الأدبي ، دار المعرفة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٦م٠

ب - الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي ، دار المعرفة ، القاهرة ط٢ ، ١٩٦٨م٠

١٠- عبدالرزاق حسين : فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، ١٩٨٧م٠

١١- عصام الشطي : فهرس مخطوطات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مراجعة خالد عبدالكريم ، الكويت ط١ ، ١٩٨٦م٠

١٢- الدكتور عفيف عبدالرحمن :

أ - الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، دار الاندلس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤م

ب - معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٩٨٢م

١٣- الدكتور علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجرى ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٠م٠

١٤- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ودار احياء التراث ، بيروت ١٩٥٧م٠

١٥- الدكتور عمر فرّوخ : تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٥م

١٦- فؤاد سيّد : فهرست المخطوطات المصورة ، جامعة الدول العربية ، معهد احياء المخطوطات العربية ، دار الرياض للطبع والنشر ، ١٩٥٤م٠

١٧- الدكتور محمد بركات أبو علي : أبو تمام بين حماسته وشعره ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، ١٩٨٢م٠

١٨- محمد تقي دانشي : فهرست مكتبة طهران المركزية ، طهران ، ١٣٤٨هـ

١٩- الدكتورة نبيلة ابراهيم : اشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار نهضة مصر ، القاهرة

٢٠- الدكتور نورى حمودى القيسي : ابطل في التراث العربي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٢م٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

In attempt to avoid repetition, I find it necessary to limit myself to the main points that my study includes.

First : The Large number of poetic extrects which Hamassah books contain might be considered as the best in heroic poetry. In fact , many of them are mentioned in more than one Hamassah, Luckeet bn Ya'mor's poetic extract, one verse of which says 'Leave your cause, may God bless you, to the long in arm, the seasoned in war, is mentioned in Hamassat Al-Shajari, Hamassat Al-Thorapha, Al-Hamassah Al-Bussrieh and Hamassat Al-Najaffi. Raiyyat 'Al-Hareth bn Wa'leh Al-Jurmi which begins with why is it that he, Whom I exert all effort to preserve intact, tries so foolishly to break me? is mentioned Al-Hamassah Al-Sughra : Al-Wahshiyyat, Hamassat Al-Shajari, Al-Hamassah Al-Bussrieh and Hamassat Al-Najaf: In fact, this Rę yya' , which represents many social values like love and co-operation among relatives, is very famous.Similarly, Daliyyat' Al-Mockanna Al-Kindy is found in Hamassat Abi Tammam, Hamassat Al-Buhtory, Al-Hamassah Al-Bussrieh and Al-Tathkireh Al-Sadiyya. This well-known Daliyya, one verse of which says My people blame me for the things I owe while the things I owe redouned to their honour, is included in school syllabuses, so that students will benefit from the Islamic ideals which it implies. In the same way, 'Memyyat' Al-Hussain bn Al-Humam Al-Murri in which the says'I tried to save my life but found no life except forging ahead' in mentioned in Hamassat Abi Tammam, Hamassat Safwat Al-Adeb, Al-Hamassah Al-Bussrieh and Al-Tathkireh Al-Sadiyya. This 'Memyya' present, the Arab as a person who refuses defeat,

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

shame and cowardice. Similar to it, is 'Seeniyyat' Al-Abbass bn Miradas Al-Sulami in which the states Never saw, I a place like ours to hale good morrow to, and warriers like us meeting together. This Seeniyya' which presents the strength and courage of the Arab warriers in mentioned in Hamassat Abi Tammam, Hamassat Safwat Al-Adab, Al-Hamassah Al-Bussrieh and Al-Tathkireh Al-Sadiyya. The fact that Hamassah books are full of these poetic extracts can be clearly noticed in this study.

Second: This study also tries to shed light on some unpopular Hamassah books . Such books are like, Safwat Al-Adab and Hamassat Al-Shumaim, Although Al-Shumaim is known as a poet, his Hamassah is still unpopular. According to my knowledge, Hamassat Al-Najaf: is still unpublished.

Third: This study also attempts to shed light on some unpopular heroes like Hujyeh bn Al-Moderrab, Abu Baker bn Abd Al-Rahman bn Makhrameh, Al-Assar Al-Ju'fi, Baeth bn Sareem Al-Yashkuri, Al-Muacker Al-Baricky, Hassan bn Nushbeh Al-Adawi, Ruwaished bn Katheer Al-Taey and many other others.

٤٠١٦٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

UNIVERSITY OF JORDAN

FACULTY OF GRADUATE STUDIES

ARABIC DEPARTMENT

" THE IMAGE OF THE PROTAGONIST IN AL-HAMASAH BOOKS"

BY :

Sadiq Al-Shaikh Salih Khraiwish Muhammad

Supervised by:

Dr. Mahmud Al-Samra

President, University of Jordan

Submitted in partial fulfilment of the requirements for the degree of zph.D. in Arabic Literature, Faculty of Graduate Studies, University of Jordan

1990/1991

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit